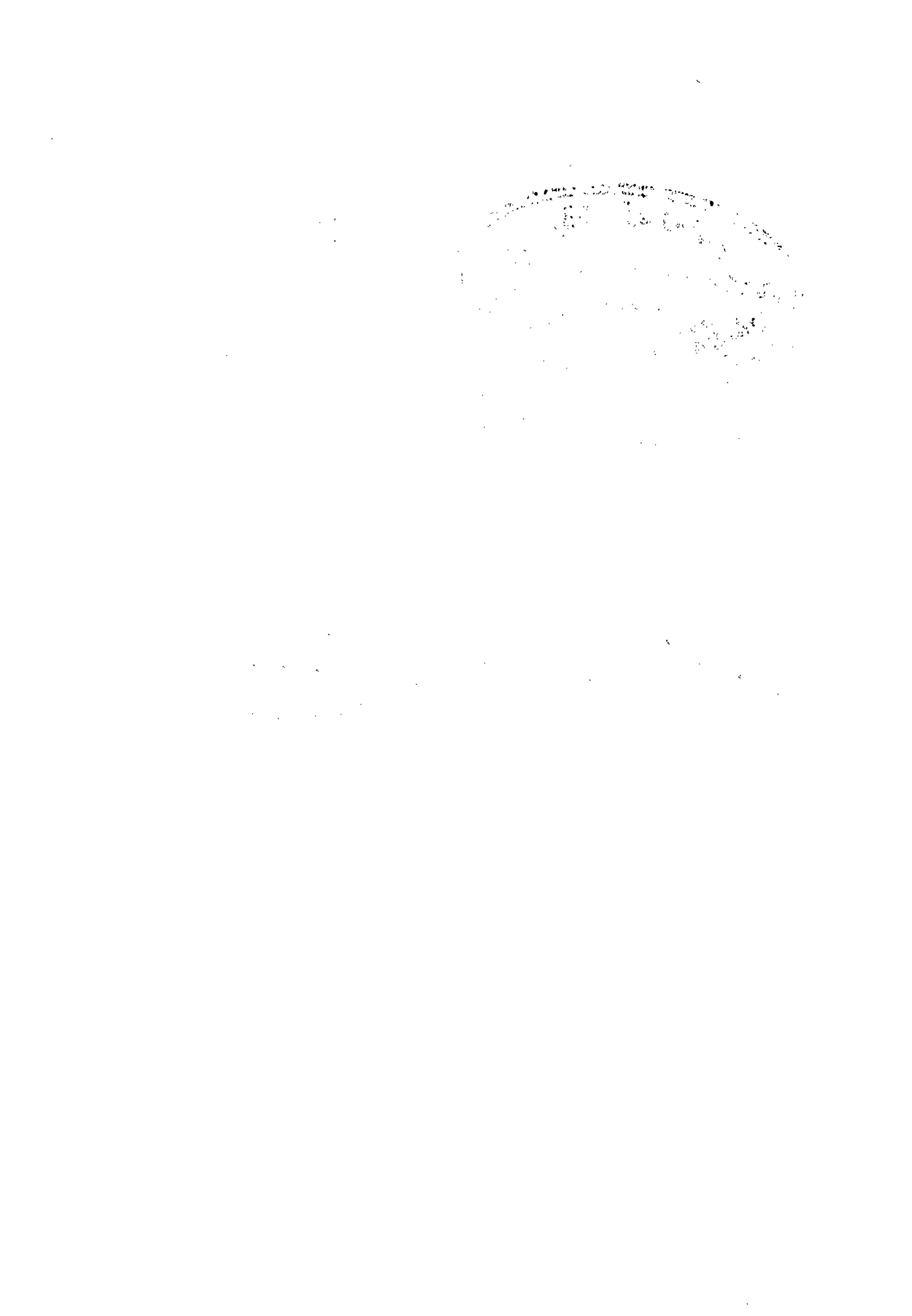
مفاهيم إسلاميّة

الماركسيّة والغزو الفكري

الطبعة الثالثة

محمّد جلال كشك



الماركسية والغزو الفكري

الطبعة الاولى ١٩٦٥
الطبعة الثانية ١٩٦٦
الطبعـة الثالثة
ذو الحجـة ١٣٨٨
مارس (آذار) ١٩٦٩

خطبة الطبعة الثالثة

الحمد لله

فضل الانسان على سائر الكائنات بما ميزه به من المعرفة ، والقدرة على الاستفادة من تجاربه .. فيميز الصواب من الخطأ .. وعرف سبحانه وتعالى أن العقول لا تتساوى ، فمن الناس من يبصر الخطأ ، فينبه له قبل أن يقع ، يعرفه من استقراء تجارب التاريخ .. والعظة بما غبر من الأمم .

ومن الناس من يؤمن بعدما يرى ، فيبادر إلى تجنب الخطأ ، ويقر لأهل الفضل فضلهم .. طالباً من الله المغفرة والرحمة على ما نسي وأخطأ في حق نفسه، وحق أمته ..

ولو كان الأمر لهؤلاء وهؤلاء وحدهم ، لما تعثرت البشرية ولا طال في الأرض ، عمر الشقاء .. فما عدمت أمة ، أهل فضل يبصرونها بالحق ، ويرشدونها إليه ، ولا عدمت أهل صدق ، يفيئون إلى الحق ، متى علموا أو عُلموا أنه الحق ..

ولكن شر ما ابتلي به ، الذين يعرفون الحق ، والذين يتبعون الحق إن

عرفوه ، هم طائفة ثالثة ، يبغضون الحق ، وبغضهم أشد للذين يُعرّفونهم بالحق أو يدعونهم إليه.. هم أولئك الذين يفسدون على الأمم بصائرهـا ، ويعطلون حتى غرائزها ، ويضلونها السبل ..

ومنذ أن فُتحت بلادنا للفكر الماركسي بوهم أنه المخلّص من الاستعمار الغربي .. والعقلاء ينبهون ويحذرون أن « الكفرملة واحدة » وأن الغزو الأجنبي لبلادنا يتم لغاية واحدة ولاهداف ، مهما بدا لفترة من الوقت ، انها متناقضة، فهي تلتقي في الجذور والغايات وان تشعبت المسالك وتعددت الأساليب واختلف المجرى الذي تسلكه في تسربها إلى بلادنا ..

ومنذ عام ١٩٦٤ — حتى لا نذهب بعيدا — وكل الدلائل تؤكد أن شيئاً ما يدبر .. أن تحالفا مريباً قد عقد بين عملاء أمريكا وأذناب روسيا .. وخبرتنا تؤكد أن مثل هذا التحالف لا يقوم إلا في اللحظات الحاسمة من المخطط الصهيوني .. وأن الفكر الماركسي لا يروج ويزدهر ، الا قبيل نكبة عربية ، قبيل انجاز مرحلة من المخطط الصهيوني لاحتلال بلادنا.. يصاحب هذا الازدهار عادة ، مطاردة للفكر الاسلامي والعاملين له ، والمؤمنين به ..

التقى عملاء روسيا وأمريكا في عام ١٩٤٨ ، لكي تقوم اسرائيل ، والتقوا هذه المرة لكي تقوم اسرائيل الكبرى ..

ومنذ زمن والعقلاء ينبهون إلى المخطط الأمريكي الذي يستخدم « الغزو الفكري » الشيوعي ، لتدمير معنويات الوجود العربي ليتسنى للغزو العسكري الصهيوني .. أن يشق طريقه وسط اعجاز نخل خاوية ..

ومنذ بدأنا في اصدار هذه السلسلة عن « الغزو الفكري » .. كان منهاجنا يقوم على النظر إلى الحضارة الغربية كوحدة واحدة ، من ناحية عدائها للاسلام.. هذه الحضارة التي تنقسم إلى العديد من الدول والنظم منها الشيوعي والاشتراكي

والرأسمالي والجمهوري والملكي .. لكنها جميعا تنطلق تاريخيا من نقطة واحدة، هي الانفصال عن الشرق والعداء للحضارة الاسلامية .. هذه الوحدة التاريخية ، التي تستند إلى وحدة المصالح ووحدة الاطماع في بلادنا ، تعززها اليوم ، وحدة النشاط الصهيوني ، الذي يتحرك في داخل « المعسكرين » الشيوعي .. والرأسمالي لحساب اسرائيل ، كما أثبتت التحقيقات الأخيرة في الدول الشيوعية ..

وإذا كنا قد بادرنا في أعقاب النكسة إلى الحديث عن أسبابها ، والتحذير لما يدبر لنا .. فقد رأيت أن تصدر الطبعة الثالثة من « الماركسية والغزو الفكري » بعد أن نفدت الطبعتان ؛ الأولى ، والثانية .. لنعود فنؤكد من جديد ، ونذكّر من تنفعهم الذكرى بوحدة المصالح الروسية والامريكية ..

ولا شك أنه قد جرى بعض التعديل هنا وهناك .. بأكثر مما جرى القلم بــه في الطبعة الثانية ، ولا أحب أن يُرجع سبب هذا التغيير إلى اختلاف ظــروف الاصدار المكانية ... بل يرجع إلى اختلاف الظروف التاريخية .. فبعض مــا حذفناه، كنا نعتقده وتبين خطؤه .. وبعض ما أضفناه، لم يكن قد حان وقت قوله بعد .. لأن القلوب لم تكن مهيأة لسماعه بعد ... فواجب القارىء أن يفهم ما يقال .. وواجب الكاتب أن يقول ما يُفهم ..

وقد أضفت لهذه الطبعة ، فصلا عن دور الشيوعية في نكسة حزيران (يونيه) ١٩٦٧ . وفي اعتقادي أن أهم ما يجب أن نتنبه إليه اليوم ، هو ذلك الدور الذي تلعبه الشيوعية في الترويج والتمهيد للصلح مع اسرائيل ..

ان تحديد دور الماركسية كفلسفة معادية لوجودنا وأهدافنا ، وكشــف طبيعة الدور الذي يلعبه الشيوعيون ، في خدمة الصهيونية . لا يزيد من قائمة أعدائنا ، كما يتصور البعض ، بل بالعكس انما يكشف عن أعداء موجودين بالفعل ، تجاهلهم أو الغفلة عنهم يفضي إلى كارثة خطيرة .. وإذا ما عرفنا

الحجم الحقيقي لأعدائنا .. فسنعرف البعد الحقيقي للمعركة التي تواجهنا .. وسنبدأ طريق النصر .. عندما نؤمن أنه بجهودنا وحدها .. واعتمادا على قوتنا الذاتية كعرب وكمسلمين .. سنحقق النصر على عدونا التاريخي ..

وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

جلال كشك

رمضان ١٣٨٨

ديسمبر ١٩٦٨



خطبة الطبعة الثانية

الحمد لله ...

ها نحن نصدر الطبعة الثانية من كتاب نفذت نسخه دون كلمة نقد واحدة في أية صحيفة مصرية ... وان كان اخواننا العرب حياهم الله قد تقبلوه في احتفاء ولم يبخلوا عليه في صحفهم بالنقد والاشارة ...

وقد حاولت أن أعلن عنه في إحدى صحفنا بالأجر ... ففسخت ادارة الصحيفة ما تعاقد عليه مندوبها الذي ما خطر بباله أن العداوة يمكن أن تصل إلى حد رفض الاعلان بالأجر ، وهو يتعاقد مع سفارات الشرق والغرب ويعلن عن سلاطين ويحرر اعلانات في المآتم والأفراح ... حتى نصل إلى كتابي فتبلغ العصبية حد القول « ارفع قضية وسندفع مليون جنيه ولكن لن نعلن عن كتب الغزو الفكري » .

الحمد لله ... ربحت تجارتنا وما بارت بضاعتنا وإنّا الفائزون في الدنيا والآخرة إن شاء الله .

ويوم خرجنا على الناس بحديث الماركسية والغزو الفكري ... كان حديثا عجبا ، تقبلوه بالدهشة والاستغراب ، كانوا يعيشون في أوهام المادية

الجدلية ، وفي نوبة الانتهازية التي انتابتهم عندما ظنوا أن الريح تهب من الناحية اياها .

والحمد لله ... ان كل ما يكتب الآن عن النزاع الصيني – الروسي قد أوردناه في كتابنا هذا ...

والحمد لله أن التسليم قد تم بأولوية القومية على الأممية وخرافة الدولية ... وأن شبرا واحدا من أرض الوطن أعز من كل نظريات العالم .. بل لقد قهرتهم عظمة الاسلام ، وها هي المقالات تترى في الكشف عن خصائصه الثورية ، بل واكتشفوا لنا كاتبا يهوديا (خواجه) أعلن أن للاسلام طابعا اشتراكيا ... والمدح لا ينقطع في ابن خلدون وابن حنبل ودعنا من أبي ذر فهو صديق قديم رضي الله عنه وعافاه من حبهم .

وكما كانوا يتسابقون على الماركسية عند صدور الطبعة الأولى اذ بهم يتسابقون على الافتاء في الاسلام عند صدور الطبعة الثانية .

الحمد لله ... فمنهم نعرف اتجاه الريح ..

أما نحن فما بدلنا وما غيرنا ، نؤمن بديننا ، نؤمن بالاسلام خاتم الأديان وأعظم حضارة عرفتها البشرية والحل الأمثل لجميع مشاكلها ومتاعبها .

ونؤمن بالعروبة ... قلب الاسلام النابض .. عزه من عزها...ما أبغضها إلا كافر...

نؤمن بمصر قلب العروبة ... لا عزة للعرب الا بعزها ... ما أرادها أحد بسوء الا كبّه الله على وجهه .

نؤمن بأن اسلامنا أكبر من الاشتراكية ... وأن عروبتنا فوق الأممية ، وفوق الانحياز للغرب أو الشرق .

نؤمن بأن مصر لا تكون إلا رأساً ، وأن كل محاولة لتوجيهها روحيا من خارجها ، مصيرها فشل محزن .

الحمد لله ...

نفدت الطبعة الأولى .. وها هي الطبعة الثانية ، وما زدت فيها الا ما جرى به القلم هنا أو هناك ... فلو شئت أن أقول كل شيء لاحتجت لكتاب جديد .

ولعلي في هذه السطور أن أشكر الذين وقفوا معي أيام كنت أحوج ما أكون فيها للمسة حب وشدّة على اليد ... ولكم أحاطني الأصدقاء الكبار والصغار بالحب والحنان ... بل والمساعدة ..

فالى هؤلاء جميعاً .. أهدي حديثي هذا .. لعلي أكون عند حسن ظنهم ..

٣ بهجت علي – الزمالك　　　　　　محمد جلال كشك

المحرم ١٣٨٦

مايو ١٩٦٦





خطبة الكتاب

الحمد لله ...

على غير مكروه نحمده هذه المرة ! بل على نعمة من أجلّ نعمه ... وهل أجلّ وأعظم من أن تسمع الصيحة ، وتنبت البذرة ، وتلقى الدعوة قلوبا مؤمنة ؟

لم تكن أكثر من صيحة أردت أن أطلقها ، وفي خاطري ، وصف « الكواكبي » لكتابه الخالد ، بأنه : كلمة حق ... وصيحة في واد ... الخ ...

وما كان يخطر ببالي أن الكلمة ستلقى كل هذه القلوب المتفتحة ، وأن الحبة ستنبت كل هذه السنابل ! .

فما كاد يخرج كتاب « الغزو الفكري » حتى أحدث من الأثر ما فاق كل أحلامي وتصوراتي .. وما زلت حتى الآن أقلب الكتاب متسائلا.. « ماذا فيه .. لتنفد نسخه خلال ثلاثة شهور ، وبرغم جهودنا ! » ... فلا أجد الجواب الا في كلمة واحدة : « الصدق » ..

أثار نقاشا وتعليقاً في كل بلد عربي .. حتى جماعة « اقتله بالصمت » كان الانفعال يدفعهم إلى بعض الغمغمات المسموعة التي تؤكد أنه نال منهم . بل

وأصبح اسم الكتاب شعارا في مؤتمرات أدبية وبحوث فكرية ..

وجاء صليبيون من روما وباريس ، يتساءلون عن مؤلفه .. وتلقى الناشر الصديق العزيز (اسماعيل عبيد) طلبات يخطىء أكثرها في اسم المؤلف ولا تخطىء اسم الكتاب .. وليس أعظم من أن يصبح الكتاب أشهر من مؤلفه .. وأن يعرفه الناس لحق قاله .. كذلك فما أحب إلى قلبي من ذلك النقد الذي وجه للكتاب ، بأنه جاء مختصرا ولو أطال لأشبع وأمتع .

نعم ...

خير ألف مرة أن يقال للمتحدث : هل من مزيد ؟ من أن يقال له : هون عليك ! بعض ما قلت كان يكفي ..

وعذري للذين أرادوا المزيد ، أنني أردته أن يكون الصيحة التي يتجمع لها العقلاء ، فيناقشون ويتدبرون .. وأحسبني لا أذهب بعيدا في تفاؤلي ، لو قلت أنهم فعلوا .. وسنرى ، بغير شك ، من علماء الاسلام وشباب العروبة ، صفحات أوضح ، وبحوثا أعمق ، وأعمالا أنضج .. سيكون لي الشرف ، أن أتعلم منها ..

وكان على العبد الفقير ، ولا أقول « الحقير » ، كما كان « الجبرتي » فخر أمتنا يصف نفسه في كتابه .. فتلك مرتبة من التواضع ، لم نصل اليها ، ولا نطمع فيما يقابلها من جزاء الخلود الذي ناله ..

أقول ، كان على العبد الفقير أن يعيد طبع كتاب « الغزو الفكري » لولا أن جدت أحداث تستدعي أن يبادر المرء إلى تغييرها بغير أضعف الايمان ولا أقواه .. وهل نملك إلا اللسان والقلم ؟

وبمشيئة الله ، ستكون هناك طبعة ثانية من « الغزو الفكري » [1] سأتناول

---

(١) صدرت الطبعة الثانية والثالثة ..

فيها ما تفضل به النقاد من توجيهات أعتز بها ... ولكني أحب هنا أن أقف عند تعليق واحد .. قاله الأستاذ « أنيس منصور » في صحيفة الأخبار .. وكان هو أول من علق على الكتاب .. قائلا : « الغزو الفكري الذي لا أراه » ... وأحسب أنه قد رآه الآن .. بحواسه الخمس [1] ...

فطوبى للذي آمن ولم ير .. !

وأظن أننا يجب أن نقول شيئاً عن هذا الكتاب .. والمفروض أن حديثنا هذا ، مقدمة .. وقد اخترت أن أسميها « خطبة الكتاب » فذلك من تراثنا .. ولكني أكره أن أفشي سر الكتاب قبل أن تحكيه صفحاته ولأنه كتاب جاف .. فلست أحب أن أثقل عليك أيضاً في هذه السطور .. ومن ثم فلن أقول عنه شيئاً ..

وأما هذه الصفحات الست التي ننشرها بالزنكوغراف .. فلأني « امرؤ فيه دعابة » .. آثرت أن أعرفك بعلاقتي بالماركسية من خلال مقال سبتني فيه « البرافدا » فأقذعت .

« والبرافدا » — كما أنت تعلم — هي الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعي السوفيتي . وتاريخ هذا الحوار هو ١٩ يوليو ١٩٦٢ (وردي عليه في روز اليوسف في ٣٠ يوليو ١٩٦٢) وكاتبه من الجانب الروسي هو « فيكتور مايفسكي » .. وكان وقتها نائبا لرئيس التحرير .. ولا يزال يكتب في البرافدا ، بعد اعفاء خرشوف ، وأرجو له كل خير .. فقد أسعدني حقاً أن تسبني جريدة محترمة « كالبرافدا » ! [2] .

وباختصار شديد .. حتى لا أعوقك عن اقتحام الكتاب .. أقول لك رأيي :

---

(١) قلت هذا في مقدمة الطبعة الأولى ، ويقوله معي أنيس منصور وأنا أكتب الطبعة الثالثة ..

(٢) وبعد ما تم احتلال تشيكوسلوفاكيا بسبب تهجم صحافتها على الاتحاد السوفيتي . أحمد الله أن ليس لنا حدود مشتركة مع روسيا ! .

أنني اعتقد أننا نعيش الحرب الصليبية الثالثة .. وكانت الأولى هي تلك التي دعا اليها البابا أربان الثاني في نوفمبر ١٠٩٥ .. والثانية بدأت بنزول نابليون في الاسكندرية في يوليو ١٧٩٨ .. أما الثالثة فيصعب تحديد بدايتها لأنها لا تعتمد على الحملات العسكرية .. حتى نؤرخ لها بيوم الغزو .. بل أن مدفعيتها الثقيلة هي الغزو الفكري .. وهي عملية معقدة ومستترة .. تتسلل على نحو يصعب تماما ، تحديد بدايته .. بل ربما تمتد بجذورها إلى الحرب الصليبية الأولى ...

وفي مواجهتها ليس لنا من سلاح الا ديننا ..

واعتزازنا بحضارتنا ليس ردة ، ولا حنينا للماضي .. بل لأننا وقد لمسنا قبسا من ضياء هذه الحضارة .. يعز علينا أن نكون كأولئك البؤساء الذين رآهم الرسول في حديث الاسراء والمعراج يأكلون لحما نتنا ويصدفون عن اللحم الطيب .

مايو ١٩٦٦ جلال كشك

* * *

....
....

٢١ /٧/ تاس / ٢٠٧ ــ ١

موسكو ــ ٢١ يوليو ــ تاس : بناء على طلبكم ، فيما يلى النص الكامل لمقالة فيكتور مايفسكى : " محادثات فى القاهـــرة " المنشورة فى " البرافدا " فى التاسع عشر من يوليو ...

" ان المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية على وشك الانعقاد وكان المفروض أن يفتتح فى منتصف ابريل ، ثم فى أوائل مايو ولكنه كان يؤجل فى كل مرة . وقد انتهى اعداد مشروع ميثاق العمل الوطنى . ماذا سيقول ؟ ليس ثمة من يعرف . ولكـــن الطبقات المختلفة تتخذ مواقف متباينة ازاء الميثاق المقبل .

وبالصدفة قابلنا رأسمالى مصرى ، اممت مشروعاته ، هز كتفيه وقال فى استياء :

" ما أريده هو الوضوح ... اذا كنا نبنى الاشتراكية... فلماذا تبقى كل هذه الرأسمالية عندنا ؟ واذا كنا نبنى رأسمالية فلماذا كل هذه التأميمات ، وهذا الحديث عن الاشتراكية ... أريد أن اعرف بوضوح ما الذى نبنيـــه ؟

وتحدثنا مع عمال ... حدثونا عن آمالهم للمستقبـــل ، عن رغبتهم فى أن يروا فى الميثاق الوطنى ضمانات ضد البطالة ، وضد الاستغلال ، ضمانات من اجل الحريات الديموقراطيـــة وتوسيعا للحقوق النقابية ، وسبيلا لرفع مستوى معيشتهم .

وأخبرنا وزير العمل ، السيد كمال الدين رفعت ، بصراحة :
أن وضع العمال فى القطاع الخاص ، صعب جدا ، وخاصة
فى المشروعات الصغيرة • ان يوم العمل يتراوح مابين ١٢ او ١٤
ساعة • العمال ينالون أجورا ضعيفة ، ويضهدهم اصحاب
العمل • نحن نحاول اتخاذ اجراء اتلتحسين وضعهم ولكن
ذلك ليس سهلا •

اما فى القطاع الاشتراكى ، فالوضع افضل ، اذ بموجب
قانون عام صدر العام الماضى ، ينفق ٢٥ ٪ من الارباح على
أحتياجات العمال •

ولكن اى نظام تقيمون ؟ سألنا الوزير ••• فأجاب وهو
يبتسم " سيخبركم الرئيس نفسه بأفضل مما استطيع "

واستقبلنا الرئيس جمال عبد الناصر فى مقره بهيليوبليس،
من ضواحى العاصمه ، حيث جرت محادثه استغرقت ساعتين •
وحدثنا جمال عبد الناصر عن خصائص الثورة المصريه ،والاصلاحات
الجاريه فى ج • ع • م • قال الرئيس : " كان لنين يقول
أنه بالاساليب الثوريه وحدها يمكن انتزاع السلطة من البورجوازية
••• ونحن ايضا انتزعنا السلطة باساليب ثوريه ••• ولكننا
نريد ان نبنى الاشتراكيه بوسائل سلميه •

ان تصورنا للاشتراكيه يختلف عن تصوركم •• والخلافات
الاساسيه بين ثورتنا وثورتكم ، أنه وفقا لما كتبه ماركس ولنين

تعتبرون ديكتاتورية البروليتاريا قضية حيويه ، بينما نرى نحن ان

ديكتاتورية البروليتاريا يمكن الاستغناء عنها ... نحن ضـــد
ديكتاتورية أى جانب على الجانب الاخر .

ان تطور الثورة فى بلادنا قد سلك طريقا خاصا . لم يكـن
لدينا تنظيم سياسى . ولاحزب يمكن ان تتجسد فيه اهدافنـــا .
كانت فى البلاد احزاب ، ولكنها خدمت مصالح الرأسماليـــن
والاقطاعيـــن .

ولقد حاولنا خلق تنظيم سياسى يوحد الشعب كله ، ويتعاون
بداخله ممثلوا مختلف قطاعات المجتمع على أسس التعايش السلمى .

ولم يطل بنا الوقت، حتى تبينا ان الرجعيه ترفض التعاون ،
وأنها تريد الاطاحة بنا . وقررنا ان نبعد الرجعيين من التنظيم
السياسى . ونحن نقر بوجود الصراع الطبقى ونؤيد الصـــراع
ضد الرأسماليين والاقطاعيين .

ان ما نريده هو تحقيق العداله ، ازالة سلطة الاقطاعيـــن
والرأسـماليين . وخلق مجتمع يخدم مصالح الجميع . ولا يقـــوم
على الاستغـــلال .

وبعد إن اكد الرئيس مرة اخرى . ان الخلاف الاساسى بين
الاشتراكية السوفيتيه . والاشتراكيه المصريه هى ديكتاتوريـــة
البروليتاريا . انتقل الرئيس لنقطة خلاف هامة اخرى .. وهـــى

الموقف من الدين .. وعلى اساس ان كل الانبياء ، محمـــــد والمسيح والاخرين ظهروا في الشرق الاوسط .

أعلن الرئيس ان الاسلام دين اشتراكي ، وفي نفس الوقت اشار الى الدور الرجعي الذى لعبه جانب معين من رجـــــال الدين ، وأكد ضرورة نشر التعليم . وعلى أية حال فقد اشـــار الرئيس اكثر من مرة الى انه لا تعارض بين الدين والتعليم .

وفي نهاية حديثنا أشار الرئيس الى العلاقات بين ج ٠ ع ٠ م والاتحاد السوفيتي ... قال الرئيس " اننا نحتاج الى فهــم متبادل اكثر ... وليس هذا بالامر الهين ، اذا ماراعينا اختلاف نظرتنا لعدد من القضايا .

نحن نحتاج الى تعاون اقتصادى اكبر ، وتبادل تجـــارى اكبر مع الاتحاد السوفيتي . انني احب الشعب السوفيتي ، ولـن انسى الرقة والمشاعر الطيبه التي لمستها في زيارتي للاتحـــاد السوفيتي ، لقد تحدثت عن ذلك للجميع ... ان الاتحـــاد السوفيتي يقف من اجل السلام وتطوير بلاده . انه لن يبـــدأ الحرب أبدا. ، وسيناضل دائما من اجل السعادة ، والرخـــاء والسلم .

والميثاق يحتوى على الدعوى المذكورة عن الاساس الديني "للاشتراكية العربية " ويؤكد الحاجة لتذويب الفـــوارق بين الطبقات " سلميا " .. وحماية الملكية الخاصه .

وهكذا فان الميثاق لا يعكس التطورات التى انجزت فى ج • ع • م بعد الثورة فحسب ، بل ويعكس أيضا التناقضات الموجودة فى التطور الاجتماعى لهذه البلاد

وستثبت الحياة ما الذى سيعطيه الميثاق لشعب ج • ع • م فالمرء لا يملك الا الموافقه على ما جاء بالميثاق من أن : " الجهود المتواصله هى وحدها القادرة على الوصول الى الاحلام •وليس من حق احد فى هذه المرحلة ان يخدع الجماهير بالمنى • ان التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظه عاليه الرنين •

ولسؤ الحظ — كما يجب ان نلاحظ — ان هذه النقطة لم يلتزم بها بعض الصحفيين فى الجمهورية العربيه المتحدة • لقد بدأوا خداع الجماهير " فى هذه المرحلة " كما فعلوا من قبل •

وامامى الان سلسلة مقالات للمدعو جلال كشك من مجلة روزاليوسف ••• ومن الصعب القول ما الذى يشيع فيها •••• الجهل أم الحقد ؟

ان الكاتب يهاجم تعاليم الماركسيه — اللينينية • ثم يصرخ : " ان اشتراكيتنا تشكل تحديا سياسيا وفلسفيا للماركسية " ويهاجم ديكتاتورية البروليتاريا ••• ويدافع عن الملكية الرأسمالية الخاصه ••• واهانات طائشه للشعب السوفيتى ، وانجازاته العظيمة التى مهدت الطريق لنجاح حركة التحرر الوطنى فى آسيا

وأفريقيا ، وأمريكا اللاتينيه • وجلال كشك يدعى الاصالـــه
فى هجومه على تعاليم الاشتراكية والاتحاد السوفيتى • ولكنــه
فى الحقيقه يردد الكليشيهات المحفوظه المنحطه للدعايـــه
البورجوازية المعاديه للشيوعية •

ان اكثر الصحف والمجلات الرجعيه ••• الامريكيه والبريطانيه
والفرنسيه ستنشر مسرورة مقالاته •

ان فى " الميثاق " فقرة تقول : — " يجب الا ننس ان
الرجعيه لم تتم تصفيتها بعد " • والمقالات المنشورة فـــى
" روز اليوسف " تبين مرة اخرى كيف يعمل الرجعيون الذيـــن
يحاولون خداع الشعب المصرى بادعاء دفاعهم عن الميثاق الجديد
وفى الحقيقه يدعمون مراكز الاستعمار •

• •

• •

• •

• •

• •

• •

• •

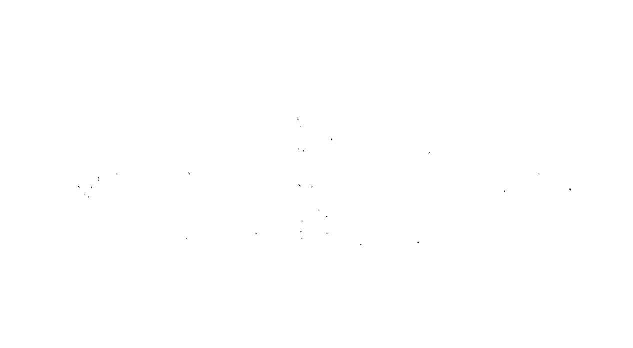
• •

• •

• •

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً .. كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ..
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ



الحرب الأبدية

قد يبدو غريبا أن نسلك الماركسية في طابور الغزو الفكري ، وأن نعدها ضمن اسلحة هذا الغزو ، مع أن الماركسية ، كما يشاع عنها ، حركة سياسية معادية للغرب ، ودعوة مادية ترفض الأديان ... ومذهب « أممي » لا يعترف بالحدود ولا بالقوميات ..

ونحن نعرف الغزو الفكري بأنه سلاح الغرب في الحرب الصليبية الثالثة بين الغرب الصليبي والشرق الاسلامي .. فكيف نقول أن الماركسية ، وهي كما وصفنا ، ضرب من الغزو الفكري ؟ !

تلك هي القضية التي نثيرها .. وعسى أن ننجح في إقامة الدليل عليها بادئين بتحديد ما نعنيه بالغزو الفكري :

الغزو الفكري ، هو معركتنا الحاضرة في الحرب الأبدية التي يجابهنا بها العداء الصليبي ، منذ أن خرجت الدعوة الاسلامية من جزيرة العرب تطلق صيحة التوحيد فتهز أركان الشرك ، وتنادي بأن للكون سيدا واحدا ، هو الله ، الأحد ، الصمد .. والناس بعد ذلك سواسية لا ميزة لجنس ، ولا لون ، ولا عنصرية ، ولا طبقية ..

وبذلك وضعت حضارتنا القائمة على التوحيد المطلق ، الأساس الحقيقي لتحرير الانسان ، ومساواته .. فعندما يصبح الشرك هو أكبر الكبائر ، وتنتفي شبهة الألوهية أو مرتبة ما فوق البشرية عن أي انسان .. كائناً من كان .. عندئذ تتحطم اسطورة ظل الله على الأرض ، حتى أن عمر يوصي بقتل الخليفة المنحرف ، فيراجعه « طلحة » :

– « وما عليك لو قلت : إن تعوج عزلوه » ! .

فيرد أمير المؤمنين عمر :

– « لا ... القتل أنكل لمن بعده ! » .

وبعد عمر بألف سنة يؤلف الفلاسفة الانجليز في طاعة الملك الظالم ! .

ولأننا قد سلمنا بألوهية الله وحده .. وبشرية الناس كافة فان لغتنا العربية لا تعرف لفظا يعطي معنى الارستوقراطية فنضطر إلى استعارة اللفظ الأجنبي .

ونحكم الدنيا ألف عام ... ولا نعرف الألقاب .. وما سمي الخليفة « أمير المؤمنين » الا استثقالا لقولهم : خليفة خليفة رسول الله ... والامارة عندهم تعني القيادة فالحديث يطالبهم بأن يؤمّروا ولو على ثلاثة ..

والسيادة في حضارتنا لا تورث ولا ترتبط بالثراء ..

فعندما يؤرخ المسلمون لمشاهيرهم : تراهم يقولون : « وكان سيدا في قومه » فهذه السيادة ليست نتيجة منطقية لثراء الشخص أو مركزه العائلي ..

ونظام الميراث الاسلامي ، الرائع ، قد قضى على أي احتمال لتراكم الثروة واحتكارها .. وهي السبيل إلى توارث الامتيازات الطبقية ..

وحضارتنا هي التي قالت : « سلمان منا أهل البيت » ..

وسلمان عبد فارسي ، وقائلها هو رسول الله ، وبيته أشرف بيت في العرب ... والعرب هم الذين – قبل قولته هذه صلى الله عليه وسلم بسنوات معدودة – قاتلوا الفرس في حرب ذي قار .. لأن كسرى كان قد طلب

الزواج من ابنة عامله النعمان بن المنذر .. فرفض النعمان أنفة واحتقارا للأعجمي الذي كان يلقب بملك الملوك .. !

واستدعاه كسرى إلى العاصمة ، وهناك طرحه تحت أقدام الفيلة ، ولكن القبائل العربية منعت ابنة النعمان أن يتزوجها ملك العجم .. لأنه لا يليق ! .

وكانت الحرب ..

عامل كسرى يرفض أن يزوج ابنته ... لأن كسرى أعجمي وابنة النعمان عربية .. ويغضب العرب لغضبة النعمان، ويقرون رفضه مصاهرة بيت ملك العجم ! .

وهم بعينهم .. العرب .. الذين علمهم الرسول ، أن العبد الأعجمي سلمان .. بإسلامه .. قد انتمى إلى أشرف بيت في العرب ! .

هذا هو الانقلاب الثوري .. وهذه هي الثورة التي لا تعرف في المبادىء مداهنة .. ولا مساومة ..

استغفر الله ..

بل هذا هو التغيير الذي لا يقوى على احداثه الا رسالة السماء .. فكم من ثورات تحدثت عن المساواة ، بل وفرضتها بقوة القانون .. ولكنها لم تستطع أن تتغلغل إلى القلوب ، وتنفذ إلى الضمائر ..

ولعل أقرب الثورات عهداً ، وأحراها بالمساواة ، هي الثورة الشيوعية ، التي تنفي العصبية الدينية ، وتعلن استبعاد القومية كعامل تفرقة بين الناس .. فما الذي حققته ؟ .

اعتدنا منذ استقلال أفريقيا أن نرى في مكاتب الاستعلامات الشيوعية صوراً تقليدية ، لشقراء كقطعة القشدة ، تحتضن في أخوة ، زميلا زنجيا .. والبشر والفرحة يعلوان وجهها .. وتحت الصورة ما يليق من التعليقات ، ولعنات مناسبة على دعاة العنصرية والتفرقة بسبب اللون أو الجنس أو العرق .. الخ ..

ولكن ..

تدافع الطلبة الزنوج إلى الدول الشيوعية ، وفتحت لهم الجامعات ، بل وأنشئت لهم جامعات خاصة .. لا عن تفرقة بل من فرط الاهتمام ..

فلما أحب الزنجي الشقراء .. وأحبته .. وجدوا جثته على الجليد ..

ولما تظاهر الطلبة الافريقيون احتجاجا .. صاح فيهم الطلبة الشيوعيون : عودوا إلى الغابة أيها القردة ! .

وحكاية أخرى :

« عندما أقمت [1] في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٥٨ كنت أعيش بالمستشفيات أو أتردد عليها ، وكانت تجري لي كل ثلاثة أيام عملية بذل بالجيب الأنفي ولذلك كانت مناديلي ملوثة دوماً بالدم ، وكنت آخذها هي وبقية ملابسي إلى مغسلة حكومية رخيصة لأن غسلها بالفنادق باهظ التكلفة ومع الزمن نشأت بيني وبين عاملة المغسلة العجوز — ولا يضعون سوى العجائز في مثل هــذه الأعمال — علاقة فيها اعزاز كبير رغم قبحها غير المعقول الذي كان يغطيه حنانها .. » .

وذهلت عندما اكتشفت مع تحسن لغتي التشيكوسلوفاكية بعد أربعة أشهر ، أنها كانت تظنني ، مع كل ملامحي الشرقية الأصلية ، طيلة هذه المدة ، رجلا انجليزيا ، لمجرد أنني أتكلم الانجليزية وأدخن سجائر أمريكية كانت تفرح بأن تأخذ بعضها لابنها ! واندفعت أصحح لها خطأها وأخبرها في طيبة قلب ، بأنني مصري ولست انجليزيا !

وسألتني مستنكرة :

— « أنت مصري ولست انجليزيا ؟ ! » .

---

(١) يرويها المرحوم « وسيم خالد » في كتابه : «الاشتراكية .. الشيوعية .. الأوروبية» ص ٦٣ .

وأجبتها « أنني أفتخر بأنني مصري ولست انجليزيا . »

وفي سكون أعادت وضع الغسيل في شنطتي وهي تتأفف عندما تمسك مناديلي من أطرافها كما لو كانت شيئاً نجساً وقالت :

— هذه مناديل قذرة مليئة بالدماء لا يمكن غسلها ! ..

وأجبتها في ضحكة باردة انني صحفي وأنني سأذهب في الحال إلى وزارة الخارجية لأخبرهم بامتناعها عن تسلم ملابسي بعد أربعة أشهر لمجرد أنها عرفت أنني مصري ولست انجليزيا !

وفي نفس التقزز أعادت فتح شنطتي وتسلمت الغسيل مرة أخرى وأعطتني ايصالا دون أن تنطق بكلمة واحدة » .

هذه الحيزبون التي يحكى عنها ، لم تفلح عشر سنوات من الحكم الشيوعي في استئصال داء التفرقة العنصرية من نخاعها .

لأن الايمان بالمساواة لا يمكن أن ينبعث من مجرد الايمان بوحدة المصالح فأنا وكلبي متفقة مصالحنا ضد الذئب .. ولا مجال لتناقضات بيننا ، وأيضاً لا مجال للمساواة ..

والشرطة تستطيع أن تجبر هذه العجوز التشيكية على أن تسلك في تصرفاتها ، بما يتفق وقوانين المساواة .. ولكن أن تنبعث هذه المساواة من القلب .. فذلك يحتاج أولا الى ايمان بالوحدانية .. بأن الله هو الأحد الصمد .. ثم بأن « كلكم لآدم وآدم من تراب » ..

ولا سبيل للقول بأنها عجوز لم تفلح فيها تربية عشر سنوات من الحكم الشيوعي ، حيث أجهزة الدعاية وأساليبها قد وصلت الى مدى لا تعرفه البشرية من قبل .

دعوة الاسلام جعلت عمر بن الخطاب يتغير من جاهلي يزعمون أنه دفن ابنته حية .. الى عمر بن الخطاب الذي يرتعد ويبكي هلعاً عندما يسمع طفلا رضيعاً يبكي لأن أمه تجبره على الفطام حتى يسجل في كشوف المرتبات ..ويبيت عمر يبكي ويعاتب نفسه « ويلك يا عمر ! .. كم قتلت من أولاد المسلمين » ..

وعند الصباح يأمر بصرف المرتبات لكل من ولد .. حتى لا يحرم رضيع من ثدي أمه ..

تعاليم ديننا هي التي تجعل أبا ذر ، قاطع الطريق في الجاهلية ، والذي يضرب « كعباً » بالعصي في مجلس أمير المؤمنين ، ويعارض معاوية ، حتى يكتب معاوية الى عثمان ، يشكو له أبا ذر .. أبو ذر هذا بتعاليم الإسلام يضع خده على الأرض ويطلب من بلال أن يطأ خده بنعله لأنه اخطأ وقال له يا ابن السوداء !

تلك هي تعاليم ديننا ، ما زالت حتى القرن العشرين ، تتحدى الحضارة الغربية الصليبية [1] .. فلا شك أن الصدمة كانت مروعة وذلك الغرب غارق في جهالات قرونه الوسطى ..

ولم يقتصر الأمر على هذا التفوق الحضاري والفكري ، بل شاءت ارادة الله أن ينتشر الاسلام ، وأن يتمركز العرب المسلمون بالذات في تلك الرقعة من الأرض التي يمكن تسميتها ببوابة آسيا وأفريقيا :

---

(١) من حقنا أن نسجل بكل اعتزاز أن وثيقة حقوق الانسان المعلنة في ديسمبر ١٩٤٨ لم تسجل حرفاً واحداً يمكن اعتباره متفوقاً على تعاليم الاسلام .. بل يستطيع الباحث المنصف أن يرجع كل مفاهيمها الانسانية الى المبادىء الاسلامية .

« منذ أن جمع « محمد » أنصاره الأولين في مطلع القرن السابع وبدأ أول خطوات الانتشار العربي ، أصبح على العالم الغربي أن يحسب حساب الاسلام كقوة دائمة وصلبة تواجهه عبر البحر الأبيض .. ان قوى الغرب المسيحية كانت تواجه العالم العربي على مدى ١٣٠٠ سنة في نهضته وانهياره [١] .

شاءت ارادة الله أن يجعلنا نحن حراس هذه البوابة .. لا بد لمن أراد الوصول الى آسيا وأفريقيا أن يمر بالعرب .. أن يقول كلمة السر لحراسها ليسمحوا له بالمرور ..

وقد تعلمنا من عبرة التاريخ ، أن الغرب الصليبي لا يمر من هذه البوابة الا غازياً .. سارقاً .. ناهباً .

لذا كان علينا أن نصده .. وكان على الغزاة أن يقتحموا البوابة بقتل حراسها أو أسرهم أو استرقاقهم .

ومن هنا ولد العداء الأبدي بين الغرب الصليبي [٢] والشرق الاسلامي والعرب بالذات ..

ونحن لا نتجنى .. ولا نتصور أشباحاً .. ولن يفزعنا قولهم : سلفيون متعصبون ! ..

لأن الذين يتحدثون عن الحرب الأبدية بين الشرق والغرب .. بين المسيحية والاسلام هم كتاب الغرب .. لا نحن .. للأسف !

وما زال بعض مثقفينا يرى أن مما يشينه أن يتحدث عن الأديان ! أو يتعفف عن الاشارة الى الطابع الصليبي لعداء الغرب للعرب [٣] ..

---

(١) من مقدمة كتاب « العرب » لانطوني ناتنج ، لندن ١٩٦٤ .

(٢) التعبير الشائع في الكتابات الغربية هو « المسيحية الغربية » .. وهذا ما نعنيه باصطلاح الغرب الصليبي .

(٣) أو ينصح ناقد ، شاعراً ، بتثقيف نفسه ليعرف أن حرب الجزائر لم تكن حرباً صليبية =

بينما نرى بأعيننا ونسمع ما يفعله المبشرون في جنوب السودان [1] ، ونرى أوروبا تبعث بثمانمائة مبشر مرة واحدة ، لافريقيا لمواجهة الزحف الاسلامي بعد الاستقلال .. وتكتشف بعد عشرين قرناً من مولد المسيح أنه من الممكن أن يكون الزنجي كاردينالا ! ..

وتغتبط صحيفة عربية لفتح كنيسة في إحدى المشيخات ، وتثني على شيخها الذي يرفض فتـــح مدرسة واحدة .. ومـــع ثناء هذه الصحيفة التي ترفض أن يتحدث الناس في بلادها باسم الاسلام لأن هذه طائفية ، ثم لا تخفي فرحتها بافتتاح كنيسة على بعد آلاف الأميال .. وفي أرض ليس فيها مسيحي واحد منذ ١٤ قرناً .. !

أقول مع ثناء الصحيفة تنطلق احدى وعشرون طلقة مدفع من مدمرة بريطانية تحية للكنيسة ! .

وفي نفس الأسبوع تبشرنا صحيفة أخرى ، أن اسبانيا وافقت لأول مرة منذ زوال الحكم العربي ، على فتح مسجد في اسبانيا ، بعد أن عاشت خمسة

= بل حرب خمارات لاجبار الجزائريين على زراعة العنب لصناعة النبيذ في فرنسا ! .

وماذا عن طابع البريد لمدينة الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي وهو هلال منكسر وصليب منتصر يعلوه كما يروي الجزائريون ؟!

وماذا عن اعلان « جي موليه (الاشتراكي) ورئيس وزراء فرنسا .. بأن الحركة الاسلامية التي تتسع في أفريقيا هي التي تهدد الامبراطورية الفرنسية في المغرب » وكذلك أعلن جورج بيدو « أنه يعز عليه أن ينتصر الهلال على الصليب » ويشهد الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانسون ، أن الاحتلال الفرنسي للجزائر كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من « الحروب الصليبية » (التبشير والاستعمار) .

(١) ان الحكومة لم تكن غافلة في يوم من الايام عن النشاط المعادي لوحدة البلاد ، الذي ظل بعض الاجانب من المبشرين يقومون به في جنوب السودان « من قرار الحكومة السودانية بابعاد المبشرين » .

قرون يحرم فيها بناء مسجد [1] .. وهي التي كانت درة الاسلام ثمانية قرون !..

خمسة قرون حكم اسبانيا ملوك وجمهوريون وفوضويون وشيوعيون وفاشست .. كاثوليك .. وديموقراطيون ، وملاحدة وكلهم رفضوا فتح المسجد ! .

وللمثقفين الذين يخجلهم الحديث عن الطابع الديني للصراع بين الحضارات .. أعيد كلمات كاتب مثقف جداً .. هو « ألن مورهيد » مؤلف كتابي « النيل الأبيض » و « النيل الأزرق » . ماذا يقول « مورهيد » :

« كان لدى غوردون ما يقوله عن التناقض بين المسيحية والاسلام في الشرق الأدنى [2] .

« منذ حملة نابليون لم تكن مصر تنتظر على يد المسيحيين الا الهزيمة والاذلال [3] » .

« بعد خلع اسماعيل والاعداد لاحتلال مصر كان السياسيون في باريس ولندن يتحدثون عن مؤامرة اسلامية خطيرة وتيار محمدي متعصب .. »

ويبرر الاحتلال البريطاني قائلا : « خلال الأسبوع الأول من يونية ١٨٨١ كان المهيجون يجرون في الشوارع صائحين : « يا مسلمين اذبحوا المسيحيين .. »

« ان العداء للمهدية في أوربا كان عميقاً جداً .. كانت أوروبا تحس أن العقيدة المسيحية نفسها تواجه تحدياً من هؤلاء القتلة المتعصبين في السودان » .

« في نهاية ١٨٨٣ كان يمكن القول بأن الصراع بين الاسلام والمسيحية قد وصل الى نتيجة مشرفة للطرفين ، فقد استولى الانجليز على مصر ولكنهم خسروا السودان » .

---

(١) ورفضت بريطانيا فتح مسجد ثان في لندن .

(٢) منها مثلا « حتى في الاسلام يمكن أن نجد بعض الفضائل ! » النيل الابيض ص ١٩٥ .

(٣) ص ٢٠٨

« لقد انتهت هذه القلاقل (ثورات عرابي والمهدي) — كما رأينا — بالهزيمة الساحقة للاسلام على ضفاف النيل .. ولكن ثبت أنها هزيمة مؤقتة ليس إلاّ .. ومنذ سنة ١٩٠٠ وهناك تقدم منتظم للاسلام في شرق افريقيا ووسطها ، وفي الوقت الحاضر يكسب المسلمون مؤمنين جداً أكثر من المسيحيين .. لذا فما من رجل عاقل ، يغامر بالقول بأن ذلك هو نهاية الأمر . التناقض بين الدينين .. الشرق ضد الغرب .. يبدو كأنه جزء دائم من الواقع الأفريقي وهذا الصراع يمضي أحياناً تحت الأرض ، وأحياناً فوقها .. ولكنه مستمر ومحتوم كالنيل نفسه » [1]

ها هو كاتب أمريكي « مثقف جداً » يكتب عن الصراع الأبدي والمحتوم، وقراء مثقفون في أوروبا وأمريكا يقبلون على قراءة هذا التفسير حتى يروج المؤلف وتطبع كتبه في جميع اللغات البيضاء فور صدورها !

العدو يرفع الصليب .. ويؤرخ حروبه كانتصارات للصليبية على الاسلام .. ثم يطلب من الضحية أن ترفض التفسير الديني !

وأيضاً ..

مجلة « حوار » ..

نحن نتهمها أنها وهي تصدر عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، تصدر عن منظمة استعمارية ، معادية لحضارتنا ، معادية للاسلام والعروبة .

نقول ذلك فلا يصدقنا « المثقفون » [2] « التقدميون » ويصرون على الكتابة فيها ، ويغمرهم الأسى والأسف لتعصبنا وتخلفنا .. ويحذروننا من التخلف

---

(١) ص ٣٧٦

(٢) «الحمد لله » أخيراً اعترف بالدور المعادي الذي تمارسه مجلة حوار في الفكر العربي .(ب)

(ملاحظة : هذا الحرف « ب » اشارة الى الزيادات في الطبعة الثانية . وج اشارة الى زيادات الطبعة الثالثة)

الفكري لا الغزو الفكري كما نزعم نحن ! [1]

وتأبى المجلة الا أن تفضحهم .. وهي مشكورة على صراحتها .. في العدد الخامس [2] كتبت تحت عنوان : « بهذه القيم نؤمن » :

« صدرت في أثينا في الشهر الماضي مجلة جديدة باللغة اليونانية اسمها « ايبوك » وتربطها أوثق الروابط بالمجلات الأخرى التي تصدر عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة [3] .. يحرر هذه المجلة الروائي والكاتب المسرحي انجيلوس تيرزاكيس ، ومن أعضاء هيئة تحريرها جورج سفيرس أبرز شعراء اليونان الأحياء .. وقد وردت في افتتاحية المجلة الراسمة لأهدافها ، المقاطع التالية : ان الحضارة الأوروبية المنبثقة عن التقاليد اليونانية والرومانية والمسيحية ، ترتبط في وعينا ببعض القيم وجماع هذه القيم يعطي صورة كاملة عن الانسان الذي كونته هذه الحضارة ..

اننا نصدر هذه المجلة ونحن نطمح الى اثارة هذه المعركة في الضمائر وتحريك القوى الثقافية والروحية في سبيل الدفاع عنها ، مستمدين حيويتنا من الماضي والحاضر ومن الجيل الصاعد الذي يحمل رسالة فتية صافية » .

هكذا قالت المجلة بالحرف الواحد .

اذن .. هذه مجلة تصدر في بيروت « العربية » تعلن على رؤوس الاشهاد انها تؤمن بقيم الحضارة الأوروبية ، المنبثقة عن التقاليد اليونانية والرومانية والمسيحية .

ان كان من حق هذه المجلة أن تؤمن بهذه القيم .. ألا يحق لنا نحن أن

---

(١) اعلن عن تبعية مجلة « حوار » رسمياً للمخابرات الامريكية واضطرت الى التوقف عن الصدور وعين مراسلها محرراً تقدمياً في مجلة الطليعة الصادرة عن «الأهرام» وعين رئيس تحريرها في جامعة بالولايات المتحدة . فتأمل ! (ج)

(٢) تموز – آب « يوليو – اغسطس » ١٩٦٣ .

(٣) ومنها مجلة حوار .

نغضب لحضارتنا المنبثقة عن التقاليد العربية والاسلامية ؟

لماذا تستبعد حضارتنا نحن ؟ .. لماذا لم تكلف هذه المجلة التي تنتمي للمنظمة العالمية لحرية الثقافة (يا للاسماء الكبيرة) لماذا لم تكلف نفسها عناء الاشارة الى حضارتنا ، ولو بكلمة ؟ الا تستحق أن تضاف ولو كعامل ثانوي لمكونات قيم الانسان المعاصر ؟! ..

حضارتنا تستبعد .. وحديثنا عن العروبة عنصرية .. واشادتنا بالاسلام تخلف ؟!

ولو تحدثنا عن ماضينا .. فنحن سلفيون ، ننسج من خيوط ماضينا الشرنقة الذهبية .. وتظهر لنا « هوام» تعلن أنها تريد بناء «مستقبل يختلف عن ماضينا» ! [1]

أما مجلة « ايبوك » فتستمد حيويتها من ماضيها اليوناني والروماني والمسيحي .. وتأتي « حوار » الصادرة في بلد عربي .. ويحرر فيها عرب .. فتعلن على رؤوس الأشهاد : « بهذه القيم نؤمن » ..

ترى هل نؤمن نحن أيضاً بهذه القيم .. الرومانية والمسيحية .. أم نؤمن بحضارتنا العربية والاسلامية ؟ !

اللهم فاشهد أننا لسنا المستضعفين في الأرض ..

وتوينبي أيضاً .. ماذا يقول :

« بالنسبة للمجال الاقتصادي تعتبر الجرأة الاقتصادية التي يتسم بها العالم الغربي المعاصر — الى أبعد حد — أعظم تراث خلفته عقيدة دينية لحضارة انبثقت عنها [2] .. » .. « ان الأداة العجيبة الجبارة للتكنولوجيا الغربية ما تزال تبدو كنتاج جانبي للرهبنة المسيحية الغربية » .

---

(١) حقاً لقد بنوا وما أشد اختلافه يا عارنا (ج) .

(٢) مختصر دراسة للتاريخ ج ٣ ص ١٥٦ .

ويصف نفسه بأنه من « المؤمنين بأن الدين هو أهم ما في الوجود »[١] « الدين إحدى الملكات الضرورية للطبيعة البشرية ، وحسبنا القول بأن افتقار المرء للدين يدفعه الى حالة من اليأس الروحي تضطره الى التماس العزاء الديني على موائد لا تملك منها شيئاً »[٢] .

ويروي جيلاس عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اليوغوسلافي سابقاً[٣] :

« كان الجنرال كورنيف رئيس البعثة السوفيتية في يوغوسلافيا يقص علينا دائماً ، كيف أن أناساً كثيرين ، وبينهم مسؤولون ، اعتبروا العودة الى الارثوذكسية ، خلال خطر داهم من الألمان عاملا روحياً ضرورياً ، وكان الجنرال كورنيف يقول إنه لا مانع من انقاذ روسيا بواسطة الأرثوذكسية»[٤] .

أريد أن أقول إن الحضارة الغربية ما زالت عند صليبيتها وإن الدين عامل أساسي في تكوين هذه الحضارة . . وحكاية نبذ الدين ، وعصر العلم ، والتفسير المادي . . كلها ليست الا خدعة من طراز الخدعة المنسوبة « لعمرو بن العاص » رضي الله عنه ، عندما دعا « أبا موسى الأشعري » الى خلع صاحبه ليثبّت هو صاحبه . . فهم يدعوننا الى خلع

---

(١) ص ١٧٣ .

(٢) ص ١٧٩ .

(٣) محادثاتي مع ستالين ص ٤٧ .

(٤) هؤلاء الروس الملاحدة كان يعنيهم بقاء روسيا التي يحكمونها فلم يترددوا في الهاب حماسة الجماهير باسم الدين . اما العملاء الذين ينحصر دورهم في تسليم البلاد للعدو فيدعون المقاتلين عشية الحرب إلى الكفر بالله والإيمان بأنه لا جنة ولا نار بل هذه الحياة وحدها ! ! (ج)

الاسلام ليثبتوا صليبيتهم .

أو كما قال شكيب أرسلان : « اذن قصة أن أوروبا أصبحت بلا دين .. وأن حكوماتها قد أنكرت المسيحية ، وأن علينا نحن من أجل الرقي أن نقطع علاقتنا بالاسلام ، هذه المعلومات لم تصل الا الى أنقره فقط [1]

* * *

(١) اعلام العرب ص ٢٩٩ عن الشورى ٨ مايو ١٩٢٩ .

تطويق العالم الإسلامي

هذا الصراع الأبدي بين الغرب الصليبي ، والشرق الاسلامي ، والعربي بالذات ، قد اتخذ صورا عديدة .. أولها الحرب الصليبية [1] .. عندما استطاع البابا « اربان الثاني » أن يثير صليبية أوروبا من أجل إبادة المسلمين .. فجاءوا إلى الشام ، وخاضوا في دماء المسلمين ، كما اعترفوا في زهو ، في تقاريرهم .

« وبعد حصار دام تسعة أشهر اقتحموا أنطاكية .. ومن انطاكية انطلقوا إلى فلسطين تاركين وراءهم جثث مائة ألف مسلم .. وخلال أسبوع كان يجري ذبح النساء والأطفال والعجائز عسكريين ومدنيين .. عربا ويهود .. في مذابح لم تفقها في وحشيتها مذابح أخرى حتى جاء المغول » [2] .

ولكن الهجوم الصليبي انتهى بالفشل ، فقد أثار مقاومة المسلمين ، وتدفقت دماء جديدة من شعوب مسلمة ، جددت الحضارة ، ودافعت عن الاسلام بعد أن رقت الدماء العربية ، ووهن الساعد العربي .. فحمل اللواء الأكراد ثم

---

(١) ٤٩١ هجرية – ١٠٩٧ ميلادية .

(٢) كتاب « العرب » لانطوني ناتنج ص ١٧٠ – ١٧١ .

الشراكسة .. ثم العثمانيون .. وذادوا عن الهلال .. بل طاردوا الغرب حتى أسوار فيينا .

وبمرارة تثير السخرية يلخص « رشتر » هزيمة الحروب الصليبية قائلا : « جهد الصليبيون طوال قرنين لاستعادة الأرض المقدسة من أيدي المسلمين المتعصبين ، فكان عهد الحروب الصليبية من أجل ذلك أروع العهود في العصور الوسطى كلها .. ولكن ذلك الجهد قد خاب ، وتراجعت الحملة الصليبية أمام سدود عنيدة من التعصب الاسلامي »[1] .

صدنا للغزو الصليبي كان تعصبا ! .. ما أشبه ذلك بالتقدميين المعاصرين الذين يصفون مقاومتنا للغزو الفكري بالتعصب ! ..

وبهزيمة الصليبيين ، أيقن الغرب أن المقارعة وجها لوجه لا تجدي . فبدأت سياسة تطويق الاسلام .. وتخريبه من الداخل . انطلقت السفن تطوق العرب .. فطافت حول افريقيا ، تنهب وتدمر وتقيم أكبر سوق للرقيق في تاريخ البشرية .

وأغارت على الأطراف القصيّة من الوطن الاسلامي.. أندونيسيا.. الفليبين.. الملايو .. أفريقيا الغربية .. الهند .. إلى جانب التوسع الروسي في آسيا المسلمة .

وقد وصف « توينبي » نهاية هذه المرحلة .. أي مرحلة التطويق بقوله :

« وهكذا في لمحة البصر ، اختطف البرتغاليون من أيدي العرب ، السيادة البحرية على المحيط الهندي .. بينما كان الرواد البرتغاليون المجتهدون شرقا يحدقون ــ بحركة خاطفة من التوسع البحري للغرب ــ بالعالم العربي الاسلامي من الجنوب . كان ملاحو الأنهار من القوزاق يتجهون شرقا ويوسعون حدود العالم الروسي ، بنفس السرعة والاكتساح ، وذلك باحداقهم بالعالم الايراني

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٥

الاسلامي من الشمال ، ولقد فتح الطريق أمام القوزاق ، القيصر المسكوفي ايفان الرابع حين استولى على قازان عام ١٥٥٣ ، اذ كانت قازان قلعة العالم الايراني الاسلامي عند حدوده الشمالية الشرقية » .

« وهكذا – يقول توينبي – في غضون فترة تقل عن القرن لم يقتصر الأمر على الاحداق بالعالم الاسلامي – الذي كان شركة بين المجتمعين العربي والايراني ، ولكن أمكن تطويقه تماما . ففي أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر ، وضع الطوق حول رقبة الفريسة » « كما انقضى وقت طويل قبل أن ينتبه المسلمون أنفسهم إلى ما يجب عليهم عمله لمجابهة الموقف ، وتبلور هذا العمل بالنسبة للجانبين الغربي والروسي ، في الانقضاض على فريسة عاجزة عجزا واضحا [1] » .

وجنبا إلى جنب مع عملية التطويق بالمدفع والجيوش كان التسلل إلى داخل القلعة .. عن طريق المبشرين .. قال « أودين بلس » في كتابه « مشروع التبشير » « أن أول من تولى التبشير هو « رامون لل » الأسباني بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها ، فتعلم اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الاسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة » .

كانت عملية التطويق مستمرة ، وكان على المبشرين القيام بمهام التجسس ، استطلاع نقط الضعف وكشفها في داخل القلعة، العثمانية، في ذلك الوقت، وشراء العملاء وبث الاعوان ، ونشر الفتن ..

والمبشرون أنفسهم يعترفون بالعجز عن تحويل المسلم عن دينه .. يقول « شاتليه » في البحث الشهير المعروف باسم « الغارة على الاسلام » :

« من النادر المستغرب أن تقع حوادث التنصير في بيوت السادة العلوية ،

---

(١) توينبي مختصر دراسة للتاريخ ج ٣ ص ٣٠٩ – ٣١٠ .

وبين الباتان (الأفغانيين) الخلص الموجودين في بلاد الهند ، أو مشايخ الهند وجيرانهم الأفغانيين والأتراك والتركمانيين ، والعرب الحقيقيين والبربر »[1] . أي كل المسلمين .. ولله الحمد !..

ونفس الخيبة يعترف بها المبشر رايد فهو يقول : « ثم أن ذلك الحاجز العظيم الذي يدعى عادة بالتعصب ، هو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره ، قد بناه الاسلام حول أتباعه ليحميهم في داخله ، وليترك المبشر خارجه . انه جدار طالما أثبت ، مع الأسف ، أن تسلقه أو اختراقه مستحيل . ان رجالا (يقصد المبشرين) قد عملوا سنين متوالية ، وفي مدينة واحدة ، ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقاً أو صديقين [2] .

هذا السور العظيم من التعصب ، هو التفوق « العقائدي » الساحق الذي يستشعره المسلم ، والذي يجعله ، وان صبر على سخافاتالمبشرين ، تحميهم الأسلحة الأتوماتيكية ، ويبتزون سكوته بمتاجرة رخيصة بالعلم الانساني .. بالدواء والعلاج بآلامه مقابل بعض التراتيل .

ان صبر المسلم ، المحتلة بلاده ، على هذا البلاء ، لا يعني اقتناعه بسخافات أعمالهم !..

وهذا الاحساس بالتفوق « العقائدي » عند المسلم هو سر بقاء الأمة الاسلامية وعصمتها من الفناء ، رغم وقوعها تحت التفوق الساحق لخصمها الشرس ، الذي يملك من وسائل الافناء والتدمير ما لم يتح لمنتصر على طول عصور الافناء والتدمير ، وعلى كثرة ما انقرض من الأمم وباد من الحضارات..

يقول الن مورهيد :

« قد يتبادر إلى الذهن أن نفوذ المسيحية الغربية كان عظيما جدا في هذه

---

(١) ص ١٢ .

(٢) ص ٤٧ .

الرقعة المضطربة ، ما دامت تظاهره الأسلحة الغربية ، ولكن الأمر لم يكن على هذا النحو .. بل لم يستطع أحد من المسيحيين الغزاة منذ بونابرت إلى يومنا هذا .. أن يثبت عقيدته على ضفاف النيل .. ولا يزال كل من الامام المسلم ، والقس القبطي ، رابضا في موقعه بثبات كما كان دائماً .. ومن هذه الناحية على الأقل ، فان سكان وادي النيل لم يقهروا أبداً » [١] .

ومع ذلك فلا يمكن القول بأن التبشير قد فشل في مهمته .. لأننا لا نصدق أن التبشير كان لهدف ديني .. لهداية الضالين .. بل كان رسول الاستعمار المتوحش الظالم .. ولو كان للهداية لما استهدف الوطن العربي .. فنحن لا نحتاج إلى مبشرين .. على أرضنا ظهر المسيح .. وفي بلادنا أقدم الكنائس [٢] والتبشير عملية عدوانية سواء على المسلم أو النصراني العربي[٣] .

ولا حاجة لتأكيد الخلاف الحضاري والتاريخي ، بين المسيحية الصليبية الغربية [٤] التي نعنيها بنقدنا ، وبين نصرانية الشرق التي هي جزء من حضارتنا .

التبشير لحساب كنائس الغرب عمل عدائي ، ليس ضد المسلمين وحدهم بل ضد الكنائس الشرقية أيضاً .. والتبشير كان يمهد للغزو المسلح ، ثم يدعم

---

(١) النيل الازرق ص ٢٧٦ طبعة لندن .

(٢) تعتمد الجمعيات التبشيرية في تمويلها على جهل مواطنيها . ونحن نذكر قصة الامريكية العجوز التي أفعمت سروراً عندما اكتشفت أن الشاب الفلسطيني مسيحي . فسألته والدموع في عينيها .. أي جمعية تبشيرية قامت بتنصيره ؟ فقال لها انه هو وأجداده نصارى . لانه من القرية التي ولد فيها السيد المسيح ! .

(١) من مقال لرشيد سليم الخوري : « أن طوائفنا العديدة .. قد زيدت بفضل تعرفنا على الارسالية الامريكية طائفة جديدة اسمها الطائفة الانجيلية .. وكم أنفق الأمريكيون .. لكي يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه .. كأننا أشد افتقاراً الى فضائل المسيحية من الأمريكيين أنفسهم ! » .

(٢) رأينا كيف يميز كتاب الغرب أنفسهم بين المسيحية الغربية والكنائس الشرقية . وقد شرحنا أسباب تفرقتنا بين نصارى الشرق وبين الصليبية الغربية في أوربا في كتابنا الغزو الفكري (ب)

النفوذ الاستعماري .. ويشهد بذلك المبشر السابق ، والذي أسلم وتسمى ابراهيم خليل أحمد [1] .. اذ يقول بعد خبرة سنوات في العمل مع المبشرين :

« يعمل المحفل العام على تمكين النفوذ الاستعماري في البلاد الآسيوية والافريقية تمكينا سياسيا واقتصاديا ، يجعل تلك الشعوب تؤمن ايمانا راسخاً أن لا حياة لها ، الا بمساندة الدول الاستعمارية (انجلترا أو أمريكا)[2] » .

« لقد سخر المستعمرون منا ، ونحن نهلل لخروجهم ونطبل لجلائهم . وما كنا نعلم أن جيش المبشرين لا يقل خطرا على استقلالنا ، وخطرا على حريتنا عن قوة المحتلين وجيش الاحتلال » [3] .

« ولكم وددت لو أنه أخذت صور عديدة لكنيسة « واو » وبداخلها عشرات البنادق التي وجدت بداخلها ، فان صورة كهذه لتعد أبلغ دليل وأقوى شاهد على أن الانجيل في كنائس الجنوب قد تحول على أيدي القسس والمبشرين الأجانب إلى بنادق ، ليقتل بها أبناء الوطن الواحد بعضهم بعضاً » [4] .

« تحت ستار الدين يجمعون التبرعات .. وتحت أقبية الكنائس يدربون برادعهم على أعمال التخريب .. وفي خارج البلاد تنظم شبكاتهم ومن خلفها قوى الاستعمار أقذر الخطط لفصل الجنوب [5] » .

ويكشف المبشر البروتستانتي السابق ، كيف تدير الكنيسة الأمريكية العمل في تكتم وسرية وترفع ، حتى عن التابعين لملتها من الوطنيين :

« ان المرسلين الأمريكيين هم السدى واللحمة في نسيج الكنيسة الانجيلية

---

(١) قسيس الكنيسة الانجيلية بباقور محافظة أسيوط سابقاً .
(٢) المستشرقون والمبشرون ص ٢٩ .
(٣) جريدة « الثورة » السودانية .
(٤) « الرأي العام » السودانية .
(٥) السودان الجديد .

المشيخية ، وهم يستأثرون باجتماع خاص لهم ، لا يسمح لأجنبي بالدخول فيه، وينعقد هذا المجتمع في أواخر شهر يناير من كل سنة ، ومقره الدائم كليـــة أسيوط الأمريكية الثانوية بأسيوط » [١] .

من غير المعقول أن نقبل هذه الوصاية الدينية علينا .. وكنيستنا تباشـــر طقوسها قبل أن يتنصر أي أمريكي بخمسة عشر قرنا على الأقل .. [٢] .

كان هدف التبشير كما رأينا ، هو التمهيد للغزو المسلح ؛ ثم تدعيم هذا الغزو .. ولكن خبرة المبشرين أثبتت استحالة تنصير المسلمين ، بل اكتشفت أن الهجوم السافر يستفز عناصر المقاومة ولو من باب العصبية . كذلك كان المبشرون يعرفون أن عصر السيطرة الاستعمارية إلى زوال ، وأن القوة المسلحة التي ساندت تصرفاتهم الوقحة .. زائلة .. ومن ثم أعدوا سلاح الغزو الفكري :

أي اعادة ترتيب عقل المسلم ، بحيث يفكر منطلقاً من مقدمات صليبية يأخذها على أنها هي الحقائق ، فيخرج منها بنتائج صليبية دون أن يخلع دينه ، ولا حاجة إلى تعميده بالماء المقدس فقد عمد بالفكر غير المقدس ..

وإذا تشرب المسلم طقوس الحضارة الغربية ، واطمأن اليها ، بل وأيقن بتفوقها عليه .. لا مجرد التفوق المادي ، بل أيضاً الفكري ، والروحي .. انهارت مقاومته .. وأصبح كالمدينة المفتوحة ، مستباحة لكل ناهب ومقتحم ..

ان سبيل البعث لكل حضارة . هو ايمانها بتفوقها ، اعتزازها بخصائصها ..

وما أسخف أن نتهم بمعاداة التقدم العلمي أو التكنولوجيا الغربية ! . بالعكس ..

---

(١) المستشرقون والمبشرون ص ٤٧ .

(٢) « ان الله لم يقل إنه لا يقبل دعاء السود الا اذا جاء عن طريق البيض » .

« ان المسيحية ليست تكنيكاً عصرياً استوردناه من أوربا وأمريكا وتحتاج أجهزته الى خبراء اجانب » صحيفة أنباء السودان .

ان هذه التكنولوجيا ، هي التي قهرتنا وأذلتنا ومكنت لكل حقود لئيم لكي يبدي شماتته فينا .. ان هذا التفوق الآلي ، هو الذي سمح لقيم أكثر تخلفا وأقل سموا من أن تسود قيمنا الأعلى والأسمى ..

اننا ونحن نؤمن بالحرب الأبدية ضد الحضارة الغربية ، ونؤمن أن هذه الحضارة لا يرضيها فينا إلا الافناء أو الاذلال.. نعرف أن علينا استيعاب كل صغيرة وكبيرة في حضارة العدو .

ان الذين يحسون بانتمائهم لهذه الحضارة الغربية ، وانتسابهم لها .. لا يحرصون في الحقيقة إلا على استيراد بعض منتجاتها ، أما الذين يعدون أنفسهم لحرب مصير ضدها ، ويؤمنون أنهم ورثتها .. فهم يجبرون على الغوص في أعماقها لتلمس أسرار قوتها ونقط ضعفها .

والقضية بمنتهى البساطة ، تبدأ بالتسليم بانقسام العالم إلى مجموعات حضارية قد نسميها أمما ، بشرط ألا نلتزم بأي تعريف للأمة نابع من التجربة الأوروبية .. اذ أن الأمة والقومية لها خصائص خاصة في الحضارة الاسلامية ..

وهذه الأمم تتبادل الدورة الحضارية .. فليس في التاريخ ما يسمى بالحضارة العالمية .. بل هناك حضارة متفوقة ، وهي في سعيها للسيطرة على العالم ، تزعم أنها حضارة عالمية .. وباسم العالمية الأممية تدعو الآخرين إلى التخلي عن قوميتهم وسيادتهم ، تنحية حضارتهم ، والفناء أو الولاء لحضارتها المتفوقة ..

وبقدر ايمان الحضارة المتفوقة ، بالعالمية ، واصرارها على أن يسود الجنس البشري نظامها السعيد ، تكون وحشيتها ودمويتها [1] .

وانسانية حضارتنا تكمن في أنها لم تبشر بيوم يصبح الناس فيه أمة واحدة ،

---

(١) ليس هناك مثال أعلى واحدا ، وانما هناك أنظمة من التفكير لا حصر لها ، في هذه الارض « جيلا س » .

بل لعلها الحضارة الوحيدة التي آمنت باستمرار التمايز الأبدي بين المعتقدات ، اذ لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ..

وفي هذه الرقعة من العالم تواجه الحضارة المسيحية الغربية ، الحضارة الاسلامية العربية .

والغرب يفهم أفضل من بعضنا – للأسف – الارتباط الوثيق بين العروبة والاسلام ، ويفهم أن أنجع السبل لقتلهما معا .. هو فصلهما عن بعض ، او الوقيعة بينهما ليفصلا بأيديهما ما شاء الله له أن يتصل ..

ألا يقول « موروبيرجر » في كتابه العالم العربي اليوم :

« لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعني قوة الاسلام ، ونفس الشيء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الاسلام انتصارات واسعة في أفريقيا » .

ويقول المعلق الألماني « هنريش كاستر » :

« ربما كان من الخطأ أن نخلط بين الاسلام والقومية العربية ولكن لا يقل خطأ عن ذلك أن نحاول التغاضي عن العلاقة الوثيقة بين الاثنين » [١] .

وهذه المواجهة الحضارية ، يفهمها الغرب الصليبي على أنها حرب ابادة يتحتم عليه فيها ، أن يبيد الاسلام من هذه المنطقة .. وقد حاول ذلك بالسيف والصليب في الحروب الصليبية الأولى .. ثم بالمستشفى والصليب والأساطيل والمدافع والاحتلال العسكري في الحرب الصليبية الثانية .. ثم بالغزو الفكري .. بنسف الاسلام من الداخل .. في الحرب الصليبية الثالثة التي نخوضها اليوم ..

* * *

(١) راجع كتابنا « الغزو الفكري » .

إسلام إفريقية

الصراع بيننا وبين الغرب الآن ، يدخل مرحلة حادة وحاسمة لسببين :

السبب الأول : أن الغزو العسكري قد تراجع ، وهذا يستدعي من الغرب مضاعفة هجومه الفكري ، وكذلك سهلت مهمة هذا الغزو الفكري ، لأن الاستفزاز الصارخ الناجم عن وجود الراية الأجنبيةقد زال .. وزال معه ، أو قل خفتت ، حدة الرفض الشامل لكل ما يقوله المستعمر . وبالتالي سهلت مهمة الخونة والعملاء والمدلسين .

كنا في الماضي يسهل علينا الربط بين أقوالهم وصلاتهم وأسيادهم ، أما اليوم فيستطيع كل عميل أن يتستر بالوطنية والتقدمية والفكر الحر أو المتحرر ! .

وهم اليوم يضاعفون تخريبهم على نحو ما كان يجرؤعليه أسيادهم ..

لقد احتلت فرنسا المغرب العربي أكثر من قرن فلم تجرؤ على المساس بنظام الأحوال الشخصية ، وعندما حاولت أن تشرع قانونا يخرج البربر من دائرة هذا القانون .. جوبهت بمقاومة شاملة من العرب والبربر ..

ولكن .. أيتام فرنسا فعلوا بعد الاستقلال !

والسبب الثاني : الذي يزيد اشتعال العداوة بيننا وبين الغرب المسيحي ، ويثير الحرب الصليبية الثالثة .. هو استقلال أفريقيا .

والمعركة الدائرة الآن في افريقيا هي بوضوح .. معركة اسلام القارة .. أي استقلالها الحقيقي ، وتضامنها مع العرب « مادة الاسلام » كما سماهم عمر ابن الخطاب ..

أو استسلامها للمبشرين ، فترتبط بالغرب وتصبح اسفينا في ظهر العرب .

« ولو أنه من الصعب التنبؤ الآن .. الا أنه يمكن القول بأنه خلال الجيل أو الجيلين القادمين ، سيكون اسلام افريقيا فيما وراء الصحراء ، هو أهم عامل في تطور هذه البقاع الشاسعة [1] » .

والمطابع الغربية تخرج الآن كتابا كل يوم عن أفريقيا .. وما من كتاب يخلو من التحذير من خطر انتشار الاسلام في افريقيا .

وكل أجهزة الاعلام الاستعمارية مجندة الآن لتشويه المسلمين والعرب .. والحديث السمج عن الرق .. والزعم بأن المسلمين هم الذين تاجروا في الرقيق .. ناسين أن ملكة بريطانيا كانت تتقاضى حصة من أرباح تجارة الرقيق نظير استخدام أسطولها .. وأن البابا كان يتلقى هدايا .. شحنة من العبيد الأشداء ! .. ناسين أن سفن أوروبا الكاثوليكية هي التي نقلت إلى الدنيا الجديدة .. إلى أمريكا البروتستانتية .. أجداد عشرين مليون زنجي .. ما زالوا في الولايات المتحدة وحدها .. شاهدا حيا يخرس لسان كل صليبي .. يتشدق بالحديث عن الرق عند العرب ! .

« ان مستقبل نفوذ العرب في افريقيا .. ما بعد الصحراء .. ما زال غامضا .. ولكن الأمر الواضح هو وجود عوامل مضادة لنشاط الدول العربية في أفريقيا ..

اذ أن أي قدر من الدعاية والديبلوماسية لا يكفي لتغيير حقيقة أن العرب غرباء في وسط افريقيا وجنوبها .. ربما لا يمكن اعتبارهم أجانب بنفس الدرجة التي ينظر بها للأوروبي .. ولكنهم أجانب على أية حال ..

---

(١) العرب والعالم : تشارلس كريمنز .

وكفاح العرب الحديث ضد الاستعمار وسياسة التضامن الآسيوي - الأفريقي ، لم تمح بعد ذكريات أن العرب كانوا تجار العبيد في افريقيا (وسنرى أننا عن طريق أستاذ معهد الدراسات الأفريقية ، نساهم في ترويج هذه الأكذوبة المغرضة) .. ومحاولات المصريين اقامة امبراطورية أفريقية من عهد محمد علي إلى الخديو اسماعيل [1] » .

واسرائيل كعدو قومي تمارس الحرب ضدنا في أفريقيا بالهجوم على الاسلام والمسلمين .. وتهاجم الدول الاسلامية .. لأنهـــا تعرف ان الاسلام هو سبيلنا الوحيد لافريقيا .. ولا شيء غيره ..

يقول تقرير اسرائيلي :

« وبالرغم من وجود جماعات اسلامية كبيرة في افريقيا الغربية الا أن ذكريات تجارة الرقيق التي مارسها العرب ما تزال تحول دون التقارب بين الدول الافريقية الجديدة ودول الجامعة العربية [2] .

واسرائيل تخوف الأفريقيين من الحج .. نعم ! .. لأن اسرائيل تعرف أن موسم الحج كفيل بأن يربط الافريقي إلى الأبد بالاسلام والعرب .. فهناك يرى المساواة الحقيقية ، والأخوة الصادقة التي يتعطش لها الافريقي .

ولو أنفقنا ما في الأرض جميعا في الدعاية ما أثمرت مثل تأثير حجة واحدة يذهب فيها الأفريقي إلى مكة ، ويطوف مع الطائفين من كل لون وجنس .. ويلمس مع اللامسين الحجر « الأسود » أشرف حجر في الكعبة .. وان كان لا يضر ولا ينفع .

اسرائيل تعلم ذلك كله .. لذلك أنتجت فيلما اسمه « تجارة العبيد » علقت عليه « الاهرام » قائلة :

---

(١) العرب والعالم ص ٢٧٢ .. تشارلز كريمنز .

(٢) تقرير « هودافريبل » بمناسبة الدورة السنوية للجمعية العمومية لمنظمة « ادي ريجو » اليهودية العالمية ، بفندق « دي توري » بمدينة « فيرونا » بايطاليا بتاريخ ١٩٦٧/٣/٢٣ .

« أهداف الفيلم.. التشهير بالعرب والاسلام والمسلمين فضلا عن الأفريقيين، ويسير الفيلم في نفس الخط الدعائي الصهيوني الذي يستهدف الايقاع بين الدول العربية والافريقية ، فالعرب قوم لا يهمهم من الدنيا الا تجارة الجسد وشهواتها ، والعبيد وسيلة من وسائل لهو السادة العرب ، والعرب هم الذين يقومون بالاغارة على الأفريقيين العزل لاتخاذهم عبيدا لأن ثروة العربي تقدر بما يقتنيه من عبيد ، ويتخذ العرب من الحج ذريعة للإثراء عن طريق بيع من يسافرون معهم إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج »[1] .

---

(١) الأهرام ١٩٦٥/٣/٢٢ - (أعجب من هذا ، وأدعى للسؤال حقاً .. ان الكتاب الذي يطابق الفيلم الاسرائيلي في مادته ، وهو كتاب « تجارة الرقيق » الصادر في ١٩٦١ ، قامت « دار .... » بترجمته واصداره في ١٩٦٢ وكتبت تقرظه وتعرف به : « انه تصوير لمآسي الاتجار بالرقيق ، ووصف لما يحدث في المجاري الخلفية للخرطوم واديس أبابا وجيبوتي وعدن وصنعاء والرياض ، وفي أسوار الحريم في قصور بعض حكام الجزيرة العربية وامرائها » .

والكتاب دعاية صهيونية ساقطة تركز على التشهير بالعرب .. حتى شخصية الألماني المزعوم الذي يتاجر بالرقيق في الكتاب .. حارب مع المصريين ضد اسرائيل في ١٩٤٨ ورغم ذلك تصدره دار عقائدية عربية ! .. لمصلحة من نشهر بانفسنا ؟!

بل ان الكتاب يهاجم تحرر افريقيا : « لا بد من اعوام حتى يدرك « هؤلاء الافريقيون » (كذا) ان المخلوقات البشرية لا يحصل عليها كالحيوانات ، وان رحيل الأوروبيين عن افريقيا ليؤخر هذا الادراك بعض الشيء » . ص ٢٠٦ ولا تعليق من المترجم او دار النشر !

بل هو مع الانجليز ضد المهدي .. ضد الشعب السوداني ، يردد الاكاذيب الاستعمارية العفنة عن أول ثورة افريقية بل أول ثورة تحرر بلداً عربياً افريقياً ، وتبقيه مستقلا عدة سنوات في عصر سيادة الامبريالية ..

يقول الكتاب : « وقد عاد الرق الى سابق عهده في السودان ، وبدأ التجار عملهم يوم سقوط الخرطوم ، وأصبح كل الرجال الاشداء الذين ظلوا أحياء بعد المعركة ، جنوداً في جيش الدراويش ، أو عبيداً للأمراء ، واستخدمت القسوة العنيفة مع العبيد فكان جنود المهدي يستخدمونهم كحيوانات فتمردوا ولكن تمردهم سحق ، وأحرق من قبض عليه منهم حياً ، ونجح بعضهم في الهرب ، ولكن من اعتقل منهم عذب عذاباً يفوق التصور .. ومن نجا نهائياً انضم الى جيش كتشنر ، وساهم في « النصر » يوم الثاني من كانون الأول ١٨٩٨ ، في أم درمان ، النصر الذي سحق الدراويش ، ووضع حداً لتجارة الرق المنظمة ، وأقام السلطة البريطانية في السودان » . =

اسرائيل والغرب كله ، يعون خطورة انتشار الاسلام في أفريقيا .. ويدركون أن الاسلام هو الرباط الوثيق بين أفريقيا السوداء والعرب ..

يقول تشارلز كريمنز مستشار الحكومة الأمريكية لشئون الشرق الأوسط : « الاسلام . ولو أنه يعني القليل بالنسبة لعلاقات العرب مع تركيا وايران .. الا أنه يمكن أن يشكل صلة هامة بين العرب والمسلمين في حزام عريض جنوب الصحراء الافريقية .. ان ظاهرة من أكثر الظواهر اثارة في افريقيا المعاصرة هي السرعة التي يكسب بها الاسلام مؤمنين جددا بين الشعوب التي تخلت عن معتقداتها القبلية البدائية،وتنفر من المسيحية لأنها دين الرجل الأبيض . »[1]

وهنا أراني مضطرا إلى التوقف لأقدم للقارىء كتابا .. يردد نفس الأقاويل عن العرب والرق ! .

اسمعوا .. واشهدوا .. فأنا من المتعصبين :

« في خلال القرون التي أعقبت نزول المسلمين إلى « الدهلك » والمواني القريبة كان النشاط المثمر يظهر في تجارة الرقيق ، ولم يكن ذلك شيئاً جديداً ، فقد كان الساميون يعتبرون بلاد السود البلاد المختارة للغنائم من الرقيق (الساميون فقط .. تأمل !) ..

فقد كانت بغداد حاضرة الخلافة الاسلامية في ذلك الوقت وغيرها مـــن الحواضر الاسلامية (فقط ؟!) قد ذخرت بقصور الخلفاء والوزراء وكبار الدولة ، وأفرط القوم في اللذائذ يتفننون في الاستمتاع بها ، وكان كل خليفة

= هب انه من المصلحة مهاجمة الدول العربية والتشهير بها وتحريض الافريقيين على كراهية العرب والاسلام !فلمصلحة من مهاجمة التاريخ العربي والدفاع عن الاستعمار البريطاني .. من الذي اختار هذا الكتاب لكي ينشر في بلا دنا .. ومن الذي ترجمه .. ولماذا نشر ؟ .. واين هذا كله من « الغزو الفكري » ..

(١) العرب والعالم ص ٧٣ طبع في لندن ونيويورك لحساب « مجلس العلاقات الخارجية » .

يعلو درجة في سلم الترف عمن قبله ، وأكثروا من الرقيق ، فألحوا في طلبه حتى كان البيت الاسلامي وخصوصا بيوت الأغنياء عصبة أمم . فكان للرشيد على ما قيل زهاء ألفي جارية ، وللمتوكل أربعة آلاف من مختلف الأجناس أغلبها من أسواق النخاسة ، وانتشرت تجارة الرقيق في المملكة الاسلامية [1] » .

انتظر ! !

ليس هذا كل شيء .. إنه يقول :

« ولا نستطيع أن نغض النظر عن أثر الرق كعامل له قوته في تحديد الاختلاط الديني والسياسي ، وما ينتجه هذا الاختلاط من تطور ، فقد ساعد هذا الهجوم الخاطف السريع على انتشار الاسلام انتشارا واسعا في أفريقيا الوثنية على مدى واسع ، لأن القبائل الضعيفة التي كانت عرضة للهجوم المتوالي من جيرانها لم يكن لها مهرب أمامها إلا الارتماء في أحضان الاسلام » [2] .

هل أسلمت مصر خوفا من الاسترقاق ؟!

الاسلام يكتسح أفريقيا ، اليوم ، بلا سيف ولا رق ، . ورغم أنف القنبلة الذرية الأمريكية ..

اسمعوا :

« وكانت الدهلك بطبيعة الحال مركز تجارة الرقيق ، وخاصة بعد أن أنشئت فيها امارة لها أسطول تجاري ، عني المؤرخون العرب بالتغني به ، وقد امتد نفوذ حكام اليمن إلى الدهلك ، وأصبحوا يأخذون جزية من والي الجزر ألف رقيق ، نصفهم من النساء الاثيوبيات لنحافتهن ورشاقتهن ، وقد لاحظ كونتي روسيني أن هؤلاء النساء كن يثرن اعجاب الشباب » .

أي ذكريات طيبة يثيرها بين الاتيوبيين نحو العرب ؟!

---

(١) الاسلام في أثيوبيا ص ٥٧ .

(٢) الاسلام في اثيوبيا ص ٥٨

« فخلفهم أخوهم الرابع جمال الدين محمد بن سعد الدين ، فضم اليه « بالى وهديه » اللتين كانتا تخضعان للنجاشي وتدفعان له جزية سنوية ، فازدهرت في أيامه تجارة الرقيق مما كان يغنمه في غزواته على البلاد المسيحية ، فامتلأت أسواق الهند واليمن والحجاز ومصر والشام والروم والعراق وفارس برقيق أثيوبيا الذين سباهم » .

وأيضاً ..

« وتجارة الرقيق ، وما تدره من أرباح تفوق حد التصور ، تغري كثيرين على احترافها ، ولذا اشتغل بها عدد كبير من العرب ، فيمكننا اذن أن نتصور العدد الكبير من العرب الذي اشتغل بهذه التجارة وكون المراكز التجارية الكبيرة والصغيرة ، واستقر في هذه المراكز المنتشرة بين قرى شرق أفريقيا صغيرها وكبيرها » .

هل أكتفي ؟ ... لا .

« ولكن الاسلام وحَّد بين العرب وحدَّ من خصوماتهم ، وأوقف غزواتهم التي كانوا يشنونها على بعضهم ، كما حرم أن يسترق مسلم مسلما ، وبذلك نقص مورد من موارد الرقيق الذين كان يعتمد عليهم العرب في حراسة قوافلهم وزراعة أرضهم وخدمتهم ، فلا بد اذن من تعويض هذا المورد الذي قطعه عنهم اسلامهم ، وليس هناك من مكان يستطيع أن يسد هذا النقص سوى الساحل الافريقي للبحر الأحمر وما يسكنه من مورد لا ينقطع من شعوب سوداء فلا بد اذن من أن تنشط تجارة الرقيق بعد الاسلام عما كانت قبله ، وأن يشتغل بها عدد كبير ، وأن يحتاج إلى عدد ضخم من الأعوان والمعاونين [١] » .

أرأيت ؟! هذه هي علاقة العرب بافريقيا والشعوب السوداء : قبل

---

(١) ص ١٠٠ .

الاسلام تاجروا فيهم .. فلما جاء الاسلام نشطت التجارة أكثر ..

فهل اشتفى ؟! لا . . ليس بعد . وفي تملق للحكومة الأتيوبية ، يقول :

« ولكن نوعا من هذه التجارة لا يمكن أن ينشط برضاء الحكومة السليمانية القوية . ذلك هو تجارة الرقيق ، فلا يمكن لحكومة تحترم نفسها ، وتحافظ على رعاياها — أن تسمح أن يكون أهلها تحت رحمة هؤلاء النخاسين ، وخصوصا وأننا نعرف أن ليس هناك من شيء يعرضهم لهؤلاء التجار إلا كونهم مسيحيين (!!) فلو كانوا مسلمين لما تعرض لهم التجار بشر .. فلا بد أن هذه التجارة قد تعرضت لتضييق الحكومة السليمانية »[1] .

للاسلام رب يحميه ..

فلن نتحدث عن هذا الطعن في الاسلام والدس عليه ..

دعنا من ذلك ..

ولو اقتصر الأمر على هذه الشنشنة ، لما توقفنا عند هذا الكتاب .. ولاعتبرناه مجرد نشرة دعائية سمجة لسفارة اثيوبيا في القاهرة .. وحسبك بكتاب يقول أن الحبشة لم تعرف النظام الاقطاعي قط[2] .. فهذا المعجب بالحضارة الحبشية ، لا

---

(١) ص ١٣٧ .

(٢) في صفحة ١٣ من الكتاب المذكور .. واذا كانت الحبشة لم تعرف حتى الآن أن ذلك الذي تعيش فيه اسمه الاقطاع .. أما كان واجبه أن يعرفها ؟! ولكن لنسمع ماذا يقول أونالد لوتشيم في صحيفة سكوتسمان البريطانية « ابريل ١٩٦٥ » :

« طوال العام الماضي أخذت تدور في أثيوبيا عملية شد وجذب عنيفة حول مسألة تضرب في جذور النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي التقليدي لهذه البلاد .. والمسألة هي الاصلاح الزراعي الذي يعتبر مفتاح تحويل هذه المملكة التي يبلغ عمرها ثلاثة آلاف عام الى دولة زراعية حديثة .. ان المشكلة تتعلق أساساً بالسرعة التي يجب الأخذ بها .. ولا يشك أحد في أن اصلاحاً زراعياً رئيسياً سوف يحدث يوماً ما .. ذلك أن نظام تمليك الاراضي يكاد يكون نموذجياً للمجتمع الاقطاعي في أوربا العصور الوسطى ... ان ٣٠٪ فقط من سكان البلاد البالغ مقدارهم ٢٣ مليون نسمة يملكون أرضاً=

يستحق أن يؤخذ على محمل الجد ..

ولكن ..

الكتاب طبع في القاهرة .. والمؤلف دكتور مصري .. ويدرّس في معهد الدراسات الافريقية .

المسألة اذن أكبر من عصبية دينية .. أكبر من تزييف التاريخ أكبر من نشرات سفارات .. المسألة تمس سياستنا القومية في افريقيا .

هل نفتح معهداً للدراسات الافريقية لنعلم الطلبة الافريقيين فيه أن العرب هم تجار الرقيق ، وأن هذه التجارة تضاعفت بظهور الاسلام ! ..

أليس هذا تشهيرا بالعرب والاسلام .. ودسا عند الافريقيين ضد العرب والاسلام ؟! .

أروني مصلحة قومية واحدة ، أو شبهة مصلحة قومية في كتابة هذا الكلام .. ونحن نصمت فلا ننطق أبداً ..

لنقرأ مرة أخرى تعليق الأهرام على الفيلم الاسرائيلي « تجارة العبيد » .. ثم نقرأ الترجمة العربية على نفس الفيلم التي يقدمها معهد الدراسات الافريقية بالقاهرة لندرك أن الغزو الفكري أخطر بكثير من حملات الأعداء في الخارج ..

ان فيلما ينتج في اسرائيل سيقابل بالرفض من أصدقائنا في افريقيا ، وبالشك من جانب المحايدين ، وبالفرحة ولكن على استحياء من أعدائنا ..

= زراعية،وأكثر من نصف مساحة الأراضي المنزرعة يسيطر عليها « ١٠٠ » مائة من كبار ملاك الأراضي .. وفي ظل القانون الحالي يسمح لمالك الأرض بان يحصل على ٧٥٪ من انتاج المستأجر » انتهى كلام سكو تسمان .. البريطانية .. وصدق مؤلف الاسلام في أثيوبيا .. أثيوبيا لم تعرف الاقطاع !! نعم ذلك شيء سابق على الاقطاع بملايين السنين .. ان الاقطاع نظام ثوري بالنسبة لهذا الشيء ولان سكوتسمان تحترم الكتابة والقراءة فهي تنقل لقرائها الحقائق .. أما نحن ؟! .

ثم هو على أية حال .. مجرد فيلم ، يحاول منتجه الصهيوني أن يدلس على الافريقيين بالزعم أنه قصة حقيقية ..

ولكن كتابا يصدر في القاهرة ، ويزعم أنه يستند إلى التاريخ ويتلاعب بالاستشهادات .. كأن يضع المصدر حول لفظة واحدة بطريقة توحي أن الفقرة كلها مقتبسة من مرجع اسلامي ..

مثل هذا الكتاب يثير الألم عند أصدقائنا .. والحرج والدهشة عند المحايدين .. والفرحة الخبيثة عند الخصوم [1] .

اذن ..

الحرب سجال .. بيننا وبين الحضارة الغربية .. وأرض المعركة الآن هي الفكر .. محاولة اقتحام القلعة الاسلامية بالأفكار والمبادىء والقيم ... حتى يتم خلع القيم الاسلامية .. وتدمير المثل العربية لكي يتحول المواطن العربي إلى قرد يحاكي الحضارة الغربية ، ويقضي العمر في اقتفاء أثرها بلا أمل في التفوق .. قد رضي بدور الظل .. وأنى للظل أن يسبق سيده ؟ .

فأين الماركسية من ذلك . ؟!

---

(١) سنتناول هذا الكتاب بالتفصيل في الطبعة الثانية من « الغزو الفكري »
للأسف أراني مضطر الى التأجيل للطبعة الثالثة (ب) .
يبدو اننا سنؤجله أيضاً للطبعة الرابعة (ج)

خرافة المعسكر الاشتراكي

قبل أن نتحدث عن الماركسية كطابور في جيش الغزو الفكري ، لا بد أن ننتهي من نقطتين ، يثيرهما الماركسيون ، ويتعمدون دائماً أن يتستروا خلفهما .. وأعني بهما :

● العلاقات الدولية مع البلدان الشيوعية أو ما يسميه الماركسيون العرب ، بالمعسكر الاشتراكي .

● والاشتراكية ..

بل وقبل هاتين النقطتين .. لا بد من تصفية قضية جزئية : هي الموقف من النظرية الماركسية ، أو الفكر الماركسي المعاصر .. فقد يحسب البعض أن رفضنا للماركسية ، يعني عدم دراستها أو اهمالها .

بالعكس ..

اننا من دين : « اطلبوا العلم ولو في الصين .. » والصين التي أشار اليها الحديث الشريف لم تكن الأبعد مكانا فقط بل والأبعد عقيدة ..

والماركسية كنظرية ، تعتبر مفتاحا لفهم طبيعة الفكر الغربي وتطوره .. والفكر الماركسي يلعب دورا أساسيا في تنظيم سلوك ١٢ دولة شيوعية ، أو ثلث البشرية كما يفخر الشيوعيون . ومهما تكن درجة اخلاص قادة هذه الدول

للماركسية ، والتزامهم الواقعي بها .. فهم على الأقل ، يحاولون الاستناد إلى الماركسية في حيثيات سلوكهم .. ولا بد لنا من الالمام بالفكر الماركسي المعاصر وتطوراته ، لنفهم مجريات الأمور في هذا الجانب من العالم .

كذلك فان الصراع المصيري بين روسيا والصين ، عملاقي الشيوعية ، يحتّم علينا فهم المسالك المذهبية التي تحفرها التيارات القومية للبلدين المتصارعين ، بعد أن أصبحنا نواجه صور هذا الصراع في أفريقيا وآسيا .

كل هذا يحتّم علينا دراسة الماركسية .. بل نعتقد أننا نحن غير الماركسيين ، فرصتنا أكبر في فهم موضوعي للماركسية وتطوراتها .. بعد ما ثبت أن الالتزام العقائدي يفسد الرؤية ..

وقد عجز الماركسيون العرب بالذات ، عن فهم التناقض الصيني – الروسي بـل كانوا يعتبرونه من تقولات الاستعماريين للشوشرة على الاخوة الشيوعية .. وبينما كان المراقبون غير الماركسيين يتوقعون هذا الخلاف ، ويلاحظون تطوره [1] .

وحتى بعدما شاع وذاع ، وأصبح انكاره يشكك في سلامة القوى العقلية لمنكره .. نرى المعلقين الماركسيين – والعرب بالذات – يلهثون خلف تفسيرات « الصراع الايدلوجي » .. رغم احتشاد الجيوش ! ! ورغم النظرية الماركسية التي كان حجر الزاوية فيها ارجاعها كل تناقض أيدلوجي ، إلى تناقضات مادية

---

(١) وفي غير تواضع – ولو لمرة واحدة – فإن كاتب هـذه السطور كان أول كاتب عربي تناول الابعاد الحقيقية لهذا التناقض وأكد انه لا سبيل الى ازالته وان الصراع الايدلوجي هو قشرته الخارجية وأشار الى احتمال غزو سوفيتي – أمريكي مشترك للصين وما زال عند رأيه .

« روز اليوسف . مقال حقيقة الخلاف حول جثة ستالين ومقالات أخرى » وكل الذين يفتون اليوم في الصراع الصيني الروسي .. كانوا يتهموننا في بلاهة بتضخيم الخلاف الايدلوجي وتشويهه للنيل من الأخوة البلشفية ! .

وتعارض في المصالح الطبقية [1] ! .

لذلك فدراسة الماركسية لن تجعلنا ماركسيين .. وأفضل دارسيها هم غير الماركسيين ، لأن الماركسيين يشل التحيز تفكيرهم ..

على أننا نعني بدراسة الماركسية ، دراسة الفكر السياسي المعاصر للماركسيين .. اذ أن النظرية الماركسية كمرحلة في تاريخ الفكر الاشتراكي الغربي .. مكان دراستها هو الجامعات ولمن أراد أن يستزيد ويؤرخ .. اذ لم يعد هناك ما يسمى بالنظرية الماركسية ، أو النظرية العامة للاشتراكية ، التي تنتظم فيها قوانين الحركة للاحزاب الاشتراكية ، والدولة الاشتراكية .. تلك النظرية أصبحت في ذمة التاريخ .

واذا كان الحزب الشيوعي الروسي ، يرى أن يوغوسلافيا ، دولة ماركسية

---

(١) وفي كلمات مؤثرة تذكرني بمخاطبة التلميذ الفرعوني للآلهة معبراً عن حيرته لاضطراب الفصول ومجيء الشتاء في الصيف ، والصيف في موعد الشتاء نتيجة عجز الفلكيين الفراعنة عن حساب ربع اليوم في السنة الشمسية .. أقول في عبارات مؤثرة كتب أحدهم في مجلة المصور :

« فماذا يقولون للرجعيين والشامتين ؟ هل يقولون لهم كما يقول الاستعماريون أنه حتى الاشتراكية وسلطة الشعب العامل ، لا تقضي على الخلافات بين السيد والمسود والمتخلف والمتقدم ، والابيض والملون ؟ . أم هل يقولون لهم كما تقول الصين .. ان الاتحاد السوفيتي قد خان الاشتراكية وتحول الى دولة تقوم بثورة سلمية لاعادة الرأسمالية ؟ أم هل يقولون لهم – كما يقول الاتحاد السوفيتي – إن الصين تتبع سياسة مغامرة قصيرة النظر لا يهمها أن يموت ثلث سكان العالم أو نصفه في سبيل « انتصار الاشتراكية » .

والواقع أن أي رد من هذه الردود الثلاثة أو من غيرها ، يمثل هزيمة للفكر الاشتراكي المعاصر ، ويعطي سلاحاً للرجعية والاستعمار ، ويضعف الثورة الاشتراكية الفتية الناهضة « المصور ٢٩ ابريل ١٩٦٥ » .

يا الهي يا آمون ! ها هو البطيخ يظهر في أوان البلح .. والمطر ينزل في موسم الفيضان .. يا الهي يا آمون .. ماذا نقول عندما يسألنا .. الخ الخ ! .

« راجع أوراق البردى »

ـ لنينية ، اشتراكية [1] ، بينما يعلن جيفارا .. « أن الشيوعيين الكوبيين يعارضون اليوغسلاف تماما ، وأن هناك خطر الاتجاه نحو الرأسمالية في يوغوسلافيا » [2] ، ويرى الصينيون أن يوغوسلافيا تحولت فعلا « سلميا من الاشتراكية إلى الرأسمالية .. وإلى عميلة للامبريالية الأمريكية » [3] .

اذا كان أساقفة الماركسية لا يستطيعون أن يجدوا في كتبهم من الهداية والتفاسير ، ما يكفي للحكم على دولة بأنها اشتراكية أو رأسمالية بعد عشرين عاما من فحصها ! .. فلا شك أن الشمامسة يذهبون بعيدا في غرورهم وحماسهم عندما يزعمون أن باستطاعتهم على ضوء التراتيل الماركسية أن يفسروا لنا واقعنا بل وأن يغيروه ! .

---

(١) كان ذلك هو الحال عند صدور الطبعة الثانية . أما الآن فان يوغوسلافيا تعلن حالة التعبئة لمواجهة غزو محتمل من الشقيقة الاشتراكية الكبرى !

(٢) حوار مع جيفارا مجلة الطليعة ابريل ١٩٦٥ .

(٣) الثورة البروليتارية وتحريفية خروشوف ص ٦٨ .

فإذا انتقلنا إلى مناقشة الاعتراض الأول الذي يثيره الشيوعيون .. وهو الزعم بأن رفض الماركسية يفسد علاقتنا بالدول الاشتراكية .. وجدنا أنه زعم باطل وقد اثبتت التجربة العربية أن أكبر عقبة كانت تفسد علاقتنا بالدول الشيوعية ، هي نشاط الشيوعيين المحليين .

ومن استقراء تاريخ السنوات الأخيرة نجد أن التقارب الكبير بين الدول الشيوعية وبلادنا قد تم والشيوعيون في السجون، بينما وقع الصدام وهم يتمتعون بأكبر فرصة عمل في تاريخ نشاطهم في الوطن العربي ..

وفي العراق بالذات حيث أتيحت لهم فرصة العمر ، انتهى كفاحهم لا بكراهية شعب العراق للشيوعية كراهية التحريم فحسب بل بمظاهرات في الموصل تهتف بسقوط الصاروخ الروسي [1] .

---

(١) في مدينة الموصل ، ومنذ أسبوع فقط رفعت قطعة كبيرة من القماش الابيض ، وقد كتب عليها بخط رقعة بارز الشعار التالي « يسقط الصاروخ » ، ورغم مرور هذه المدة على رفع هذا الشعار الغريب فان الصاروخ المقصود لم يسقط فهو ما يزال باقياً وسيبقى الى الابد فوق سطح القمر ! .. ولن تستطيع قطعة القماش الابيض بشعارها الاسود هذا أن تنال شيئاً من عظمة ذلك الصاروخ . وقد يعجب البعض من أمر هذا الشعار ومن أمر الذين رفعوه في سماء بلد جمهوري متحرر « بلد قاسم ! » .

من مقال الصاروخ الروسي يسقط في الموصل
لداود سليمان كرومي .. صحيفة الاستقلال العراقية
٢٥ تشرين ثان ١٩٥٩

ويبدو أن الربط بين النشاط الشيوعي المحلي ، والدول الشيوعية ، ينبع من الايمان بخرافة ما يسمى بالمعسكر الاشتراكي . ونحن نرى أن « المعسكـــر الاشتراكي » مصطلح تاريخي لا وجود له اليوم ..

في العالم دول عديدة تأخذ بالنظام الاشتراكي ، ولا تربطها وحدة مذهبية ، ولا وحدة مصالح ، ولا علاقات خاصة تنبع من انتمائها لموقف واحد [1] .

ان العدو الألد لروسيا اليوم .. هو : الصين الشعبية ، وبالمثل يمكن القول أن روسيا هي العدو رقم واحد مكرر للصين الشعبية باعتبار أن الولايات المتحدة تنازعها هذا المركز .. الذي تنفرد به روسيا بالنسبة لألبانيا مثلا .

ونظرة واحدة على أرصفة القاهرة تكشف أن أجهزة الاعلام السوفيتية والصينية لم يعد يشغلها الا العداوة فيما بينها .. والمرء يقلب كتابا سوفيتيا فيجد أن الصين اختصت بقاموس الشتائم الشيوعي كله .. حتى لا تجد روسيا كلمة نابية تهديها لأمريكا ! والصين بدورها لا تألو جهدا في اختراع الصـــفات والنعوت ، تقذف بها في وجه الحكومة السوفيتية ، وقيادة الحزب الشيوعي الروسي ..

وعندما نشب القتال بين الصين والهند ، لم تكن روسيا إلى جانب الصين [2] .

بل عندما ذهب المسئول الصيني يعاتب الروس على تسليحهم للهند قائلا : ان الشعب الصيني سيشعر بمرارة شديدة ، وهو يعلم أن أبناءه يقتلون بأسلحة

---

(١) الاتحاد السوفيتي الذي وضع الصواريخ في كوبا بقصد طمأنتها الى أنه ينوي الدفاع عنهـــا باعتبارها جزءاً من المعسكر اللنيني – الماركسي ، اتخذ قرار سحب الصواريخ وأعلنه قبل التشاور مع الحكومة الكوبية ، لأن احتمالات المخاطرة أثبتت أنها أقوى من أي تضامن « عقائدي » في الماركسية – اللنينية » هيكل : الاهرام ٣٠ – ٤ – ١٩٦٥ .

(٢) « لقد تحالف القادة السوفيت منذ زمن بعيد مع الرجعيين الهنود لمعارضة الصين الاشتراكية » (الصحف الصينية)

روسية ! كان الرد الروسي : ان الشعب الهندي جدير بأن تكون مرارته أشد .. لأن السلاح الروسي أكثر في الجانب الصيني ! .

وعلقت الصحف الصينية على هذه المحاورة بقولها : « خبرونا من أنتم ؟ أتجار أسلحة ؟! » .

« في ٨ أكتوبر ١٩٦٢ أبلغ أحد القادة الصينيين السفير السوفيتي بأن الصين قد بلغها أن الهند كانت تستعد لشن هجوم شامل على الحدود الصينية – الهندية ، وأنه إذا بدأت الهند هذا الهجوم ، سوف ندافع عن أنفسنا بحزم . كما أبلغه أيضاً بأن حقيقة أن طائرات الهلكوبتر السوفياتية وطائرات النقل السوفياتية كانت تستخدم من قبل الهند بغرض القاء الامدادات الحربية من الجو ونقلها في مناطق الحدود الصينية ، قد تركت انطباعا سيئاً لدى جنودنا في الحدود ، ونرى أنه من واجبنا الأممي (كذا) أن نخبر الجانب السوفيتي بهذا الوضع »[1] .

ولم يقتصر الأمر على قتل الصينيين الشيوعيين بالسلاح الروسي ، الذي يحمله الهنود ، بل قتل بنفس السلاح الروسي الذي يحمله الصينيون ، الهنود الشيوعيون ، من أنصار « دانجي » سكرتير الحزب الشيوعي الهندي الذي دعا إلى القتال ضد الغزو الصيني للتراب الهندي ماحيا بالدم خرافة وحدة الشعوب !

« وأيد خروشوف الرجعية الهندية في هجماتها المسلحة على الصين الاشتراكية ، مشاركا الولايات المتحدة في تقديم المساعدات العسكرية إلى الرجعية الهندية ليشجعها ويعينها على القيام بالاستفزازات العسكرية ضد الصين »[2] .

ترى هل نذهب بعيداً اذا قلنا أن روسيا تحارب الصين في الهند على نحو

---

(١) ص ٧ من كتاب « حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مع الهند ضد الصين » طبع في بكين .

(٢) افتتاحية مجلة « العلم الاحمر » الصينية عدد مزدوج ٢١ – ٢٢ سنة ١٩٦٤ .

شبيه بمحاربة ألمانيا لروسيا في أسبانيا قبيل الحرب الصريحة بينهما ؟!

على أية حال .. هذه مجرد خاطرة .. وتعالوا نقلب بعض المطبوعات الشيوعية لنسمع كيف تتخاطب دول « المعسكر » الاشتراكي .. وكيف يجري « الحوار » الخلاق بينهم ! .

أحصت الصين « والشيوعيون عادة يولعون بالاحصائيات » أنه في خلال المدة من ١٥ يوليو إلى ٣١ أكتوبر نشر في الاتحاد السوفيتي في « ٢٦ صحيفة ومجلة مركزية ١١١٩ مقالا كتبته هيئات التحرير ، وافتتاحية ، وتعليقاً ، ومقالا موقعاً ، ورسالة من القراء ، ورسما كاريكاتوريا ، هوجم فيها الحزب الشيوعي الصيني وقادته : ماوتسي تونغ ، وليوشاوتشي ، وشو ان لاي ورفاق آخرون بالاسم . وتدل الأرقام غير النهائية (!!) على أساس دراسة الخمس عشرة صحيفة ناطقة باسم اتحاد الجمهوريات ، على أن ما لا يقل عن ٧٢٨ مقالا مشابها لهذا معاديا للصين قد ظهر في الصحافة السوفيتية المحلية في نفس تلك الفترة » [١] .

وروسيا أحصت بدورها أنه « في الفترة التي تلت ٢٥ أكتوبر ١٩٦٣ [٢] فقط نشرت صحيفة « جينمين جيهباو » لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أكثر من ٢٠٠ مقال من هذا النوع .. وعن طريق المنظمات الصينية والاذاعة بالراديو بلغات مختلفة انتشرت في كل انحاء العالم مقالات وقحة بل والأكثر من ذلك أنه حدث أن أذيعت المقالات الكثيرة المعادية للسوفيت عشرات المرات بلا انقطاع . وذلك شيء غريب كما يبدو ، الا أن تعليم الشعب

---

(١) قادة الحزب الشيوعي السوفيتي أكبر الانقساميين في عصرنا الحاضر . ص ٦٢ . دار النشر باللغات الاجنبية . بكين .

(٢) تقرير الاجتماع الشامل للحزب الشيوعي السوفيتي المنعقد يوم ١٥ نوفبر ١٩٦٤ الناشر بالعربية وكالة نوفوستي للانباء ص ١١ .

الصيني بروح العداء نحو الاتحاد السوفيتي ، وحزبه الشيوعي ، قد أصبح الآن أهم جانب من جوانب جهد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، وهناك الآن جهاز ضخم للدعاية يعد بشدة مادة تسيء إلى الحزب الشيوعي بالاتحاد السوفيتي أيضاً .. » .

« تضع الدعاية الصينية نفسها باستمرار في صف الدوائر المعادية للسوفيت والعناصر المعادية للشيوعية في الدوائر الامبريالية الرجعية .. » .

وقد وصف هذا التقرير الكتاب الصيني المشار إليه .. (قادة الاتحـــاد السوفيتي .. الخ) بأنه يحتوي على طعنات قذرة معادية للسوفيت ، واهانة لكل حزبنا ، وكل الشعب السوفيتي [1] .

« ما زال قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يلجأون إلى الخداع والمماحكة محاولين بجميع السبل ترويج سقط متاعهم » .

« يشوه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مؤلفات ماركس ولنين علنا ، كما يشوهون التاريخ علنا أيضاً ، لكي يستروا خيانتهم للماركسية اللنينية .. » [2]

« ان قادة الحزب الشيوعي السوفيتي يعزفون اليوم نغمة كاوتسكي القديمة ، وما طبيعة هذا ان لم يكن انحطاطا إلى مستوى فصيلة عميل سافل للبورجوازية[3]؟

« أليس من الواضح أنكم تحاولون شل يقظة الشعوب ، وتطييب خاطر الجماهير الحانقة الغاضبة وتهدئتها بالوعود الجوفاء بمستقبل ناصع البياض ، وتعارضون ثورتها . وهكذا تتصرفون كشركاء للاستعمار ، ورجعيي مختلف البلدان » [3] . (الصين تسأل روسيا ! !) .

---

(١) ص ١٢ .
(٢) الثورة البروليتارية وتحريفية خروشوف ص ٢٠ .
(٣) ص ٣١ .
(٤) ص ٣٥ .

« كشفوا أن قسماتهم الحقيقية « أي الروس » ولونهم الحقيقي بصفتهم خلانا للمستعمرين في معارضتهم للثورة »[1] .

« وخروشوف انطلاقا من أنانيته القومية يخشى أن تخلق ثورات الطبقات والأمم المضطهدة ، له المتاعب وتورطه . ولهذا يحاول معارضة كل ثورة بجميع السبل ، وكما فعل في الكونغو ، لا يتردد في المساهمة مع الاستعمار الأمريكي في القضاء على ثورة شعبية . ويعتقد أنه بتصرفه هذا يمكنه أن يتفادى الأخطار ويتآمر في نفس الوقت مع الاستعمار الأمريكي على تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ »[2] .

ولا تنسى الصين يوغوسلافيا : « لقد باعت طغمة تيتو نفسها جسما وروحا للاستعمار الأمريكي ، وهي لم تعد الرأسمالية وحسب إلى يوغوسلافيا بل أصبحت أداة استعمارية لتحطيم المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية ، وهي تلعب دور فصيلة خاصة للاستعمار الأمريكي لنسف الثورة العالمية[3] » .

وترد روسيا ..

فيرى الاجتماع الشامل للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي أن قيادة الحزب الشيوعي الصيني تهدف إلى : « فرض آرائها ووسائلها الخطيرة على شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .. ومحالفة الشعوب حول الأسس العنصرية ، وافساد الوفاق بين حركة التحرر القومية ، وحركة الطبقة العاملة ، والتي لا يمكن الا أن تحطم وتضعف حركة التحرر القومية .

---

(١) ص ٣٨ .

(٢) الصين تتكلم والترجمة لدار النشر باللغات الاجنبية . بكين . والكتاب يباع في الاكشاك لمن أراد أن يفقه . ولكن على قلوب اقفالها ! .

(٣) ص ٦٣ .

ولهذا تشوه وتحرف تعاليم الماركسية — اللنينية ، وتستغل أسوأ تقاليـــد القومية البورجوازية الصغيرة وأكثر أنواع الديماجوجية السافلة والتوبيخ » [1] .

« لا يتّردد القادة الصينيون في استخدام أكاذيب وقحة بليت في الدعاية الامبريالية » [2] .

« ان هذه التزويرات والتشويهات الفجة » [3] .

« وهنا وجد الزعماء الصينيون أنفسهم متحالفين مع أكثر دوائر الامبريالية عدوانية » [4] .

« ولا تستطيع الوقاحة أو الاختلاقات القذرة أن تلوث شعار البروليتارية العالمية » [5] .

« من أجل أغراضهم الخسيسة » [6] .

« ألم يأن للزعماء الصينيين أن يتوقفوا عن تضليل حزبهم وشعبهم والرأي العام العالمي (روسيا تسأل) وأن يقولوا الحقيقة عن الأسباب الحقيقية لمشاكل الشعب الصيني . » .

« ان التعاون الاقتصادي السوفيتي الصيني ، والعلاقات الثقافية ، والتبادل بين المنظمات العامة ، تتدهور من عام لآخر ، بينما تتزايد الافتراءات

---

(١) تقرير الاجتماع الشامل ص ١٥ ويبدو أن المترجمين الروس والصينيين قد تعلموا العربية في مدرسة واحدة لان تعبير « سافل » هذا والذي يتكرر كثيراً في حوارهم الايدلوجي ، غير مستعمل في كتاباتنا المعاصرة ! .

(٢) ص ١٢٣

(٣) ص ٣٤

(٤) ص ٤١

(٥) ص ٤٩

(٦) ص ٧٠

والادعاءات على الشعب السوفياتي » [1] .

« ستنفجر في وجوههم الوصمة الدنيئة » .

« ولقد ظل خرق الحدود السوفيتية مستمرا في عامي ٦٢ – ٦٣ متخذا شكل الاستفزاز (من جانب الصين) ! ولقد تقدمت الحكومة السوفياتية بمبادرة الدعوة لعقد مشاورات حتى يمكن تحديد خط الحدود بين الاتحاد السوفياتي وجمهورية الصين الشعبية عند نقاط معينة » [2] .

« واتخذ خروشوف الوسائل الدنيئة الخبيثة يحاول بذلك عبثا أن يقوض الصين الاشتراكية ، ولقد مزق غدرا بضع مئات من الاتفاقيات والعقود ، وسحب عنوة أكثر من ألف خبير سوفيتي كانوا يعملون في الصين ، وخلق النزاعات على الحدود بين الصين والاتحاد السوفيتي .. بل قام بنشاطات هدامة واسعة النطاق في منطقة سينكيانغ » [3] .

ونشرت البرافدا في ١٣ سبتمبر ١٩٦٤ مقالا اتهمت فيه الصين بأنها أصبحت المنتج الأول للافيون في العالم ، وانها تنفق ايرادات هذا الأفيون في « الدعاية المعادية للسوفيت ، أو لدفع ثمن خدمات عملاء الانقساميين الصينيين» ! !

وقد ردت عليها مجلة بكين ريفيو تحت عنوان : « ألا تعرف البرافدا معنى الخجل ؟! » جاء فيه : « هذا يوضح إلى أي مستوى هوت الصحيفة السوفيتية » [4] .

قد يقال هذه شنشنة نعرفها من أخزم .. وهذه هي اللهجة الشيوعية المعتادة .. وهذا صحيح ! .. إلا أن استخدام هذه اللغة داخل الأحزاب

---

(١) ص ٧١ .

(٢) ص ٧١ .

(٣) لماذا سقط خروشوف . ص ١٧ افتتاحية مجلة العلم الاحمر « الصينية » .

(٤) بكين ريفيو العدد ٢٩ ص ١٣–١٤ .. ١٩٦٤/٩/٢٥ .

الشيوعية كان دائماً أبداً ينتهي اما بالانقسام ، ان كان الحزب في المعارضة ، أو بشنق الطرف المنهزم ، ان كان الحزب في الحكم .. أما الآن ، والصينيون لا يستطيعون شنق الروس [1] ، ولا يستطيع الروس اعادة ماوتسي تونج وليوتشاوتشي إلى وظائفهم الأصلية .. فلا مفر من الاعتراف بانتهاء ما يسمى بوحدة المعسكر الاشتراكي [2] .

وذلك ما يحس به الشيوعيون أنفسهم ويتحدثون عنه ولو في لهجة التحذير .

الصين تقول : « لم يحدث أبدا من قبل أن أصبحت وحدة الحركة الشيوعية العالمية مهددة بهذه الصورة الخطيرة كما هي الآن .. ان الحركة الشيوعية العالمية مواجهة بخطر الانقسام بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل » [3] .

وروسيا ترى أنه : « لا يوجد هناك أدنى شك في أن بكين تقود طريقاً يهدف إلى انشقاق الأحزاب الشيوعية ، وتكوين مجموعة معادية تعمل ضد الماركسية — اللنينية » .

« ان الهدف الحقيقي لقيادة الحزب الشيوعي الصيني هو تفكيك الجبهة الشيوعية المتحدة ، ومعارضة الحركة الشيوعية بكتلة من مجموعات المؤيدين

---

(١) وان كان شنق انصار كل منهما يجري على قدم وساق ، شنقت البانيا عدداً من كبار العسكريين لانهم عملاء لروسيا ، وانتحر وسيشنق عدد من القادة البلغاريين لانهم كانوا يعدون انقلاباً موالياً للصين .. وقد شنق في شرق أوروبا عدد لا بأس به بتهمة العمل لحساب تيتو .. أو ستالين ! .

(٢) قد يبدو أننا نبالغ في اثبات مالا يحتاج لكل هذه الادلة ولكن ليتذكر القارىء الفاضل اننا عندما كتبنا هذا الكتاب كان البعض ما زال سادراً في أوهام المعسكر الشيوعي .. وكان ينظر الى اكتشافاتنا كأنها خرافات (ب) . بقيت وسيلة واحدة لاستمرار هذه الوحدة ، هي نفس الوسيلة التي كانت تحفظ وحدة الامبراطورية البريطانية او الفرنسية وحدة العصا الغليظة .. التي طبقت في تشيكوسلوفاكيا (ج)

(٣) السطور الثلاثة الأولى من كتاب (قادة الحزب الشيوعي السوفييتي أكبر الانقساميين في عهدنا الحاضر) نشر في بكين .

للأعمال الصينية ، واخضاع الأحزاب الشيوعية لتأثيرها »[1] .

والصين أيضاً ترى أن « قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، بجعلهم التعايش السلمي الخط العام للسياسة الخارجية ، قد صفوا علاقات الأممية البروليتارية في المساعدة المتبادلة والتعاون بين الأقطار الاشتراكية ، ووضعوا الأقطار الاشتراكية الشقيقة على نفس الصعيد مع الأقطار الرأسمالية . وهذا يعني تصفية المعسكر الاشتراكي »[2] .

« ان قادة الحزب الشيوعي السوفيتي يسعون جاهدين لتحطيم المعسكر الاشتراكي . ويستخدمون كل نوع من الأكاذيب والافتراءات ضد الحزب الشيوعي الصيني . ويقومون بالضغط السياسي والاقتصادي على الصين ، أما بالنسبة لألبانيا الاشتراكية فلن يرضيهم شيء أقل من القضاء عليها ، وقد قاموا بالضغط ، يدا بيد مع الاستعمار الأمريكي ، على كوبا الثورية (لاحظ ألبانيا « الاشتراكية » وكوبا « الثورية ») طالبين منها ، التضحية بسيادتها وكرامتها »[3] .

وتنقل الصين عن الصحافة الأمريكية : « حطم خرشوف بصورة قاطعة الكتلة الموحدة التي كانت في أيام ستالين ... وقد تكون هذه أعظم خدمة أداها خرشوف »[4] .

وترى الصين أن « قادة الحزب الشيوعي السوفيتي مصرون على السعي إلى التعاون السوفيتي ــ الأمريكي للسيطرة على العالم ، وهم يعتبرون الاستعمار الأمريكي ــ ألد أعداء شعوب العالم ــ أعظم صديق يعتمدون عليه ، بينما

---

(١) ص ١٣–١٤ من قرار الاجتماع الشامل .
(٢) ص ٣٢ من « سياستان للتعايش السلمي » طبعة بكين بالعربية .
(٣) ص ٥٢
(٤) قادة الحزب الشيوعي .. الخ ص ٢٧

يعاملون الاحزاب والأقطار الشقيقة التي تلتزم بالماركسية ــ اللنينية معاملــة الأعداء » (1) .

« ان موقف القادة السوفيت ازاء مسألة الحدود الصينية الهندية ، هو خيانة للأممية البروليتارية ، وهكذا خانوا المعسكر الاشتراكي والشعب الهندي أيضاً(2)»

ولما أعفي خرشوف من منصبه ، لم تبخل عليه الصين بكلمة تأبين مناسبة ! تحت عنوان : « لمــاذا سقط خرشوف » قالت افتتاحية مجلة (العلم الأحمر) « كان يستسلم أمام الاستعمار ، يلغي ويعارض النضالات الثورية لشعوب العالم، ويمارس الانقسامية في الحركة الشيوعية العالمية ، مستبدلا بالأممية البروليتارية ، شوفينية الدولة الكبرى » (3) .

« واستجابة لحاجات الاستعمار الأمريكي في بسط سياسة الابتزاز النووي ومنعا للصين الاشتراكية من بناء قوتها النووية للدفاع عن النفس » ... « خان بجنون وبلا ضمير مصالح الشعب السوفيتي ومصالح شعوب البلدان الاشتراكية ومصالح الشعوب المحبة للسلام في كل العالم » .

وحتى لا تترك الصين مجالا لتفسير اتهاماتها هذه بانحراف شخصي لخرشوف تعلن في نهاية الكتاب أن كل الدلائل تشير إلى الرغبة في ممارسة الخروشوفية بدون خرشوف (4) ! .

---

(1) قادة الحزب .. ص ٢٣

(2) حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعي السوفيتي مع الهند ضد الصين ص ٢٧ .

(3) ص ٢

(4) وقد صدقت توقعات الصين ومضى خلفاء خرشوف خطوات أبعد في العداء السوفيتي الصيني . ذلك أنه عداء لا يمت للافكار بصلة بل عداء القوميات الازلي . منذ القيصر والامبراطور وستالين وماوتس تونج وخرشوف وبرزنيف وليوتشاوشي . وخلف ذلك كله الروس في مواجهة الصينيين (ب).

وترد روسيا :

« أبدى القادة الصينيون في السنوات الحالية أنهم لا يهتمون بتقوية وحدة النظام الاشتراكي العالمي ، ولم ترفض جمهورية الصين الشعبية تنسيق أعمالها مع الدول الاشتراكية الأخرى فحسب ، بل أنها بصراحة تعارض أيضاً الاتجاه المتفق عليه بين الدول الاشتراكية في الصعيد الدولي .. وخرجت الصين علانية لتهز دعائم المجتمع الاشتراكي ، وتقطع العلاقات الاقتصادية مع الدول الاشتراكية وخاصة مع دول الكوميسون ، والاتحاد السوفيتي علاوة على ذلك[1] »

« ابتداء من عام ١٩٦٠ غير قادة حزب العمل الألباني فجأة اتجاههم السياسي . رغم اننا لم نعطهم أي سبب لعمل هذا . وقاموا بأعمال معادية للحزب الشيوعي بالاتحاد السوفيتي وغيره من الأحزاب الشقيقة . وقد قطعت حكومة جمهورية ألبانيا الشعبية التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري مع الاتحاد السوفيتي ، وكثير من الدول الاشتراكية الأخرى . وكان من الصعب في البداية أن نرى ماذا شجع تحركات هوكسها وشيهو (صحة أسمائهم الاسلامية. خوجه وشيحو أو شيخو) ولكن بمرور الوقت أصبح من الواضح جدا أن الزعماء الألبانيين قد أخذوا تعليماتهم من شخص آخر .. لأنهم ذكروا كل كلمة قيلت أو كتبت في بكين »[2] .

واتهمت روسيا الصين بأنها انتهزت فرصة أزمة كوبا والصواريخ لخدمة أهدافها على الحدود الهندية[3] .

وتسخر كوريا الشمالية من زعامة روسيا فتقول صحيفة (رودنج شينمون) لسان حال اللجنة المركزية لحزب العمال الكوري بتاريخ ٧ سبتمبر

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٢٢ .
(٢) قرار الاجتماع الشامل ص ١٦ .
(٣) ص ٣٨ .

١٩٦٤ وترجمت لها ونشرت (بكين ريفيو) الصينية : « ان كلمات البرافدا لا يستخدمها إلا شوفينيو الدول الكبرى ، الذين اعتادوا اعتبار أنفسهم مخولين حق تقرير كل شيء ، والأمر بكل شيء ، وأن الآخرين جهلة ، وهم وحدهم الذين يعرفون » .. « هذه طريقة (أي البرافدا) الرجل الذي يعترف بنفسه فقط وأنه كل شيء في العالم ، كلماته في حد ذاتها قانون ونظرية ! » [١] .

وتعلق على انتقادات البرافدا للندوة الاقتصادية الآسيوية التي انعقدت في بيونج يانج في يونيه من العام الماضي . فتقول : « لماذا هذا التشهير العدواني بنجاح ندوة بيونج يانج .. ؟ ! ثم تفسر هذا العداء بأنه « والحق يقال .. هذه الندوة تعكس اندفاع شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ضد الاستعمار وتطلعهم إلى الاعتماد على أنفسهم ، وبناء اقتصاد وطني مستقل [٢] » لهذا تعادي روسيا الندوة .. في اعتقاد كوريا الشمالية ؟! . أما زال البعض يتحدث عن « معسكر » اشتراكي ؟!

وتنقل الصحيفة الكورية [٣] تعليق صوت أمريكا على الندوة ثم تعليق البرافدا وتصيح في شماتة : « أي تشابه ملحوظ بين صوت البرافدا وصوت أمريكا » .

ويجب أن نقف عند رفض الاتحاد السوفيتي اعطاء الصين ، الشقيقة الكبرى ، القنبلة الذرية ، ولو أن البعض يحاول أن يسلك هذا الموقف في أسباب الخلاف بين الصين وروسيا .. الا أننا نرى أن هذا الموقف هو نتيجة حتمية لاختفاء وحدة المعسكر الشيوعي ، السابق على الرفض السوفيتي .. وأيضاً هو موقف طبيعي جدا تحتمه السياسة القومية لروسيا .. وحرصا على سلامتها من جارتها الخطرة ..

---

(١) بكين ريفيو عدد ٣٨ – ١٨/٩/١٩٦٥ ص ٢٣ .
(٢) ص ٢٣ .
(٣) لسان حال الحزب الحاكم في كوريا الشمالية الشيوعية .

وقد رفضت الصين نظرية الدفاع المشترك التي دعت اليها روسيا ، وأصرت على أن تمتلك قنبلتها الذرية .. « ولو كلفها ذلك جهد مائة عام » .

قالت روسيا : « السلاح الذري للاتحاد السوفيتي ضمان يمكن الاعتماد عليه للدفاع لا عن بلدنا فحسب ، بل عن كل المعسكر الاشتراكي بما فيه الصين ، وقادة جمهورية الصين الشعبية متنبهون لهذا جيدا . وبالرغم من ذلك .. قالوا أن الصين ستخلق سلاحها النووي الخاص بها مهما كان الثمن » [1] .

ومنطق روسيا ، هو نفس المنطق الذي كانت تعلل به أمريكا حلفاءها الصغار .. والذي رفضته بريطانيا وفرنسا .. وقد تكون وجهة النظر هذه منطقية جدا ، اذا ما سقطنا مرة أخرى في التفسيرات الصبيانية عن الأخوة الشيوعية ، والأممية البروليتارية والتي تعرف الصين جيدا مدى جديتها .. ومن الممكن حقاً أن تحمي القنبلة الروسية الدول الشيوعية بما فيها الصين ضد عدوان الدول الرأسمالية ..

ربما ..

ولكن من يحمي الصين من خطر الأشقاء [2] ؟! .

مرة أخرى لا أريد أن أفرض نفسي على الحديث .. انما أترك كلماتهم هم ترسم صورة الموقف .. حتى لا يعود أحد يتحدث عن « معسكر » .

---

(١) قرار الاجتماع ص ٤٢ .

(٢) بل ربما كانت الضمانة الاولى ضد وقوع الحرب بين روسيا وامريكا هي حاجة كل منهما الى الأخرى لصد الخطر الصيني (ب) . ويتردد الآن ان الموقف الميونخي الذي وقفته أمريكا من احتلال تشيكوسلوفاكيا يرجع الى مخطط سوفيتي –امريكي مشترك .. يأتي هذا الاحتلال كجزء منه .. اما الهدف الاساسي فهو إعداد روسيا لضربة حاسمة ضد الصين وهو أمر جد محتمل ، ويمكن أن نضيف ان الموقف الروسي من العدوان الاسرائيلي هو ضمن هذه التسوية الشاملة ، أو التقسيم النهائي للعالم حتى تتفرغ روسيا لضرب الصين ، قبل أن تتحول الى كارثة قومية باتمام تطورها الصناعي ، وبناء جهازها العسكري القادر على « تحرير » أراضيها التي تغتصبها روسيا ..

أعلن ليوتشاوتشي رئيس جمهورية الصين الشعبية في خطابه بجونجيانج في ١٨ سبتمبر ١٩٦٣ « ان الاتحاد السوفيتي في اتفاقه مع الامبرياليين ، قد احتكر السلاح النووي ، ويقيم تهديدا نوويا فيما يتعلق بشعوب الدول الاشتراكية ، والشعوب الثورية في كل أنحاء العالم » (١) .

ويعلن الحزب الشيوعي الياباني مخاطبا الاتحاد السوفيتي : « ان سياستكم تهدف إلى منع الدول الاشتراكية الأخرى من تقوية دفاعها ، وتخدم أطماع الولايات المتحدة في احتكار السلاح الذري إلى الأبد ، وتسهل بلطجتها الذرية » (٢) .

وللتفكه — ليس الا — نختم هذا الحديث باقتراح تقدم به حزب « شغيلة » فيتنام في يناير ١٩٦٢ .

« وجوب ايقاف الهجوم المتبادل في الاذاعة والصحف بين الأحزاب الشيوعية » (٣) .

ألا يذكرنا ذلك باجتماعات الجامعة العربية !

أليس مثيراً أن روسيا منذ نهاية الحرب العالمية ، لم تستخدم قواتها ولم تقم بأية عمليات عسكرية الا ضد دول شيوعية ! !

---

(١) من قرار الاجتماع .. الخ .. ص ٤٣ .

(٢) رد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الياباني في صحيفة أكاهاتا .. بتاريخ ٢ سبتمبر ، وأعادت نشره بكين ريفيو عدد ٣٨ .

(٣) ص ٦١ من قاعدة الحزب الشيوعي .. الخ .

فلم يعد هناك ما يسمى بالمعسكر الاشتراكي ، ولا مجال اذن للحديث عن رد فعل موحد من جانب الدول الشيوعية ، ازاء موقف البلد المعين من الشيوعيين المحليين فيها ..

لأن الشيوعية المحلية بعد انتهاء النظام البابوي ، وانشقاق الكنيسة وتفرق مجمع الكرادلة ، أصبحت إما تتبع هذه المجموعة أو تلك في الصراع الرهيب الدائر بين روسيا والصين ، حول تزعم الأحزاب الشيوعية ، والدول الشيوعية ..

وبالتالي فان الموقف المعين من الشيوعية المحلية قد يغضب هذه المجموعة بقدر ما يسعد المجموعة المضادة .. بل قد يلقى تأييدا من فريق شيوعي ضد فريق آخر في نفس البلد .. كما تؤيد قيادة الحزب الشيوعي الهندي اعتقال الشيوعيين المؤيدين للصين [1] .

وكذلك فان انفراط عقد المعسكر الشيوعي ، قد جعل دوله أكثر صراحة في الذود عن مصالحها والاهتمام بهذه المصالح ، دون مراعاة لواجبات الأخوة الرفاقية .

---

(١) وكما كان ذبح ثمانين ألف شيوعي في أندونيسيا بداية تحسن العلاقات بين أندونيسيا والاتحاد السوفيتي (ب) .

وإن تكن هذه السياسة متبعة منذ البداية ، الا أنها اليوم أكثر صراحــة ووضوحا .. ليس فقط في تعاملها مع الدول غير الشيوعية بل حتى في تعاملها مع بعضها البعض [1] .

ويبدو أن الاتجاه السوفيتي في هذه المرحلة هو الاعتماد على الصلات الدولية ، والمنافسة الاقتصادية للغرب .. وأن ثقة القيادة السوفيتية بقدرتها على مقاومة النفوذ الصيني في الأحزاب الشيوعية في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية موضع شك عند الروس أنفسهم . ولذا تؤيد القيادة السوفيتية التخلص نهائيا من صداع الأحزاب الشيوعية في هذه البلدان .. أو النزول بمهامها إلى دور العمالة العادية ، فكما توجد حركات وأحزاب وجمعيات حتى ماسونية ، تعمل لحساب أمريكا، توجد أيضاً أحزاب تحمل أسماء شيوعية وتعمــل لحساب روسيا .. ولكن قضية تحول الدولة إلى الشيوعية ، أو بتعبير أدق ، دخولهــا في الفلك السوفيتي ، فالواضح أن روسيا لم تعد تعتمد، في ذلك، على الاحزاب الشيوعية ، ولا عادت تنظر بالغبطة إلى الثورات الشيوعية ، تلك التي تقودها أحزاب شيوعية.. ان روسيا تفترض ، ولألف سبب حقيقي ، ان أي حزب يستطيع قيادة ثورة ناجحة والوصول إلى السلطة لن يقبل بسهولة تسليم نصره للقيادة السوفيتية ، بل سيصطدم آجلا أو عاجلا بالمصالح السوفيتية الاستغلالية، أن أي سلطة غير عميلة عمالة مباشرة تفكر في البناء الجدي لبلادها، لا بد أن تتطلع إلى حماية مصالحها الذاتية، وستطالب بمعونات جادة ، أو على الأقل علاقات متكافئة في التبادل التجاري ، وهو ما لا تريده روسيا ، ولا يخدم المصالح السوفيتية ..

من هنا فإن روسيا لم تعد راغبة في ثورات شيوعية ، ولا في قيادة الأحزاب

---

(١) اذا كنا قد قلنا هذا الكلام سنة١٩٦٥ فهو يبدو بديهيات بعدما تمزقت كل الروابط الشكلية بين الدول والاحزاب الشيوعية بعد الغزو الأخوي السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا .

الشيوعية ، لثورات حقيقية في بلادها .. انها تفضل اسلوب التغلغل التقليدي ، الذي مارسته كل الامبراطوريات الاستعمارية .. اسلوب القروض والتسلل الاقتصادي ، اخضاع اقتصاد البلد المعين للسيطرة السوفيتية ، ثم اخضاع الأمن القومي لهذا البلد لارادة السوفيت ، من خلال احتكار السلاح ...

أي تطبيق ذلك الشعار المفضل عند الكتاب الشيوعيين في وصف تسلل الامبريالية : « الراية في أعقاب المال » ...

وإذا كانت شعوب العالم الثالث كلها قد فقدت استقلالها من خلال سيطرة الرأسمالية العالمية على اقتصادها ، فانها أحرى بالقلق على استقلالها ، أن تفقده ، على نحو أسرع من خلال إحكام السيطرة المالية والعسكرية السوفيتية على اقتصادها وامنها القومي ..

ومهمة الأحزاب الشيوعية السوفيتية — اليوم — هي تضليل الشعوب عن هـــذه البديهية التي تجسدت عبقرية الماركسية ، في القرن التاسع عشر ، في اكتشافها .. ولا يقولون لنا ما الفرق بين احتكار بريطانيا للقطن المصري ، واحتكار روسياله الآن سدادا للديون السوفيتية وأرباحها...ولا الفرق بين محاولات الخديو اسماعيل بناء الرأسمالية في مصر مستعينا بالقروض الرأسمالية، أو كما كان يقول هو«أريد أن أجعل مصر قطعة من أوروبا» أي من النظام الرأسمالي السائد فيها في عصر اسماعيل .. ولقدكان ، وبفضل القروض الرأسمالية، فلم يمت اسماعيل حتى رأى مصر قطعة من أوروبا ، ولكن ، بالشكل الوحيد الممكن تحققه من خلال الأسلوب الذي عمل به .. اسلوب الأعتماد على الآخرين.. أصبحت مصر قطعة ملحقة بأوروبا .. مستعمرة أوروبية تملكها وتديرها أكبر دولة رأسمالية في ذلك الوقت ..

ما الفرق بين اماني وسياسة الخديو اسماعيل واماني وسياسة الرفـــاق السوريين ، عندما يتحدثون عن تحويل سوريا إلى قطعة من المعسكر الاشتراكي ،

معتمدين في ذلك على القروض السوفيتية.. نفس النتيجة ستتحقق.. الحاق «سوريا» ومن ينحو نحوها .. بالامبراطورية السوفيتية ..

وهذا الأسلوب الذي اختارته روسيا ، للتوسع الامبراطوري ، واقتسام مناطق النفوذ من خلال التسلل الاقتصادي والسيطرة على الطبقة الحاكمة ، وخلق علاقات تبعية تربط الدول الصغرى بالدولة الكبرى ، هو أسلوب مقبول في عالم الامبراطوريات ، تنافسه طبعاً الولايات المتحدة ، وتقاومه ، ولكن ليس بقدر مقاومتها للأسلوب الثوري القديم الذي يعتمد على حزب شيوعي وثورة .. لأن الأسلوب الآخر يبقى الفريسة المتنازع عليها حيث هي ، في عالم المأكولين دائماً ، ويبقى الأمل في انتزاعها او حتى اقتسامها .. وأحيانا – كما يدل تاريخ الاستعمار كانت الدول الكبرى تُغري بعضها البعض باستعمار دول صغرى ، اما لابعادها عن مجال نفوذها .. خاصة اذا كانت دولة حديثة الدخول في « النادي الاستعماري » أو كخطوة أولى تمهد لغزو الدولة المحرضة ..

اما الأسلوب القديم فقد أثمر الصين .. وألف سوريا أفضل عند أمريكا من صين واحدة .. وألف يمن شعبية ولا كوبا واحدة .. بل ونفس النظرة من جانب روسيا .

من هنا فإن القضاء على الحزب الشيوعي في البلد المعين ، وان كان لا يُرضي كل الدول الشيوعية ، الا أنه لا يغضبهم جميعاً ، وأهم من ذلك انه لا يؤثر جدياً على العلاقات مع روسيا ، أو خططها في التوسع ، فروسيا لا تعنيها الا مصالحها القومية والعالمية ..

ذلك هو السر خلف التناقضات الحادة بين كل بلد وصل الى الشيوعية بجهوده الذاتية ، بثورة حقيقية ، وبين الاتحاد السوفيتي ..

كاسترو يتهم الروس علانية : « الذين لا يريدون ان يقاتلوا .. ولن

يقاتلوا أبداً في سبيل الشعوب وتحريرها [1] ، وقد شوهوا المبادىء الثورية ، وحولوها الى أفيون دوجماتي بلا محتوى .. ودون أية رسالة للجماهير .. وكذلك حولوا تنظيمات النضال الشعبي ، الى أدوات للمساومة مع المستغلين المحليين والخارجيين ، ومع المدافعين عن مصالحهم السياسية الأمر الذي لا يمت بصلة للمصالح الحقيقية للشعوب المستغلة في هذه القارة [2] (امريكا الجنوبية) .

هذا عن امريكا الجنوبية ، اما عن اسيا فيقول جيفارا شخصياً ، وليت الذين يحملون صورته في المظاهرات ينتفعون من تجربته ويتعلمون من كلماته :

« هناك حقيقة مؤلمة : ففيتنام ، هذه الأمة التي تمثل مطامح عالم كامل من الأمم المنسية وآماله ، تقف وحدها وقفة محزنة ، ان تضامن كل القوى التقدمية في العالم مع شعب فيتنام اليوم ، مشابه للسخرية المريرة التي كان يقوم بها العامة في الحياة الرومانية بتشجيع المصارعين .. انهـا ليست مسألة تمني النجاح لضحية العدوان ، بل مسألة مشاركته مصيره ، فعلى المرء أن يرافقه الى الحتف أو الى النصر .

ان الأمبريالية الامريكية مدانة بالعدوان ، ان جرائمها لا تُحصى وتغطي العالم كله .. واننا ايها السادة نعرف كل ذلك جيداً ! ولكن هذه الادانة تنطبق أيضاً على هؤلاء ، الذين عندما حان وقت الحسم ، ترددوا في أن يجعلوا فيتنام جزءاً لا يخترق من العالم الاشتراكي ، مخاطرين طبعاً بقيام حرب عالمية ، ولكنهم كانوا سيجبرون الامبريالية على الاختيار . وتنطبق الادانة ايضاً على هؤلاء الذين يسعرون حرباً من السباب والمماحكات — التي بدأت منذ بعض الوقت — وهم ممثلو القوتين الكبيرتين في المعسكر الاشتراكي » [3]

---

(١) نسي أن يقول « ولم يقاتلوا أبداً »

(٢) مقدمة يوميات غيفارا طبعة بيروت ص ١٠-١١ .

(٣) جيفارا : دراسة عن الوضع الثوري في العالم . بيروت ص ١١-١٢

وهكذا ترى أنه ليس الرجعيون وحدهم ، هم الذين يدينون روسيا بالتحول الى دولة كبرى تسعى الى اقتسام العالم والتضحية بمصالح الشعوب دفاعاً عـــن مصالحها القومية .. بل حتى « القديس » جيفارا يوجه لها هذا الاتهام .

ولا شك أن امكانيات غير الماركسيين أوسع في مجال الصداقة والتعاون مع الدول الشيوعية .. وذلك لأن انطلاقنا من وجهة النظر القومية وحدها .. لا يجعلنا طرفاً في النزاع بينهم . بل يجعلهم يتسابقون على خطب ودنا .. بينما يتحتم على الشيوعي ، ان ينحاز الى أحد الجانبين . فان انحاز كان عليه أن يحمل تبعات الولاء لقائد هذا الجانب وعداوة الجانب الآخر .. اما نحن — فكما قلنا — لا يعنينا من هذا الصراع الا اتصاله بمصالحنا القومية .

الشيوعيون والاشتراكية

يزعم الشيوعيون أن مهاجمة الشيوعية أو الماركسية انما تهدف الى النيل من الاشتراكية .. وأنها ستار تختفي الرجعية خلفه للطعن في الاجراءات الاشتراكية ! .

وهو قول يبلغ من السخف حداً يغري بتجاهله ، لولا أن من تقاليد حضارتنا العربية ، هذه « الفنقلة » أي فان قال كذا .. قلنا كذا والولع بتقصي الفروض — مهما بلغ من استحالتها وسخافتها — وتفنيدها والرد عليها .

ولا نريد أن نقف طويلا عند المحاولات المبكية والمضحكة التي يبذلها الشيوعيون ، في التفتيش عن نص نظري عقب كل تصرف مدهش تفاجئهم به السلطات الاشتراكية ! .

وأحسب أن أول السخف في ادعاءات الشيوعيين ، هو ادعاء قرابة مزعومة بين الشيوعيين والاشتراكية ! .. والحق يقال إن أكبر قوة معادية للاشتراكية في المجتمع العربي كانت التنظيمات الشيوعية ..

ليس للشيوعيين فضل في الاشتراكية ولا سبق اجتهاد .. بل هم الذين كانوا يعارضون قيامها ، ويفلسفون استمرار السيطرة الرأسمالية بحجة أن ساعة زوالها لم تحن بعد .. فقاموا بدور محامي الرأسمالية الذي يبذل كل براعته

لتأجيل التنفيذ والاشكال في الحكم ! .

والماركسية كما انتقلت للشيوعيين العرب ، كانت تقول بأن الاشتراكية هي قضية الطبقة العاملة ، وحتى عندما توسعوا في التفسير وقالوا ان الاشتراكية هي قضية كل الشعب .. كان مفهوماً ان هذه القضية لا تحل الا تحت قيادة الطبقة العاملة ممثلة في حزبها الشيوعي .. ومن ثم فلا طريق للاشتراكية الا الطريق الماركسي ، والحزب الشيوعي هو وحده الذي يملك كلمة السر لعبور الطريق المسدود على غير الماركسيين .

ولما كانت البلدان العربية ، تمتاز بوجود الاستعمار والاقطاع وأيضاً بضعف الحركة الشيوعية .. كما تفضلت عليها النظرية الماركسية فجعلتها « احتياطي » (!!) للثورة العالمية التي تدور في بلاد « الكبار » ويقودها عمالهم « الشطار » .. وليس علينا نحن الا أن نكون الوقود الثورى لكفاحهم !

ومن ثم فواجباتنا التاريخية هي اتمام الثورة الوطنية بالتحرر من الاستعمار وتصفية الاقطاع ، ثم تشجيع رأس المال العربي الكبير ، حتى يتم نضج الظروف الموضوعية والذاتية لاعلان الثورة الاشتراكية !

وبالتالي فان أي دعوة للاشتراكية من خارج الحزب الشيوعي هي دعوة مزيفة تستهدف التضليل والتشويه وتزييف الشعارات لحماية المصالح الحقيقية للرأسمالية .. لذلك لم تنطل على الشيوعيين العرب ، الأذكياء بنور الماركسية ، خدعة « الاشتراكية الناصرية » . وعقب كل حركة تأميم ، كان لا بد من تفسير يثبت ان كل هذا الذي يجري ، ليس اشتراكية ، ولكنه مكر ماكرين لزيادة أرباح الرأسمالية . وحمايتها من الخطر الشيوعي .

ولقد أتيحت للشيوعيين العرب فرصة العمل العلني في الوطن العربي خلال الفترة من صيف عام ١٩٥٦ الى أن تم انحيازهم لعبد الكريم قاسم في أواخر عام ١٩٥٨ .. ثم استمروا في العراق الى مطلع عام ١٩٦٢.. وقد وصلت بهم

الأحلام في العراق الى حد رفع شعار : « اشتراك الحزب الشيوعي في الحكم مطلب عظيمي » .

وفي ظل اعلان الاشتراكية ، ومناداة معظم الأحزاب الثورية العربية بها .. كانت الفرصة مواتية جداً لمن يريد حقاً اقامة الاشتراكية .. أن ينادي بها ، أو أن يعلنها في برنامجه ، موضحاً الطريق السليم اليها ان كان يرى الزيف في طريق الآخرين ..

ولكن .. العكس هو ما حدث .. لقد بذل الشيوعيون العرب جهداً فائقاً في اثبات ان الاشتراكية هي الهدف البعيد ؟ وانها ليست مطلباً « عظيماً ولا ضئيلا » .. ودافعوا بحرارة عن حق الرأسمالية في البقاء ..

قال الشيوعيون [1] :

« فبالنسبة للمرحلة الراهنة من كفاح العرب الثوري نرى أن المطامح الديموقراطية لهذا الكفاح تتحدد في :

(ا) اقتصادياً واجتماعياً :

١ – تصفية الاقطاع ، وتحقيق اصلاحات زراعية جذرية لمصلحة جمهرة الفلاحين وخاصة الفقراء منهم ، وهو المحور الاجتماعي للثورة .

٢ – تصنيع البلاد وتشجيع الرأسمال الوطني الحكومي والفردي في الصناعة والتجارة .

٣ – تحقيق المطالب اليومية للعمال .

٤ – تطمين مطالب الحرفيين والكسبة وصغار التجار والمثقفين .

---

(١) من كتاب القومية والديموقراطية : محاضرة القيت في قاعة الشعب بدعوة من جمعية الخريجين .. ويتضمن أيضاً مفاهيم خاطئة حول القومية والاممية بقلم ابن خلدون . وملاحظات حول الأممية والقومية أيضاً » للاستاذ محمود أمين العالم مطبعة النجوم – بغداد – تليفون ٨٨٦٥٩ (في المعهد القاسمي) .

٥ — نشر الثقافة والتعليم .
٦ — مساواة الرجل والمرأة .
٧ — ازالة القوانين الرجعية .

هذه هي أهم جوانب المحتوى الديمقراطي اقتصادياً واجتماعياً . أما مسألة تحقيق الاشتراكية فغير واردة اطلاقاً (هذا ليس تعليقي بل نص الكتاب بالحرف الواحد) .. ان الاشتراكية تعني تصفية الرأسمال الوطني الفردي وتأميم المشاريع الفردية تدريجياً وتحويل الزراعة والحرف تحويلا اشتراكياً ..

وهذا لا ينطبق وحاجيات المجتمعات العربية اليوم (!!) أما الدعوات التي تنادي بالاشتراكية كهدف آني ، فليست علمية وهي خطرة من ناحيتين :

أولا : لأنها تحرف المعنى الحقيقي للاشتراكية وتموه الجماهير (كذا) .

وثانياً : لأنها قد تدفع الرأسماليين الوطنيين بعيداً عن معسكر الحركة في حين ان لهم دوراً هاماً سواء في الثورة أو في بناء بلد عربي متحرر .. والبلاد العربية المتحررة بحاجة الى دور الرأسمال الوطني الفردي الى أمد طويل » .. (!! التعجب من عندنا) .

أمن مثل هذا التفكير كان يمكن أن ينطلق أي كفاح اشتراكي .. أليست هذه « العلمية » هي التي قادتهم الى معاداة الثورات الاشتراكية ومحالفةالرجعية؟! ثم ما الذي تغير في الواقع العربي .. حتى ينقلبوا الآن الى دعاة الثورة الاشتراكية.. إلا لأن الهدف واحد وهو تخريب العمل العربي .

نعود الى الكتاب الشيوعي :

« ومن الواضح أن حملة هذه الشعارات المبهمة المشوشة لا يدعون الى تأميم المشاريع الفردية كهدف نهائي . ومع ذلك يسمون مرحلتنا المعادية للاستعمار والاقطاع والرأسمال الخائن بمرحلة التحرر والاشتراكية . والاشتراكية كما قال مناضل عربي كبير (خالد بكداش) لا يمكن تحقيقها بمجرد قرار من الحكم القائم ، ولا بمجرد رغبات حزب من الأحزاب أو هيئة من الهيئات فلتحقيق الاشتراكية ينبغي أن تكون القوى المنتجة في البلاد

على مستوى معين ، أي أنه ينبغي أن يكون الانتاج قد بلغ درجة معينة من تطوره [1] » .

ويقول كتاب الشيوعيين « ان الاشتراكية في الحقيقة ، هدف بعيد .. ولا يمكن وضع أهداف اشتراكية أمامنا قبل اتمام المهام الأساسية لمرحلة الكفاح الوطني الديمقراطي ..

ومن الغريب أن يدعى للاشتراكية في بلاد عربية متحررة لم تستطع حتى الآن تحقيق اصلاح زراعي جذري ، وحيث ازدهرت مرتبة أغنياء الفلاحين المستغلة ، وحيث أخذ عدد متزايد من الفلاحين يبيعون أراضيهم بسبب الحاجة الى المساعدة المادية لهم ! هذا فضلا عن أن الانتقال للاشتراكية يتطلب مستوى معيناً من التنظيم الجماهيري ، ونوعاً خاصاً من الوعي الجماهيري غير متوفرين الآن [2] » .

وفي افتتاحية (اتحاد الشعب) صحيفة الحزب الشيوعي العراقي الصادر في ١٥ كانون ١٩٦٠ [3] :

« ولكن كثيراً من الأحزاب ، تلجأ في الغالب الى الاعلان عن أهداف أوسع مما تحتملها طبيعة المصالح التي تمثلها ، وغالباً ما تصاغ مثل هذه الأهداف بشكل يتوخى مجاراة الطموح الواسع لجماهير الشعب ، دون أن يكون هناك أساس واقعي لهذه الأهداف .

وقد استند (حزبنا) في تحديد هذه المهام على طبيعة الثورة وظروف بلادنا

---

(١) لذلك أبرق بكداش من منفاه يهنىء النحلاوي بالغاء الاشتراكية ، وسارع يستقل الطائرة عائداً إلى دمشق مطمئناً على نفسه وكفاحه ، ما دامت الاشتراكية قد ألغيت !

(٢) ص ٢٠ – ٢٢

(٣) هذه قصاصات احتفظ بها من أيام الفتنة القاسمية وقد فاتني أن أكتب عليها عند القص كانون أول أو ثان .

وخصائص مجتمعنا ، مسترشداً في ذلك بمادىء الاشتراكية العلمية » ..

« وان هذه المبادىء التي نهتدي بها أبداً في نضالنا هي التي أرشدتنا في تعيين أهدافنا ، كما جاءت في الميثاق الوطني لحزبنا ، وهي التي جعلتنا — رغم كوننا أنصار الاشتراكية — لا نضمن ميثاقنا الوطني الذي نناضل من أجل تحقيقه ، أهدافاً « اشتراكية » ، خلافاً لأولئك الذين يضطرون — بدافع تعاظم شعبية الأفكار التقدمية والشعارات الاشتراكية — الى تبني أو التظاهر بالعمل من أجل الاشتراكية .. حتى ولو كانوا أبعد الناس عنها ، كما يحاول عبد الناصر أن يصف حركته « بالاشتراكية التعاونية » (!!)

« ان الماركسية اللينينية التي نسترشد بها في نضالنا هي خير عاصم لنا من الانسياق وراء شعارات وأهداف بعيدة عن الظروف الواقعية لحياة مجتمعنا المادية .. لقد حاول أعداء جمهوريتنا أن يوحوا بأننا نحن الشيوعيين أصبحنا نعتبر مرحلة التحرر الوطني والديمقراطية قد انتهت ، وأننا تبعاً لذلك نسعى في الحال لتحقيق الاشتراكية (حاشا لله) ..

ولا يخفى أن تلك الدسائس .. الخ (لعن الله الدس والدساسين وبرأكم من الاشتراكية) .

« ان المهمات التحررية الديمقراطية التي يناضل حزبنا من أجلها ليست موجهة ضد العلاقات الانتاجية البورجوازية — الرأسمالية — » .

ويقول خالد بكداش : « كل كلام حول القفز فوق هذه المرحلة التاريخية .. مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي ، والدخول رأساً في مرحلة الاشتراكية ، هو كلام يؤدي عن قصد أو غير قصد الى تضليل الشعب ، والى محاولة تشويه المفهوم الصحيح للاشتراكية [1] » .

وكون المرء شيوعياً .. لا يبيح له أن يكون كاذباً أيضاً .. ولا يعني أن

---

(١) جريدة الصرخة أغسطس ١٩٥٤ (حقيقة الشيوعيين) .

نلغي نحن عقولنا فنصدق أن الشيوعيين قد دعوا للاشتراكية ، فضلا عن الادعاء الفارغ بأنهم أول من دعا لها !

الشيوعيون لم يدعوا الى الاشتراكية في الوطن العربي ، لا قبل عبد الناصر ولا في ظله ، بل عارضوا كل دعوة لها ، باعتبار أن مثل هذه الدعوة السابقة لأوانها تضليل ، لأن الاشتراكية لها ميقات معلوم ، بعد اتمام الثورة البورجوازية الديمقراطية ، ولها رجال مسومون .. هم الحزب الشيوعي ..

وما من تجربة كشفت انتهازية ونفاق ولا مبدأية الشيوعيين مثل موقفهم من النظم الاشتراكية في الوطن العربي. فعندما كانوا على خلاف مع هذه النظم، بسبب الآمال التي أثارتها احتمالات الوصول من خلال الأحزاب الشيوعية ، كانت هذه الاشتراكية – كما رأينا من أقوالهم – تغريراً واستغلالا مقنعاً .. الخ .. وكانوا يعارضون كل دعوة للاشتراكية . فلما اثبت العسكر ، انهم لا يقلون وصولية عن الماركسيين ، فسجنوا الشيوعيين ، واستأصلوا وجودهم، وأجبروهم على اعلان براءتهم من الماركسية ، وحل تنظيماتهم .. عندئذ عاد الشيوعيون ، يحاولون الالتفاف ، بمعونة الأشقاء الكبار .. ومن ثم فقد انهال المدح على« الاشتراكية » لذا كان من الضروري لفضح هذا الموقف، وكشف ان التأييد الحار حالياً لا يتم أبداً لحساب المبادىء الاشتراكية أو لصالح البؤساء .. بل لحسابات خاصة لكل فريق .. كان من الضروري اذن أن نستعرض موقف الشيوعيين من اصدقاء اليوم ، ماذا قالوا ، وكيف تقاتلوا .. فـإن ذاكرة الشعوب قوية .. ولكن ما أضعف ذاكرة القيادات ..

وكذلك يسقط ادعاء احتكار الشيوعيين للاشتراكية أو سبق الدعوة لها ، كما يسقط حق المطالبة به ، ما دامت التركة قد صفيت وتبدد الورثة ..

فماذا عن الاشتراكية ذاتها ؟

الاشتراكية بمعنى رفض الاستغلال ، رفض استئثار الأقلية بثروات المجتمع حتى لا تكون دولة بينهم ..

الاشتراكية بمعنى أن تكون الثروة من حق المجموع كله ، له الولاية عليها وله خيراتها .. بروح التعاطف والتآخي .. الاشتراكية بهذا المفهوم ، هي ظاهرة طبيعية جداً ، ومتواضعة جداً في حضارتنا الاسلامية . أما محاولة ادخال كل حضارتنا في الاشتراكية فنوع من خداع البصر ، كمن يضع القرش أمام عينه فلا يرى الشمس ، ويزعم أن القرش أكبر من الشمس !

لم يكن ماركس يدعو لحضارة جديدة ، بل هو ابن بار للحضارة الغربية، صنع نظريته من الفلسفة الألمانية والاشتراكية الفرنسية ، والاقتصاد السياسي الانجليزي [١] ، أي عصارة الحضارة الغربية في قمة نموها[٢]

وماركس يؤمن بالحضارة الغربية بكل قيمها وتاريخها ، ويعتز بهذاالتاريخ ، ويعتبره تقدماً للبشرية في طريقها نحو النصر الأكبر ويسمى جرائم هذه الحضارة حتمية تاريخية ، ولا يرجعها الى فلسفتها بقدر ما يرجعها الى الضرورات الاقتصادية .

وكل ما يتقدم به ماركس هو حل لانقاذ هذه الحضارة ، واخراجها من ورطتها ، أي التناقض بين العمل الجماعي والملكية الفردية .. التناقض الذي

---

(١) لنين .. تعاليم كارل ماركس (كتبه لدائرة المعارف البريطانية) .

(٢) فالشيوعية اذن ، سلاح ، وهو سلاح من أصل غربي مثل القنابل والطائرات والمدافع ، فلو لم يخترعه غربيان عاشا في القرن التاسع عشر هما كارل ماركس وفردريك انجلز ، اللذان تربيا في اقليم نهر الراين،وقضيا أحسن جزء من حياتهما العاملة في مدينة لندن، ثم بعد ذلك في مانشستر– لما أصبحت الشيوعية مذهب روسيا السياسي ، ذلك أنه لم يكن في التقاليد الروسية .. ما كان يمكن أن يؤدي بالروس الى اختراع الشيوعية بأنفسهم . ومن المؤكد أنهم ما كانوا قط يحلمون بهذا السلاح لو لم يكن موجوداً في الغرب (توينبي)

أوقعت فيه نفسها فجاء مخلصها ماركس يحل لها هذا التناقض بالدعوة الى الملكية العامة لوسائل الانتاج .

كل ما كان يعني ماركس ، هو اطلاق سراح قوى التقدم لهذه الحضارة كي تنطلق من جديد .

أما نحن فنعادي الحضارة الغربية ، وندعو لحضارتنا نحن .. وبالتالي فليست كل القضية عندنا هي حل هذا التناقض بين العمل الجماعي والملكية الفردية [1] . وليست اشتراكيتنا هي الماركسية .

اسلامنا أكبر من الماركسية ، ومن الحضارة الغربية التي أنجبت ماركس .

اشتراكيتنا هي الوضع الطبيعي في الحضارة الاسلامية ، وقضية تنبع من أخلاقنا العربية وتعاليمنا الاسلامية .

والماركسية قد بهرت الحضارة الغربية ، واعتبرت ثورة في الفكر الغربي لأن هذه الحضارة ترفض فكرة المساواة .. منذ أن وضع افلاطون في جبلة الخلق الأولى معادن يتمايز بها الناس وفقاً لأسعارها ؟ فمن وضع في طينتـه ذهب ، ساد من كان حظه فضة .. والثاني يسود من وضعت الآلهة في عجينته النحاس ! .

وجاءت الكنيسة ، تتدرج فيها المناصب في نظام طبقي أعنف من طبقات الهندوس .. الى خرافة الدم الأزرق .. الى ماركس نفسه !

هل آمن ماركس ، أو دعا للاشتراكية ، ايماناً بمساواة البشر أو « ليس منا من بات شبعان .. وجاره جائع » [2] .

أبداً .. آمن بالاشتراكية باعتبارها قضاء لا مرد له .

والاشتراكية في الحضارة الاسلامية سلوك طبيعي ، الماركسية ما زالت

---

(١) بل اننا لم نصل أبداً لهذا التناقض المدمر .. والاشتراكية قد قامت في أبعد البلاد عنه ..

(١) حديث شريف .

تجادل منذ أكثر من قرن ، في فكرة تملك المجتمع لمصادر الثروة .. بينما هذه القضية بديهية في المجتمع الاسلامي ، حتى أن الدول البترولية العربية لم تثر فيها مشكلة على الاطلاق حول شكل ملكية الحصة العربية في البترول .. بل كانت منذ اليوم الأول للدولة ، مهما تكن الاعتراضات على شكل دولة من الدول أو على طريقة استخدام هذه الحصة .

ان اقناعنا بالملكية الفردية كان المهمة الأصعب منذ القرن التاسع عشر ، بينما كان تملك المجتمع هو السلوك الطبيعي المقبول عندنا .

ولقد وضعت الدواوين في صدر الاسلام في عهد عمر لا لتقدير الضرائب والاتاوات على المواطنين ، بل لتسهيل صرف العطاءات .. المرتبات التي التزمت بها الدولة ازاء جميع رعاياها منذ لحظة مولدهم ، وقبل أن يولد ماركس بثلاثة عشر قرناً ! . ودون حركة سياسية ولا نقابات ولا أحزاب ! بينما لا يزال يدور نقاش حاد حول اعانات العاطلين ومعاشات التقاعد في أوروبا وأمريكا .. وهل يتفق ذلك مع روح المجتمع الأمريكي « العظيم » والحضارة الغربية .. الخ .

وعمر بن الخطاب يرى شيخا يهوديا يسأل الناس ، فيعلن أن الدولة لم تنصف اليهودي .. أكلت شبيبته وضيعت شيخوخته ، ويأمر له بمعاش !

وإلى الآن لم نر نظاما اجتماعيا يفرض مرتبات للجميع . وعمر رضي الله عنه ، عندما قرر للذين بلغوا الفطام ، وسمع طفلا يبكي لأن أمه تريد أن تفطمه ليسجل في كشوف المرتبات ، بكى وأنب نفسه قائلا : « ويحك يا عمر .. كم قتلت من أبناء المسلمين » وأمر أن يقرر المرتب لكل طفل يولد .

أقصى ما وصلت اليه الحضارة الغربية وباسم الاشتراكية هو « من كل قدر طاقته ولكل حسب عمله .. »

انه شعار صيارفة ! .

أو « من لا يعمل لا يأكل » . تأمل هذا الشعار ، انه حقاً شعار وحشي ... شعار الغابة .. الضباع أيضاً من لا يعمل فيها لا يأكل !

أما حضارتنا ، فيقول عمر : « كنا نعد المقرض بخيلا .. انما كانت المواساة ». « والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه » . « ليس أحد أحق بهذا المال من أحد » .

أريد أن أقول : ان الاستغلال والاحتكار والطبقية ليست لها جذور في المجتمع العربي .. لأن الطبقية والاستغلال ، لا يقومان على مجرد رغبة المستغل في الاستغلال ، أو شهوة الطبقات المالكة للاحتكار والاستئثار بالسلطة .. بل تقوم أساسا على تقبل المحكومين لهذا الوضع ، تقبل الفقراء أن يستغلهم ويجيعهم فريق منهم .. باسم الامتيازات الطبقية !

الرأسمالية لا تعيش في أوربا وأمريكا بمجرد تمسك الرأسماليين بها ..اذ أن الرأسماليين طبقاً للنظرية الماركسية ، أقلية ضئيلة ، ولو اعتمدوا على قوتهم وحدها لما استمر حكمهم ساعة واحدة .. انما يبقى النظام الاستغلالي هناك لايمان الجماهير المستغلة نفسها به ، واستعدادها للموت دفاعا عنها !

ان الحضارة الغربية — كما قلنا — تؤمن حتى النخاع ، بانعدام المساواة بين الناس ، وبأزلية النظام الطبقي .. بعكس حضارتنا ، فنحن أمة من تراثها « عجبت لمن بات لا يجد قوت يومه ، وأصبح لا يجد قوته ، ثم لا يخرج على الناس بسيفه » .

وقد أصاب المسلمون يوما قماشا ، فقسمه الخليفة « عمر » على الناس فكان نصيب كل مسلم قميصا .. وكان عمر طويل القامة « يمشي كأنه راكب » .. فخرج على الناس للصلاة وقد لبس قميصا يغطي ركبتيه .. ونادى في المسلمين : « يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا .. »

صاح مواطن :

ـ لا سمع .. ولا طاعة .

وفزع عمر يسأله : لماذا ؟ .

وأجاب الرجل : لأن كلاً منا أصابه قميص ، فمن أين جئت أنت بما يكفي لستر عورتك وأنت أطول منا ؟!

ويبادر عمر فينادي ابنه الذي يفسر ذلك بأنه أعطى أباه أمير المؤمنين نصيبه من القماش !

ويقتنع الرجل ، فيعلن : « الآن .. نسمع ونطيع ! » .

نعم !

أنا أعرف أنها قصة قديمة ، ولكن ما أريد أن ألقي عليه الضوء هنا ... هو عبرتها ، لا من ناحية سلوك عمر ، بل سلوك الرعية .

ان الاستدلال بها على زهد عمر ليس أروع جوانبها بأية حال .

ان ظهور حاكم زاهد أو نزيه أمر ممكن في كل العصور ، وكل النظم ، ولا تبنى الحضارات ، ولا تبعث الأمم بظهور حاكم نزيه . انما تقاس عظمة الحضارة بالتكوين النفسي للمواطن فيها .. الفرد العادي .

وهذا المواطن منذ ١٤ قرنا ، يقلقه عدم المساواة ، ويرى في استئثار الحاكم بمتر من القماش ، أكبر مما نال المواطن من رعيته مبررا كافيا لخلع الطاعة واعلان الثورة !

مثل هذا الايمان هو الذي يخلق أمة لا تقهر [1] .

---

(١) هذه هي الأمة التي يتقول عليها « لويس عوض » ويزعم انها تعلمت الحرية من أوربا ، وان كلمة حرية لا توجد في اللغة العربية ! .. بينما يعترف خروشوف أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي كانت تعرف جرائم ستالين ولكنها اقتنعت ان أي معارضة ، هي عملية انتحارية وغير مجدية ! ! ويقول السفير الروسي في لندن في مذكراته ، من باب مدح نفسه ، انه بدأ « يشك=

وتأمل كيف تقبل الحاكم هذه المساءلة بكل بساطة ، والتزم بأن يشرح موقفه !

نحن أمة لا تحتاج لمن يعلمها الاشتراكية ، حسبنا أن نعلم الناس الاسلام ، ثم أروني مستغلا يقدر على استغلالهم ! .

ان الدولة الحارسة لم تعرف في تاريخنا الاسلامي .. دولة : دعه يعمل ، دعه يمر .. غريبة علينا . الدولة الحارسة التي ظهرت في أوروبا الحديثة باعتبارها أكمل نظام للحكم ، يطلق ملكات الأفراد ، وينمي طاقات المجتمع .. وهي الدولة التي تقتصر مهمتها على الدفاع والأمن والقضاء ، هذه الدولة لم يعرفها تاريخنا ، بل التزمت الدولة من اليوم الأول — كما رأينا — بجميع الواجبات [1]

= في امكانية أن يخطىء ستالين»،.. وهو طبعاً لم يشك في ذلك الا بعد حرق جثة ستالين وذر رمادها .. إنني أعتقد أن الديكتاتورية تنبع من الشرك في صميم الضمير الغربي .. لان المسلم لا يسلم بقدسية عقل بشري .. وعندما علم الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، المسلمين التوحيد ، علمهم حرية الرأي ، واحترام الفكر .. فلما انزلهم في غزوة بدر موقعاً معيناً .. جاء الحباب بن المنذر يرسي قواعد الديموقراطية لملايين السنين .. سأل رسول الله : أرأيت هذا المنزل ، امنزلا انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال الصادق الأمين : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل .. فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء .. الخ . فيقول رسول الله : لقد أشرت بالرأي ... ونهض رسول الله ومن معه من الناس الى حيث اشار الحباب بن المنذر .. الجندي في جيش المسلمين ..

هذا هو الاسلام .. ارادة الله وحدها هي التي لا تناقش .. اما اذا كان الرأي لرسول الله ، فلا قدسية لتفكير بشري ، حق لكل صاحب رأي ان ينتقد وأن يقترح .. وحق على رسول الله أن ينزل على الرأي الصواب . وبعد ١٤ قرناً يفتخر سفير روسيا المادي الجدلي بأنه شك في امكانية خطأ ستالين !

ألا يحق لنا أن نتيه على الدنيا باسلامنا ؟!

« راجع سيرة ابن هشام . ومذكرات السفير الروسي بآخر ساعة ابريل ١٩٦٥ » .

(١) كان كتاب الرأسمالية عملاء الغزو الفكري في القرن الماضي والنصف الاول من هذا القرن ينتقدون حضارتنا التي يعتمد فيها الفرد على الحكومة . ويطالبها بكل شيء .. وها هي قد أصبحت فلسفة العصر .

فالتزمت بصرف المرتبات لكل من يولد .. وبتحديد الأسعار .. بل كـان الفقهاء يلزمون الدولة بتزويج من لا يقدر على الزواج . وسأل عمر السيدات عن أقصى مدة تتحملها الزوجة المفارقة لزوجها ، حتى يضع على أساسها نظام إجازات الجنود ! .

الدولة التزمت عندنا بكل المسئوليات ، والرعية حملت الدولة هذه المسئولية فيما كبر وصغر ، مع الحماية الكاملة للحرية الفردية .

أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، وزوجة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بعثت إلى ملكة الروم بطيب وأحفاش من أحفاش النساء ، ودسته إلى البريد فأبلغه لها ، وأخذ منه ، وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها وقالت هذه هدية امرأة ملك العرب ، وبنت نبيهم ، وكاتبتها وكافأتها ، وأهدت لها ، وفيما أهدت عقد فاخر ، فلما انتهى به البريد إليه ، أمره بامساكه ، ودعا : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، وصلى بهم ركعتين . وقال : أنه لا خير في أمر أبـرم عن غير شورى من أموري ، قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة مـلك الروم ، فأهدت لها امرأة ملك الروم .

فقال قائلون : هو لها بالذي لها .. وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ، ولا تحت يدك فتتقيك . وقال آخرون : قد كنا نهدي الثياب لنستثيب ، ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمنا ..

فقال : ولكن الرسول رسول المسلمين .. والبريد بريدهم .. والمسلمون عظموها في صدرها .. فأمر بردها إلى بيت المال ، ورد عليها بقدر نفقتها[1] .

هكذا يفهم عمر بن الخطاب القطاع العام كما نسميه ، أو الأمـوال الأميرية ..

المهدى اليها استخدمت بريد الدولة .. وموظف عمومي ، هو الذي حمل

---

(١) الطبري .

هديتها ، واهتمام ملكة الروم بهدية أم كلثوم ، يعود إلى مركزها كزوجة أمير المؤمنين .. هذه المكانة التي صنعها المسلمون لدولتهم .. وبالتالي فعظمة أم كلثوم انما ترجع لجهد الأمة الاسلامية ، فليس من حقها أن تستغل جهد الأمة وتدعي أنها تُعظم لشخصها !

لكل هذه الاعتبارات ، ليس من حق أم كلثوم أن تأخذ الهدية التي بعثتها ملكة الروم .

وتأمل ردود المسلمين ، ليست بذمة فتصانع ، ولا تحت يدك فتتقيك ، أي أنه في مثل هذه الحالات يجب رفض الهدية بلا مناقشة لأن الرشـــوة واضحة .

واستعمل رسول الله رجلا من الأزد على صدقات بني سليم فجاء بزكاتهم فسلم الرسول أموال الدولة وبقي معه بعض المال وقال : هذه هدية أهديت لي . فظهر الغضب في وجه النبي ، وقام وخطب الناس ، فقال : « اني استعمل رجالا منكم فيقول هذا لكم وهذه هدايا أهديت لي ، فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ » .

لا أريد أن أطيل الحديث ، فليس هذا هو موضوع كتابنا هذا .. أريد أن أقول أننا قد أذلنا البعد عن ديننا ، ولا يحررنا الا العودة إليه ..

فليست الماركسية هي التي تحررنا .. بل الاسلام .

أما جعجعة الشيوعيين حول الرجعية والرجعيين، الزعم بأن الذين ينتقدون الشيوعية ويقاومونها، هم الرجعيون .. فهو مجرد هراء، فمتى كانت الرجعية تخشى الشيوعية في الوطن العربي ؟

وما الذي بقي للرجعية في مصر لتخشى عليه الشيوعية ؟ بعد أن قصمت الاشتراكية ظهرها، وجردتها من كل ما جمعته من استغلال الجماهير، والرضوخ للاستعمار، بل أستطيع أن أقول : ان الرجعية — برغم ما تشيعه وتروجه في خبث — هي آخر من يصدق أن بلادنا شيوعية، أو تسير نحو الشيوعية .

نحن نؤمن أن بلادنا لن تصبح شيوعية، لأننا نثق بأنفسنا وبصلابة شعبنا .. ولو كانت القضية، هي استيلاء الشيوعية على البلاد، لما شغلنا بالنا لحظة واحدة .. ولأبشر مائة مليون « مربع » بطول سلامة .. ولكن الخطر يكمن في التخريب الذي يحدثه الفكر الشيوعي، مما يمهد للقوى المتربصة بنا، ويفتح لها الطريق لتضرب ضربتها .. خاصة وأن الشيوعيين العرب بالذات، لا أصالة لهم ولا جذور قومية .. غرباء المنبت والمذهب شواذ السلوك، انهم يكتبون في مجلة حوار، ويمدحون اليوت، ويصدرون النشرات للدعوة لانتخاب جونسون

ويعدون من مساوىء جولد ووتر أنه يدعو لابادة اليهود [1] .

أما الرجعية فلا يعنيها الدين ولا يقلقها مصير القومية ، وهي تتمنى أن تصبح العمالة منطق الجميع ، وفرصتها الوحيدة الآن هي التخريب المزدوج عن طريق بث القلق في الجماهير بنشر الأفكار الشيوعية التي تتحدث عن نزع ملكية الفلاحين وصغار المنتجين والملاك في المدن .. وباعطاء صورة مشوهة لاشتراكيتنا في الخارج باصطناع قسمات شيوعية ، تدعم حجة الرجعية ، التي ما فتئت تراهن على أن طريق الاشتراكية نهايته الشيوعية ، وطريق العداء للغرب نهايته الانحياز للشرق .

ولا شك أن مما يفسد هذا المخطط ، هو التصفية الشاملة للفكر الشيوعي عن طريق تعريته وفضحه وتفنيده .

كذلك لا يخفى خطر تحالف الشيوعيين والرجعيين ، ولقد رأينا هـــذا التحالف أكثر من مرة ، منذ دفاعهم عن سجناء الثانوية العسكرية [2] . والجبهة التي كونوها مع « رجالات مصر » (هكذا) .. الى فضيحة التحالف مع الانجليز في تخريب الثورة العراقية وتحطيم الوحدة [3] .

اذن فقد تحالف الشيوعيون مع اليمين الرجعي ، والاستعمار الأجنبي .. واذن فبديهية أن الرجعية هي التي تعادي الشيوعية بديهية فاسدة .. وقد حاربنا الشيوعية والشيوعيين في معركة العروبة منذ نهاية ١٩٥٨ ، ولم نسقط في أحضان

---

(١) « جولد ووتر اله الحرب الجديد » عن دار الملايين .
(٢) راية الشعب : صحيفة الحزب الشيوعي المصري . في حملتها على ثورة يوليو .
(٣) قال أحمد بهاء الدين في مقال قصة الشيوعية في مصر « المصور ٤ مارس ١٩٦٥ » : ولما كان الاستعمار الاجنبي واليمين الرجعي في المنطقة العربية كلاهما حريصاً في ذلك الوقت على تحطيم الوحدة ، فقد وقف الكل في صف واحد مع الشيوعيين .

الرجعية ، بل هم الذين سقطوا ، وذلك بالرغم من عزفهم نغمة الرجعية والرجعيين [1] .

ان اتهامات الشيوعيين ، لا تساوي ما يعلق بالحذاء ، اذا ما اضطر المرء إلى أن يخوض في الوحل .

أليسوا هم الذين اتهموا الجمهورية العربية المتحدة ، بما لم تجرؤ ألد الدعايات المعادية على ترديده ؟!

قالوا :

« هل أن (!!) من التضامن العربي ، خضوع حكام القاهرة لمشيئة الدول الاستعمارية في الآونة الأخيرة ، وامتثال أوامرها ، ومضايقة أعضاء الحكومة الجزائرية الحرة ، والحيلولة دون تنامي نشاطها » [2] .

أرأيت .. مصر كانت تعمل ضد حكومة الجزائر الحرة ، امتثالا لمشيئة الاستعمار ؟!

وأيضاً :

« بل هل ان من التضامن أن يسعى حكام العربية المتحدة في الآونة الأخيرة الى ايجاد منافذ تربطهم بالدول الاعضاء في « السنتو » أو حلف بغداد المقبور بحجة مكافحة الشيوعية ، في حين أن كلمة الأمة العربية لم تجمع على شيء مثل اجماعها على شجب هذا الحلف الاستعماري ودك قواعده » .

---

(١) « وحدة الصف الوطني أو الجبهة الوطنية الموحدة لدى جريدة « اتحاد الشعب » (الشيوعية) يعني أن تكون الاطراف الوطنية اتباعاً لها ، واذا تجرأوا فشكوا أو عارضوا فهم « خونة » و « عملاء » و « رجعيون » ..

من افتتاحية صحيفة الأهالي ١٠ آذار ١٩٦٠ .

(٢) صحيفة المبدأ لسان حال الحزب الشيوعي العراقي « المرخص » ١٣ كانون ثان ١٩٦٠ .

حتى حلف بغداد عملت القاهرة لحسابه !! (آه يا حلف بغداد كم من الجرائم ارتكبت باسمك ، وكم من جرائم أبشع ارتكبت باسم مكافحتك !!)

وأيضا : « الا أن المتآمر الطبقجلي (الشهيد ناظم الطبقجلي بطل العروبة والاسلام،أعدم في الفتنة القاسمية ٢٠ سبتمبر ١٩٥٩) ومن لف لفه يتحاشون ذكر كل الحقائق ، ويصورون مؤامراتهم كما لو كانت (ثورة محلية) على الالحاد الشيوعي والتبعية والعزلة القومية . وقد برأ الطبقجلي حكام المتحدة ، واعتبر المؤامرة بأنها حركة جماهير الموصل المنتفضة لصيانة معتقداتها القومية والدينية ، وغير ذلك من المزاعم الناصرية المعروفة ، التي توجت باختراع أساطير حرق القرآن ، وتجنيد بعض رجال الأزهر لاصدار (فتاوى الجهاد) ضد العراق « الشيوعي الملحد » وضد أبنائه « التتار » . ان كل خونة العراق سابقاً ولاحقاً كانوا ولا يزالون يتمشدقون باسم « القومية » و « الدين » وهما براء منهم . ألم يفعل ذلك نوري السعيد والجمالي وعبد الاله وكنه وبهجت العطية !؟ ألم يفعل ذلك عبد السلام ورشيد علي والشواف ؟ » .

« فبعد أيام قلائل لا غير على انتصار الثورة ، بادر عبد السلام عارف إلى ابرام (العقد القومي) مع حكام المتحدة لالحاق العراق بالعربية المتحدة . وطبيعي أن مثل هذا العمل لا صلة له بالعقيدة والمبدأ .. بل هو خروج على القانون (تأمل) ومعاداة للجمهورية وخيانة وطنية » [1] .

حقاً أن الشعب العربي لن يسمح لقالة هذا اللغو بالعودة مرة ثانية إلى

---

(١) صحيفة اتحاد الشعب .. لسان حال الحزب الشيوعي العراقي « غير المرخص » بتاريخ ١٩٥٩/٨/٢٤

مسرح السياسة .

« اننا سننتصر – حتما – ما زلنا واقفين ضد الرجعية والاستعمار .. ما زلنا ملتفين حول زعيمنا البار « عبد الكريم قاسم » العالم ببواطن الأمور (استغفر الله العظيم) ! والمعاند العنيد للرجعية والقابض بيديه على مستمسكات ثبوتية تدين الطامعين »[1].

الى سقر ، وبئس المستقر ، هم وزعيمهم ومستمسكاتهم .

وأفظع من هذا ..

« هتف (أحدهم) عاش الجيش العراقي نصيرا للعروبة والاسلام ! وهو الهتاف الذي يردده المتآمرون الهاربون والطامعون من اذاعات عبد الناصر ، لما فيه من تحريض مكشوف لجيشنا الباسل باسم حماية الدين والعروبة في العراق »[2] .

وإذا كان الشيوعيون يتناسون ما قالوه بالأمس ، وإذا كانت الضرورات تجبر البعض على نسيان ما افتراه الشيوعيون بالأمس .. فإن من حق شعوبنا علينا أن نذكرها .. ومن حق الدماء التي أريقت ضد الشيوعيين ، أن لا تخون ذكراها فنسكت على تحالف من أراقوا الدم الطاهر ، الدم العربي ، مع الذين أراق الشهداء دمهم دفاعا عنهم وباسمهم وتحت رايتهم .

---

(١) « صوت الأحرار » الشيوعية ٢٨ أيلول ١٩٥٩

(٢) « صوت الاحرار » الشيوعية ١٩٦٠/٢/٢٤

الماركسيّة ضد الدين

وأحسب اننا قد خضنا بعيدا في الحديث ، وآن أن نحدد وأن نجمع الخيوط لنقول ما هي أسلحة الماركسية في الغزو الفكري .. وما هي نقط الاصطدام بحضارتنا ووجودنا القومي ، ومن أين ينبعث الخطر علينا ؟ .

الماركسية دعوة لا دينية ..

والماركسي الذي يزعم أنه لا يعارض الدين .. كاذب .. والشيوعي الذي يثني على الدين .. منافق .

الماركسية نظرية مادية ، والمادية تنكر الأديان ، المادية تؤمن بأسبقية المادة على الفكر ، والدين عندها فكرة ، صنعتها المادة .

الدين في الماركسية افراز ثقافي أو فكري لوضع مادي ، هو الوضع الطبقي . جاءت به الطبقات المالكة لتحكم به الطبقات الكادحة ، إما عن طريق اقناعهم بأن النظام الطبقي هو ارادة الله الذي قسم الناس إلى طبقات ، أو بتلهيتهم عن الكفاح بتعليلهم بأمل التعويض في العالم الآخر حيث يأخذ المحرومون ويحرم الذين أخذوا ، حيث دخول الغني ملكوت الله أصعب من دخول الجمل سم الخياط .. ويكوى الأغنياء بما جمعوا من أموال ! .

ولذلك تنبأت الماركسية بأن الأديان التي ظهرت مع النظام الطبقي ستزول

بزواله ، أو في أعقاب هذا الزوال [١] .

الشيوعي يؤمن بأن الدين هو أحد أسلحة الحرب الطبقية ، واذا زالت هذه الحرب فسيوضع الدين في المتحف ، كما سبق أن وضع السيف والدرع !

وعندما يتحدث الشيوعي عن حرية الأديان ، فانما كمظهر من مظاهر تسامح الدولة اللادينية ، التي لا تتعصب لدين بعينه . وكوسيلة ذكية للقضاء على الدين ، الذي هو — كما يقول لينين — لو ترك وشأنه فسيذوي ، لأنه يعيش ويقوى بالاستشهاد ، ولكن الحزب الشيوعي يجب أن يكافح الدين بين صفوف أعضائه على الأقل .

ولا أظنني بحاجة إلى نقل عدد من النصوص التي تهاجم الدين ، ولا المؤلفات التي كتبت ضد الدين بأقلام الشيوعيين ، فلا أظن أن شيوعيا يحترم نفسه ينكر تعارض الماركسية مع الدين وأنه لا يمكن أن يكون المرء مسلما أو مسيحيا وماديا جدليا في نفس الوقت .

وصحيح أنه من الممكن أن يعطي المتدين صوته في الانتخابات للشيوعيين ، ولكن ليس هذا ما نعنيه ، كما أن نظرة الماركسية للدين تتنافى مع نظرتنا ..

وفي هذه الأيام نسمع ثناء مستفيضا على الدين ، وعلى الاسلام بالذات ، من بعض الشيوعيين ، ونحن نشكرهم بالطبع ، ونعرف أنها كلمات تقال للمجاملة ، أو حتى عن صدق ، ولكننا نختلف معهم كما يقول عمار اوزيجان الجزائري المسلم : « تستعجل العقلية العصرية كثيرا في توديع الأديان كلها توديعا مأتميا ، دون أن تدرك أن الايدلوجية الاسلامية ليست محتضرة ، بل في كامل اندفاعها وحركتها .. » [٢] .

فنحن نرفض كلمات التأبين التي يقولها الشيوعي ، وهو يودع الاسلام !

---

(١) لأن الأفكار تكتسب القدرة على الانفصال والبقاء حتى بعد زوال أسبابها المادية .

(٢) الجهاد الافضل : عمار اوزيجان .

نرفض التحليل الذي يقول بأن الاسلام كان عظيما في حينه ، ومن واجبات العظيم أن يفسح السبيل للعظيم الجديد الذي بشر به ماركس ! نحن لا نسلك ماركس في عداد أصغر تلاميذ فقيه من فقهاء الاسلام ، ونعتقد بكل فخر أن الاسلام — حقاً — صالح لكل زمان ومكان .. وأننا بعد أربعة عشر قرنـــا لا نجد في الاسلام جزئية واحدة يحس ازاءها المرء بالحرج أو الحيرة على ضوء التطور العلمي والتقدم الحضاري .. ولا نجد قيدا واحدا يحول بيننا وبين بناء حضارة عصرية قادرة على أن تحل مشاكلنا بل وأن تقدم الحل الأكمل للبشرية كلها [١] .

الاسلام لم يكن مرحلة من مراحل تطور البشرية ، ومع ايماننا بالوحي ، فاننا نقبل الاحتكام للقيم البشرية التي جاء بها الاسلام لنرى ان كان قد عفى عليها الزمن .

لو قام الدليل على أن المساواة الحديثة ، قد تخطت مساواة الاسلام ، أو أن العدل الحديث قد فاق عدل الاسلام ، أو أن الحرية في القرن العشرين تزري بحرية القرن الأول الهجري .. عندئذ سنصدق ان الاسلام كان مرحلة على الطريق !.

ولكن .. العكس هو ما نراه .. ما زالت الحضارة الغربية تسعى خلف القيم الاسلامية ، فلا تكاد تدركها .

---

(١) « القرآن لا تقوم مقامه عقيدة أخرى ، فلسفية ، نستخرج لها من أحكامه الملاءمة لكل دهر وجيل ، ومن المستحيل أن ننهض وهو ملقى وراء ظهورنا ... نعم الاسلام دين الانسانية الخالد وهو الذي وطد دعائم الامة العربية فيما سبق وهو الذي ينهض بها في الجديد ، به تتوحد كلمة الشعوب وتزدهر حضارتهم . فلنصطف من جديد تحت رايته الظافرة لنعيش كراماً سعداء كما عاش اجدادنا .. كي ننشر مجدنا من جديد وننشىء دولة شديدة الاواصر رائدها القرآن وشعارها الاسلام . »

محمدي السعيد

في كتيب الاشتراكية والاسلام

الانقلاب الكنسي الكبير ، باعلان البروتستنتية ، والانشقاق على الكاثوليكية هو ثمرة الاتصال بالمسلمين ، محاولة الغاء الكهنوت ايجاد دين بلا كهانة .

أي اسلام .. !

ولكنهم لم ينجحوا ..

كل المذاهب ، اضطرت لاباحة الطلاق ، ولم يعد متزوج المطلقة أو الأرملة يزني بها ، تماما كما قال الاسلام منذ ١٤ قرنا .

الثورة الفرنسية جاءت تنادي بالاخاء والحرية والمساواة .. ولكن أخوة الاسلام ، وتعايشه السلمي مع غير المسلمين ، لم تصل اليها أوروبا حتى اليوم .

أوروبا ، إلى القرن العشرين ، كان القانون الدولي عندها يقتصر على ما يسمونه « الأسرة الدولية » أي مجموعة الدول البيضاء ، أما باقي البشر فسائمة لا يلتزم البشر البيض أمامهم بقانون ! .

والاسلام كان يدعوهم في القرن الأول للهجرة إلى الاسلام أي المساواة المطلقة ، وفرنسا في القرن الرابع عشر للهجرة كانت تشرع وتستثني المسلمين ، رغم اصرارها على اعتبارهم مواطنين فرنسيين ! .

الحضارة الغربية لم تفهم المساواة إلا على أساس قصرها على الجنس الأبيض وحده .. وحتى الشيوعية كما رأينا لم تستطع أن تقتلع الايمان بتفوق الجنس الأبيض .

والثورة الفرنسية التي يتغنون بها ، هي التي قتلت وأحرقت وأعدمت على الخازوق في مصر في سنواتها الأولى ، وليس بعد تحولها إلى الاستعمار كما يحلل الماركسيون .

ثوار باريس الذين خرجوا من خلف المتاريس بعد اسقاط شارل العاشر ، هم الذين ذهبوا بعد ذلك إلى الجزائر ففتكوا بأهلها .

الحضارة الغربية لا تعترف بأن الأجناس الأخرى بشر مثلهم .

في أمريكا ما زال الصراع قائما حول حق الاقتراع للزنجي ، رغم مرور مائة عام على تحرره ! ودعنا من المساواة الحقيقية .. أي اندماج الأسود في حياتهم اليومية .

والعرب اليوم في أشد مناطقهم تخلفا لا يميزون بسبب اللون ! وعمر منذ ١٤ قرنا يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا .. أي بلال ،ويولي عمار بن ياسر الامارة .. رغم معرفته بأنه لا يصلح للولاية . اقراراً لمبدأ المساواة المطلقة .، وتحقيقاً لقوله تعالى ، « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

وعمر يقول : « لو كان سالم مولى حذيفة حيا لاستخلفته » أي جعلته أميرا للمؤمنين ، وفيهم عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ومعاوية .. رضي الله عنهم ، وسالم هو العبد الذي أعتقته امرأة من الأنصار ! .

ورسول الله صلوات الله عليه يسمع أبا ذر يقول لبلال : يا بن السوداء ، فيتملكه الغضب حتى يكرر « طف الصاع .. طف الصاع [1] ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو عمل صالح .. ! » ويعلن أن أبا ذر امرؤ فيه جاهلية ، ويبلغ الألم بأبي ذر حدا يجعله يضع رأسه على الأرض ويطلب من بلال أن يطأ وجهه بنعله ! ..

وأبو ذر قاطع طريق قديم ، وله سبق في الاسلام حتى على بلال .. نافر معاوية أمير الشام ، فلم يقدر عليه معاوية إلا أن يشكوه لعثمان .. ولكنه بالاسلام وحده يضع وجهه تحت نعل العبد الزنجي الذي رفعه الاسلام إلى أعلى المراتب ! .

---

(١) أي ان الامر خطير وتجاوز كل حد ..

اذا لم يكن ذلك وحيا من السماء فكيف يتفوق رجال الصحراء منذ ١٤ قرنا على أبناء القرن العشرين ، صناع وثيقة حقوق الانسان قادة الثقافة الغربية .. رجال الديمقراطية الأمريكية في ولايات الآباما واركنساس .. وتكساس الخ !

ثم كانت الثورة الشيوعية ! تحقق المساواة باسم السوفيتية ، فتلغى الفروق بين الشعوب والقوميات .. وهكذا قالت ..

ورغم مرور نصف قرن .. فماذا لدينا من أدلة ؟ .. ما زلنا نرى أن العناصر البارزة في كل الميادين هي من الجنس الأبيض ، ومن القومية الكبرى غالبا ، بينما لم يكد يكتمل القرن الأول حتى كان معظم الفقهاء في الدولة الاسلامية من غير العرب ! .

اننا – كما قلت – نرفض الثناء الشيوعي على الاسلام ، اذا كان من قبيل ابراء الذمة ، فنحن نؤمن أن للاسلام رسالة سيحققها [1] وأنه الدواء لمشاكل الجنس البشري في هذا العصر بأخوته وتسامحه ، بايمانه المطلق بالمساواة ، بحيويته ، باقباله الواعي على الحياة ..

وهو سبيلنا إلى بناء حضارة .. وهو رسالتنا إلى افريقيا . ليس لدينا ما نقدمه لأفريقيا السوداء .. سوى دين بلال ، دين : أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر ، فضل

---

(١) لا يترعرع شعب الا في ظل المبادىء الطاهرة التي خلفها له سلفه المجيد ، ومن ماضيه يستمد العظمة والمنهاج الحافزين له للوصول الى أوج التقدم والحضارة وهذا ما لاحظناه في أثناء كفاحنا .. وفي الختام لا يتحقق لنا نظام سياسي واجتماعي واقتصادي الا اذا كان مستمداً من ديننا الحنيف وملائماً لاخلاقنا الكريمة وشخصيتنا الممتازة .

محمدي السعيد

الا بالتقوى ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد .. فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

صلوات الله عليك يا رسول الله . ذلك ما حرصت على أن تبلغه البشرية جمعاء في حجة الوداع .

ألا هل بلغت ؟ ..

اللهم نعم ! .

اللهم نعم ! .

اللهم نعم ! .

إذن فالنقطة الأولى التي تجعل الماركسية ضربا من الغزو الفكري ، هي معاداتها للدين ، وهي هنا أخطر من عصابات المبشرين لأنها لا تدعو لدين فتستفز العصبية بل تدعو إلى الخدعة المنسوبة لعمرو . تدعو إلى الالحاد .. أي خلع الأديان وتكون النتيجة تخريب الاسلام .

ولا شك أن الكتابة في هذا الموضوع شائكة ، من كثرة ما زيف الاستعماريون الغربيون ضد الشيوعية ، وما تهتك المتحمسون للشيوعية في دفاعهم وحماسهم .

ولكني آثرت أن أنقل من كتاب (أسرار ما وراء الستار) [1] لأن مؤلفه يصلح كشاهد محايد .. فهو مسلم .. وأيضاً عاطفي ومعجب (بالاتحاد السوفيتي) .

« والنظام السوفيتي يسري على الجمهورية (أذربيجان) الآن دون شريك ، وبمقتضاه شملت المساواة الطبقات والأفراد ، كما شملت الذكور والاناث ، وكانت نتيجة ذلك أن تساوى الجنسان في الارث والشهادة والوصاية والتضامن

---

(١) محمد جميل بيهم .

في النفقات [1] ، هذا فضلا عن المساواة في الأعمال والأجور والضمان الاجتماعي .. وبالتالي منع تعدد الزوجات ، وانحصرت مهمة عقود الزواج بالموظفين المدنيين دون سواهم ، أما الطلاق فهو موجود أسوة بسائر الجمهوريات : ولكنه لا يقع الا في حالات محدودة وبحكم من المحكمة المدنية » .. « وأما الذي ظل سليما من هذا النظام فهو الأسماء العربية التي لا تزال منتشرة بين الرجال والنساء » [2] .

اذربيجان .. دخلها الاسلام سنة ٢٤ هجرية أي قبل شمال أفريقيا ، قبل الجزائر .. وفي تاريخ مقارب لمصر .

وانتاجها من النفط سبعون ألف طن أكثر من إنتاج ايران ، (!!) وبها الحديد والمانغنيز ، والقطن والكروم والحمضيات والفواكه [3] .

واذربيجان بها « ثلاثون ألف مخطوط منها ١٢ ألف مخطوطة عربية .. ولا يوجد بها معهد لدراسة العلوم الاسلامية والشؤون الدينية ، وأما تعليم الشريعة الاسلامية في مدارس خاصة أو مدارس حكومية فلا وجود له البتة في أذربيجان»

« وقد شكرنا عمدة المجمع على ما زودنا به من معلومات ، وودعناهم ونحن معجبون بتلك النهضة العلمية الجبارة ، ومشفقون في نفس الوقت على مضير الاسلام في تلك الجمهورية المسلمة أو بكلمة أصح التي كانت مسلمة [4] » .

---

(١) أكبر أكذوبة جاهلة ، هي الزعم بأن الاسلام يفضل الذكر على الانثى عامة .. وعلى أساس التقسيم الجنسي .. أي لمجرد أن هذا ذكر وهذه أنثى . اذ الواقع أن هذا التفضيل في بعض الحالات ، وفي حالات أخرى ترث الانثى أضعاف ما يرثه الذكر وفقاً لعلاقتها بالموروث . فالتقسيم هنا لا علاقة له بالجنس من حيث كونه رجلا وهي امرأة أو لأن المرأة أقل من الرجل . وليس هنا مكان التفصيل . (راجع كتابنا : دراسة في فكر منحل) .

(٢) ص ١٥٤

(٣) ص ١٥٥

(٤) ص ١٧٣

« هذا وقد فهمنا من بعد أن في باكو خمسة مساجد ، أقفل أحدها لنقص عدد المصلين . واني لأخشى اذا انقرض الجيل الحاضر وانقرض معه المحافظون، أن تغلق أبواب المساجد الباقية ، خصوصا وأن التعليم الاسلامي لم يبق لـه مدرسة واحدة في أذربيجان »[1] .

ولا يقتصر الأمر على الثقافة الاسلامية ، بل يقول « دعينا في اليوم التالي لزيارة رئيس جمهورية أذربيجان .. ولما وصلنا إلى دار الرئاسة ، لم نجد أحدا من رجال الشرطة والأمن والدرك عند الباب ، ولا حرسا آخر شاكي السلاح مما كنا نشاهده في بلادنا في عهدي السلطنة والانتداب ، ومما لا نزال نلقاه في عهد الاستقلال .

وكان مثار اعجابنا نحن الذين ألفنا رؤية الحرس ، وهي لا تقتصر على قصور رؤساء الجمهوريات ، ودور الرؤساء الآخرين بل تشمل بعض الذين أقيلوا من مناصبهم أو قضوا نحبهم .

وعلى حسب العادة استقبلنا رئيس الجمهورية حول مائدة حافلة بشتّى أنواع الفواكه الفاخرة ، ودار بيننا وبينه حديث طريف انتقل من المجاملات إلى بعض الشئون العامة ، ولكننا لاحظنا خلال الحديث أنه غير ملم بشئون لبنان ، اذ بدر منه سؤال يشير إلى أنه لا يعرف شيئاً عن موطن الجمال والاشعاع . فقد سألنا الرئيس « اذا كانت لغة لبنان هي نفس لغة سوريا » .

وقد أخذنا العجب من هذا السؤال خصوصا وأن الرئيس الشاب الذي يدعى ميرزا ابراهيموف ، أديب كبير ومؤلف رفعته شهرته في الأدب إلى مقام

---

(١) ص ١٦٨ .. وبالنسبة للاسلام فالقضية جد خطيرة بل أكثر خطورة من وضع الاديان الأخرى .. لأن الاسلام لا يستند الى اكليروس أو نظام كنسي أو طقوس تبقي الدين . بل اعتماده على التربية الاسلامية والثقافة الاسلامية . فاذا انقرضت انقرض المسلمون واختفى الاسلام . ولا حول ولا قوة الا بالله .

رياسة الجمهورية ، وقد تلطف فأهدانا كتابا من تأليفه في موضوع قصصي »[1]

ولا أراني بحاجة إلى تعليق ..

فالماركسية — كما رأينا — ترفض الأديان ، وتقوم على الغاء الدين .. وما يعنينا هنا هو الموقف من الاسلام .. وبالذات موقف الدول الشيوعية من الاسلام ..

أن الشيوعية ، كانت هي وحدها ، النظرية القادرة على حل مشاكل «الروسيا» وحماية مصالح « القومية الروسية » واعطاءها الدفعة التي تمكنها من بناء امبراطوريتها ، وتحقيق ثورتها الصناعية ..

ان الدولة الروسية التي تضم قسرا العديد من القوميات والتي تكونت تاريخيا خلال الحرب الصليبية ضد العالم الاسلامي .. بالحروب ضد الدولة العثمانية ، والتوسع في الاقطار الاسلامية في آسيا .. كان يستحيل عليها أن تقوى على الاستمرار ، محتفظة في قبضتها بهذه القوميات المتنافرة ، وأن تستمر في الاحتفاظ بمستعمراتها الاسلامية باسم رسالة الكنيسة الروسية المقدسة.. كان مستحيلا أن تبقى الدولة الروسية بحجمها هذا ، اذا ما استمرت القيصرية المتخلفة العاجزة ، وبنفس القوة ، كان يستحيل عليها الاستمرار ، اذا ما اعتنقت النظام البورجوازي الليبرالي ، السائد وقتئذ في أوروبا .. فهذا النظام يقوم على تأكيد حاد للقوميات ، كما كان قد بدأ بعد الحرب العالمية الأولى في اخفاء شعارات الحرب الصليبية ، والكف عن ادعاء ان الاستعمار يتم لنشر رسالة الكنيسة .. ومن هنا فإن المبادىء البورجوازية كانت تعني تقويض الدولة الروسية وفك الامبراطورية الروسية بما تحمله من دعوة للقومية ستثير حتما حروبا قومية ، تتطلع فيه القوميات المضطهدة إلى الانفصال عن القومية

---

(١) ص ١٦٥ – ١٦٦ .

الروسية .. وكانت « حرية العقيدة » تعني انهاء رسالة روسيا المقدسة في استعمار بلاد المسلمين ..

ومن هنا كانت « الماركسية » هي الحل النموذجي لمشاكل الامبراطورية الروسية ، فهي تلغي القوميات ، وتعتبر الدعوة لها « جريمة عظمى » وأظن أنه قد أصبح أكثر من معروف ان انكار القوميات ، يتم دائماً لحساب القومية الأكبر ..

والماركسية تقوم على الغاء الأديان ، ومن ثم فلا مبرر لدى المسلم ، لرفض الحكم السوفيتي ، فهو لا يضطهده قوميا ، لأنه حكم « أممي » ولا يضطهده دينيا لأنه حكم « إلحادي » .. وبالصدفة البحتة فإن السلطة روسية ! .. لمجرد أن روسيا أكبر قومية .. فهي الأخ الأكبر ..

ان روسيا كانت تعيش دائماً في فزع من أي حركة بعث اسلامي ، لأن ذلك يعني بعث شعوب مستعمراتها ، تطلعهم إلى الانفصال ، كما حدث في جميع الامبراطوريات .. والعداء التاريخي بين تركيا وروسيا ، كان يثيره رغبة روسيا في التوسع على حساب الدولة العثمانية وأيضاً تخوف روسيا من تأثير الدولة العثمانية على مستعمراتها الاسلامية .. فلما تخلت تركيا عن دورها الاسلامي ، خمد الصراع في الفترة ما بين الحربين ، واستمر تخوف روسيا وعداؤها لأية حركة بعث اسلامي جادة ، أو دعوة للتضامن الاسلامي .. لأن ذلك – كما قلنا – يعني اثارة المسلمين داخل الامبراطورية الروسية .. فهؤلاء قد تم فصلهم عن اخوتهم الأتراك .. وقطعت جذورهم القومية بالغاء الحروف الابجدية العربية ، واستئصال الثقافة العربية ، وجعل اللغة الروسية هي اللغة الوحيدة الجدية ، لأنها لغة الدولة والثقافة ولغة النجاح في الحياة ، أو لغة الخبز .

وهكذا لم يبق من عامل يُذكّر رعايا الامبراطورية السوفيتية، بكيانهم ،

ويثير ذكريات تاريخهم الدموي ضد روسيا ، وينبههم إلى خضوعهم لتسلط القومية الروسية ، باسم السلطة السوفيتية .. الا الاسلام .. هو وحده الذي بقي ..

لذلك تحرص روسيا على الحرب في جبهتين : إزالة الاسلام بين رعاياها ، ومقاومة أي حركة اسلامية خارج حدودها .. لأن التفات رعاياها لمثل هذه الحركة سيدعم شعور التميز هذا .. ويفتح الطريق أمام احتمالات لا حد لها ..

ومن هنا تشن روسيا حربها ضد الاسلام أساسا ، في مستعمراتها الاسلامية ، وتقوم سفاراتها وأحزابها العميلة بمحاربة الاتجاه الاسلامي في العالم الاسلامي كله ..

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الصين ودول البلقان ، تلك التي قام وجودها أساساً على الحرب الصليبية ضد الاسلام : يوغوسلافيا .. بلغاريا ... رومانيا .. كلها اقتطاعات من العالم الاسلامي ... وثمرة حرب دينية ضد الدولة الاسلامية .. وقد واصلت حربها ضد الاسلام ، واصلت ابادتها للمسلمين تحت شعارات جديدة واسماء جديدة أكثر تقدمية ، وأكثر ملاءمة لروح العصر .. أقدر على الخداع .. والهدف واحد .

ولا شك أن الحركة القومية في المستعمرات السوفيتية ستأخذ مجراها الطبيعي ، وهناك أكثر من دليل يتناثر مخترقا حجب الستار الحديدي الرهيب ، الذي تفرضه السلطة السوفيتية ، ولكنها تؤكد أن القوميات الاسلامية تنمو وتقاوم ..

ولا شك أن من العوامل التي تدعو إلى التفاؤل ، الصراع الصيني ـ السوفيتي لأن المناطق المتنازع عليها هي مناطق اسلامية ، ومتاخمة للمناطق الاسلامية في الامبراطوريتين .. فلعل التناقضات ، تفضي إلى تشجيع الحركات الاسلامية

الساعية إلى التخلص من نير الاثنين معا .. ولكننا نعود فنؤكد أنه لا أمل بغير حركة اسلامية قوية في الوطن الاسلامي المستقل تكون مركز جذب وظهيرا لما يحمله المستقبل من تطورات ..

هذا عن موقف الدول الشيوعية من الدين ، أما لماذا تعادي الاحــزاب الشيوعية في الوطن العربي ، الدين .. فذلك يرجع لأسباب خاصة بتكويــن وتاريخ ومهمة هذه الأحزاب ..

إننا لا نرجع هذا الموقف إلى العقيدة الماركسية وحدها ... فالسياســة لا تحركها الأفكار .. بل الأفكار تخدم المصالح وقد رأينا أن الماركسية ، لأنها ، كانت الفلسفة التي تخدم المصالح الروسية ، اعتنقتها روسيا ، ولم تعتنقها المانيا ، رغم جنسية ماركس ...

والأحزاب الشيوعية في العالم العربي لا تصدر في موقفها المعادي للاسلام عن مجرد التزامها بالعقيدة الالحادية ، لأننا نلاحظ تركيزها على الاسلام بالذات .. انما يرجع موقفها ذلك إلى :

● عمالتها لروسيا .. ومن ثم فهي تخدم الاستراتيجية القومية لروسيا التي تخشى قيام حركة بعث اسلامي .. وان ساورتها مطامع التأثير في المسلمين في ظل تخلفهم الحالي ، وانقسامهم وبعدهم عن الدين ، من خلال حضور مؤتمراتهم ، ولكنها تعرف تماما خطورة هذه اللعبة ، لذلك تفضل أن تعزل الجماهير عن هذه الحركات الاسلامية ، وذلك ما تتكفل به الأحزاب الشيوعية العربية .

● الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي كلها وبلا استثناء اقامها اليهود في المشرق العربي .. والفرنسيون في المغرب العربي .. واكبر خطر يتهدد الوجود الصهيوني في المشرق العربي ، هو الاسلام ، تماما كما كان الاسلام ، هو القوة التي أزالت الوجود الفرنسي المباشر في « المغرب العربي » .. وما زال هو القوة

الرئيسية التي تعارض بقايا هذا الوجود ، والقادرة على تصفيته في نفس الوقت [1] .

ونفس الشيء عندنا في المشرق العربي ، ان الأحزاب الشيوعية ، كما سنرى في غير هذا الفصل ، قد أسسها اليهود ، بعضهم هاجر فعلا إلى اسرائيل بعد أن ترك تقاليده وتعاليمه وخلفاء أوفياء لهذه التقاليد والتعاليم ،ومن الطبيعي أن يجتهد هؤلاء اليهود في اخفاء دور الدين في اقامة دولتهم اسرائيل .. وأن يركزوا قواهم في تدمير الايمان بالاسلام ، بين العرب ، اعداء اسرائيل ... ومنع الجماهير العربية من الالتفاف حول دينها .. وتضليل القيادات في بلادنا ، حتى لا تنتبه للطاقات الثورية التي يمكن للدين أن يفجرها .. اذا ما تسلحت به حركة الجماهير .. ضد الغزو الصهيوني .

فمحاربة الاسلام هنا تتم لحساب الصهيونية التي كانت تعي منذ البداية ، حتمية الصدام .. ومن ثم عملت على تجريد الشعوب العربية من سلاحها الوحيد ، وهو الايمان الديني ، بينما حرصت في نفس الوقت ، أي الصهيونية ، على تسليح جماهيرها به .. وكانت أداة الصهيونية في هذا التخريب النموذجي ، الاحزاب الشيوعية العربية ، التي تميزت بعداء الاسلام ، لا لحسابها ، ولا لحساب الثورة الشيوعية ، بل لحساب الصهيونية أساسا .. ان الماركسيين الأصلاء في روسيا ، رغم عداءهم للدين ، لم يترددوا عندما غزت المانيا بلادهم الروسيا من اعادة الحياة إلى الكنيسةالروسية ،واستثارة الهمم بالصليب والنواقيس، للدفاع عن روسيا وطن الكنيسة الروسية .. لأن هؤلاء كانوا وطنيين قبل كل شيء ، يعملون لمصلحة روسيا فلم يترددوا في القتال بأي سلاح يعرفون أنه

---

(١) ولعل هذا يفسر هذه الحملة المسعورة على الاتجاه الاسلامي في الجزائر والمقالات المشبوهة التي تعددت فجأة ضده .

قادر على احراز النصر .. بصرف النظر عن العقائد والنظريات،أما عندنا فقد هبوا كمن يتخبطه الشيطان من المس ، بعد الخامس من حزيران ، يحذرون الجماهير من الاستجابة للنداءات الدينية .. خوفاً من « التخلف والرجعية » ! .. ولا يقولون لنا لماذا لا تحدث النداءات التوراتية تخلفا ورجعية في اسرائيل . .؟!

انهم مجرد عملاء مفضوحين للصهيونية .

● السبب الثالث لعداء الأحزاب الشيوعية العربية للاسلام هو ان هـذه التشكيلات التي أقامتها المخابرات الصهيونية اساسا كجزء من عملية الغزو السلمي للوطن العربي والاعداد لمرحلة الغزو العسكري ، قد اعتمدت في مراحلها الأولى كشأن جميع التنظيمات والحركات « الوافدة » .. على الاقليات غير المسلمة .. وهؤلاء رغم تلفحهم برداء ماركسي ، الا أن هذا الرداء لم يكن سوى قشرة زائفة أخفت تحتها كل الاحقاد والحزازات الموروثة ، واستغلت قناعها الجديد لترردد قاموس الحقد على الاسلام ، بعد تطعيمه بألفاظ « تقدمية » وعصرية .. وادعاء العلمانية والالحاد ..

● السبب الرابع .. أنه في السنوات الأخيرة ومع تصاعد المواجهة العربية للغزو الصهيوني وانحسار النفوذ الاستعماري التقليدي في بلادنا ، وازديـاد كراهية الجماهير للاستعمار الأمريكي الغازي لبلادنا ، والمؤيد للغزو الصهيوني .. لجأت العناصر العميلة لحساب الاستعماريات المنقرضة والنامية.. إلى الاحتماء بالتشكيلات الماركسية .. الانضمام اليها لاخفاء ارتباطاتهم بالاستعمارية الغربية ثم من داخل « الحرم الماركسي»يواصلون خدمة الأهداف الاستعمارية التقليدية : محاربة الاسلام والوحدة العربية ، وتخريب القومية .. ولما كان المحرك واحد ، وهو الصهيونية ، إلى جانب نمو اللقاء السوفيتي ــ الأمريكي .. فإن وحدة العمل أصبحت ممكنة ، وازدادت امكانية استخدام نفس الشعارات ... ولعل أوضح مثال لهذا التعاون .. هو مجلة « حوار » التي اعلنت الصحف الامريكية رسميا ،

عن تبعيتها للمخابرات الأمريكية واضطرت الى اغلاق أبوابها والتوقف عن الصدور ، غير مأسوف عليها ، بعد أن أفضت تناقضات المجتمع الأمريكي إلى فضح تمويلها .. ولولا ذلك لاستمرت في الصدور ، واستمرت الاقلام المأجورة تدافع عنها[1].. هذه المجلة تجد مبشرا كلويس عوض يدافع عنها، ويتهم الصحف التي هاجمتها قبل أن يعلن الدليل المادي الذي لا يُدحض على تبعيتها للمخابرات الامريكية، يتهم لويس عوض هذه الصحف بأنها صحافة الحلف الاسلامي ! .. ويعلن أنه لم يجد في مقالات « حوار» ما يشتم منه رائحة المخابرات الأمريكية .

وكان الدكتور مندور يرأس تحرير المجلة السوفيتية « الشرق » وعضو في لجنة جائزة مجلة « حوار » ! ..

أما مراسل مجلة حوار في القاهرة ، المرتبط بها لحما ودما ، فإنه سرعان ما وجد طريقه إلى العمل في مجلة « الطليعة » الشيوعية فور اغلاق مجلة حوار التابعة للمخابرات الامريكية !

فإذا أضفت إلى ذلك أن الماركسيين العرب هم وحدهم الذين لم يوجهوا كلمة نقد واحدة لمجلة « حوار » ولم يتعففوا عن الكتابة فيها .. أمكن أن نرى أبعاد هذا الحلف المعادي للاسلام،ولكي تزداد الأمور وضوحا فإن الارتباط بين مجلة حوار المخابراتية الامريكية ، وبين « الطليعة » الماركسية التقدمية ، يجمع كل العوامل التي أشرنا إليها ..

فمراسل حوار هو « غالي شكري » عنصري طائفي متعصب ، تخصص في مهاجمة الاسلام والتطاول على القرآن .. وهو يستخدم التحليل الماركسي في

---

(١) يبدو ان المخابرات الامريكية قد أصدرت مجلة جديدة بنفس مخطط حوار تحت اسماء جديدة ولكن لم يتجمع لدينا بعد من الأدلة ما يكفي لاعلان اسم المجلة الجديدة . ونحن نعتمد في تحليلنا على المواقف ..

كل ما يكتبه ضد الاسلام والعروبة ولكنه لا يتردد في مهاجمة لينين دفاعا عن سلامه موسى [1] .

أما مدير تحرير « الطليعة » الذي فتح له صدر صفحاتها فهو « ميشيل » شيوعي ، مفرج عنه ، وهو ليس طائفيا معاديا للاسلام فحسب ، بل وزوج بنت مليونير يهودي أبعد من مصر !

أترانا بحاجة إلى بذل جهد لتحديد أبعاد الحلف المضاد للاسلام .. وأركانه الأربعة :

- الصهيونية
- المخابرات الامريكية والاستعماريات القديمة .
- الماركسية الروسية
- الطائفية الحاقدة [2] .

***

---

(1) راجع « الغزو الفكري » الطبعة الثالثة .
(2) ج

الماركسيّة ضدّ القوميّة

اللاقومية هي النقطة الثانية بعد الدين .. التي تجعل الماركسية غزواً فكرياً .. فالماركسية نظرية (أممية) ، تدعو إلى وحدة الجنس البشري ، عن طريق وحدة الطبقة ..

والقومية عندها ظاهرة مرحلية ، صاحبت نشوء الرأسمالية ، وتـزول بزوالها .. و « ستالين » « خبير القوميات » عند الشيوعيين ، عرفها بأنها ظاهرة من ظواهر البورجوازية في دور تطورها ، وأنها انعكاس لنهوض الرأسمالية ، وأن مآلها إلى الزوال عندما تسود الاشتراكية .

« لم تكن هناك أمم في العهد السابق للرأسمالية » .. « البورجوازية لكي تحرز نصرا كاملا في ميدان الانتاج الصناعي . وجب أن تكون لها أقاليم متحدة اتحادا سياسيا ، ويتكلم أهلها بلغة واحدة » .. « ان الدولة النموذجية للعصر الرأسمالي هي الدولة القومية » .

اذن وبموجب هذه النظرية ، فان القومية نشأت مـع الرأسمالية [١] ، والوطن= السوق .. والحروب القومية هي في حقيقتها صراع بين الرأسماليات

(١) فقبل نشوء الأمم ، أي قبل نشوء الرأسمالية واندثار الاقطاعية لم يكن هناك اضطهاد قومي ، اذ لم يكن هناك أمم وقوميات .

« خالد بكداش : طريق الاستقلال »

حول اقتسام العالم،والاستعمار لا يمثل في الحقيقة استغلال بلد لبلد،ولا قومية لقومية ، بل استغلال الطبقة الرأسمالية لعمال البلد المستعمر (بالكسر) وللأمة المستعمرة (بالفتح) ، والصراع الوطني الذي تقوده الرأسمالية في المستعمرات هو صراع الرأسمالية الاستعمارية والرأسمالية الوطنية . حول الاستئثار بسوق المستعمرة .

فاذا زالت الرأسمالية زال بالتالي صراع القوميات[1]فلا تناقض بين العمال.. بل هم دوليون يسعون إلى قيام عالم لا تمزقه القوميات .. بل عالم تتآخى فيه البروليتاريات فلا تناقض بين البروليتاري الصيني والروسي أو الأمريكي .. ويمكن طبعاً القول ولا بين العامل العربي والاسرائيلي ! .

ذلك أن التناقضات هي من افراز الرأسمالية وسمومها وتزول بزوالها .

كذلك لا يعقل ولا يتصور قيام علاقات استغلالية كتلك التي قامت بين الأمم في ظل الاستعمار ، يوم كانت الرأسمالية تنهب شعوب المستعمرات عن طريق احتكار خاماتها وشرائها بثمن بخس يقل عن سعرها الحقيقي أو حتى العالمي نتيجة المركز الممتاز الذي تتمتع به داخل هذه المستعمرة ، وشل حريتها في التعامل مع دول العالم .

ولأن الاستعمار كان يعني سيطرة الدول الصناعية على الدول غير الصناعية. فقد كان من صالح الدول الاستعمارية منع تصنيع الدول المتخلفة لأن ذلك يضمن تفوقها عليها ، وأيضاً ابقاءها سوقا لسلعها .. بل كان ذلك هو الهدف الرئيسي من الاستعمار ... احتكار الأسواق لبيع منتجات البلد الاستعماري فيها وسلب خامات هذه المستعمرات .

---

(١) حقاً ان الماركسية ترى ان القوميات ظاهرة مؤقتة في تاريخ البشرية .. ستزول تدريجياً بزوال النظام الرأسمالي العالمي وتلاشي الطبقات وأجهزة الدولة . على أن هذه مرحلة تاريخية بعيدة (محمود أمين العالم . مقال : هل الماركسية تناهض القومية . مجلة الاداب ، بيروت) .

كل ذلك سيزول بمجرد ارتفاع راية الشيوعية ، فلا طبقة مستغلة ، ولا نعرة قومية .. بل أخوة يساعد فيها الغني الفقير ، وتأخذ الدول الصناعية المتقدمة بيد الدول الفقيرة المتخلفة وتساعدها على بناء صناعتها على أساس المساواة المطلقة ، وتحت ظلال الشيوعية لا سبيل لشبهة من تمييز أو عدم مساواة .. ولا معنى للحديث عن تفضيل مصلحة قومية على أخرى..وهل هناك قوميات؟!

أما نحن فننطلق من مفهوم مخالف تماما .. اذ أننا نؤمن بأن الأمم هي الحقيقة الأزلية الباقية .. فنحن عرب سواء قبل الرأسمالية أو في ظلها ، أو في الاشتراكية وما بعدها .

ونعتقد أن النظم الاجتماعية والسياسية والآراء والنظريات ، ليست إلا أسلحة الأمم في صراعها ..

وذلك ينطبق تماما على النظرية الماركسية ، فإن هذه النظرية بمجرد اعتناق الثورة الروسية لها ، واتخاذها فلسفة رسمية للدولة الروسية ، تحولت إلى خدمة الأهداف الأزلية لهذه الدولة [1] .. ونفس الشيء حدث للصين .

والصراع « الايدلوجي جدا » بين الصين وروسيا الآن .. هو في حقيقته صراع القوميتين العملاقتين ، الصينية والروسية ..

المؤرخ البريطاني توينبي يفسر هذا الصراع بكل بساطة قائلا : « اني لو كنت روسيّا لشعرت بالقلق ، ليس بالنسبة للمستقبل القريب بالطبع ، ولكن بالنسبة للمستقبل البعيد فيما يتعلق بالعلاقات بالصين .. ويجب أن أشير إلى أنه في حوالي عام ٢٠٠٠ سيكون الصينيون نصف سكان العالم تقريباً ، والصينيون شعب قادر شأنه شأن كل الشعوب ، وهو شعب مجد ككل الشعوب .

---

(١) بفضل النظرية الشيوعية ، فان الامبراطورية الروسية في ظل القيصرية تحولت بحجمها تقريباً الى الاتحاد السوفيتي .. بينما زالت امبراطوريات العالم كله تقريباً .. ولم تبدأ الحركات الاستقلالية والقومية في آسيا السوفيتية الا بعد الخلاف الروسي – الصيني وبفعل الجذب الصيني .

وخلال قرن من الضعف الذي مرت به الصين ، أُخذت منها أقاليم ، وأخذت روسيا من الصين أكثر مما أخذ أي بلد آخر . وما زالت تضع يدها على كثير مما أخذته ، وأكثر مما تضع البلدان الأخرى يدها عليه حتى الآن . ان بريطانيا ما زالت تسيطر على « هونج كونج » والبرتغال تسيطر على « ماكاو » وتستطيع الصين أن تسترد هذه الأراضي في لحظة لو اختارت أن تفعل ذلك . انهما منطقتان صغيرتان . وأمريكا ما زالت تمنع « تايوان » من الاتحاد مع الصين القارية . ولكن حتى تايوان لا تشكل الا جزءا صغيرا نوعا من الميراث الصيني . ولكن اذا نظرت إلى خريطة الامبراطورية الصينية في عام ١٨٥٠ مثلا ، فستجد أن جزءا كبيرا جدا من سيبيريا الشرقية بما في ذلك فلاديفوستك . ليس ذلك فحسب بل ومناطق كبيرة إلى الشمال من نهر آرمور ، وكل منغوليا الخارجية التي تشكل نوعا من التابع لروسيا اليوم . كل ذلك كان جزءا من الامبراطورية الصينية في ذلك الوقت ، كما ستلاحظ أن الحدود بين الصين وروسيا هي أطول حدود برية في العالم .

ولقد لاحظت عام ١٩٢٩ ، أثناء سفري من بكين إلى آسيتين بالقطار ، أننا خرجنا من الصين ذات الكثافة السكانية الكبيرة ، بل ان منشوريا نفسها ، التي لم يكن بها الكثير من الصينيين ، كانت كثافة السكان فيها كبيرة ، اذا ما قورنت بسبيريا التي كانت بلدا خاويا . .

انك تسافر في سيبريا اميالا وأميالا دون أن ترى قرية ، وحينما يكون لديك مستويان من المياه ، المستوى العالي ، فوق السد والمستوى تحت السد ، فانك تستطيع توليد طاقة كبيرة جدا .. تفريغ كهربائي .. والآن فلو كنت أنا مكان الروس لانزعجت انزعاجا شديدا لذلك الموقف .. ولكل هذه الأسباب.. أعتقد أن الروس على الأرجح سيتجهون بقدر كبير ناحية الولايات المتحدة

والشعوب الأوروبية ، والشعوب الغربية عموما »[1] .

« ولوفيجارو » الفرنسية تقول في افتتاحيتها : « ان الصين التي لن يمكن اغفال شأنها في المستقبل القريب ، والتي سيصل عدد سكانها إلى نحو مليار نسمة .. تسودها الآن نعرة قومية شديدة لم يشهد لها مثيل في أي مكان على الاطلاق .. انها قضية الغرب كله »[2] .

« توينبي استعماري » !! مؤرخ بورجوازي ! .. رغم معرفته الأكاديمية الواسعة ، فهي معرفة قاصرة وعاجزة ، لأنها تستند للفهم البورجوازي .. ولو فهم الديالكتيك ، لما سقط في التفسير البوراجوزي ، وظن أن الكثافة السكانية ، أو الخلافات القومية القديمة تبقى في ظل الاشتراكية .. ولعرف أن الخلاف الحقيقي الذي يجعل روسيا تقترب من الولايات المتحدة ! هو خلاف حول ديكتاتورية البروليتاريا ! .. وهل هي ضرورية عند تحويل الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاشتراكية .. أو يمكن التجاوز عنها ؟!

هكذا سيقول الماركسيون .. وسيضيف بعضهم .. لم يبق الا أن نستشهد من الفيجارو ؟!

معكم حق !

لنسمع أصحاب الشأن أنفسهم .. لنرى كيف تتلوى شعارات الدولية والقومية بين أيدي الروس والصينيين إلى ما يخدم المصالح القومية لكل منهم . فهم دوليون بقدر ما يعني ذلك اخضاع مصالح الآخرين القومية لمصلحتهم

---

(١) ندوة مع توينبي : مجلة الكاتب ابريل ١٩٦٥

(٢) ١٩٦٥/١/١٣

قوميون متعصبون [1] ، بقدر ما يخدم ذلك المصالح الروسية أو الصينية .

ولنبدأ بنزاع الأرض :

التقى ماوتسي تونج بصحفيين يابانيين ، ودار الحديث حول الأراضي المنتزعة ، وسرعان ما اتفق الصينيون الشيوعيون والاشتراكيون اليابانيون حول الأرض التي انتزعتها روسيا من كل من الصين واليابان ..

وتحدث ماو باسم الدولية ، فأشار إلى انعدام العدل في توزيع السكان ! .

« ونظريته الحالية تهبط إلى القول بأن سكان الكرة الأرضية موزعون توزيعا غير مناسب واذن فالعدالة تطالب باعادة تقسيم العالم » [2] .

والكلام منطقي جدا ..

الشيوعية قد ألغت الحدود بين الدول الاشتراكية ، ووحدة المعسكر الاشتراكي وتضامنه ، تتنافى مع الصراع على الأرض .. أليس من عوامل ازدهار المعسكر الاشتراكي ورفاهيته أن ينتقل الصينيون بملايينهم التي لا نهاية لها ، إلى المساحات الشاسعة في سيبيريا التي لا يسكنها أحد . فتزداد ثروة البلدين ، ويزدهر اقتصادهما ويتضاعف انتاجهما ، ألا يكفي مزج سيبيريا بالطاقة البشرية الصينية لانتاج قمح يكفي العالم كله لا المعسكر الاشتراكي وحده ؟!

وما الفرق بين حرق البن ، والقاء القمح في البحر واعادة الأراضي الزراعية

---

(١) وكم أدهشنا تعميم الروسية في الحياة العامة في أوكرانيا فقد كانت الروسية لغة المسرح ، بل كانت هناك صحف يومية باللغة الروسية « جيلاس » .

« التقطت اذاعات من راديو بكين تخاطب الجنود الاوكرانيين : لماذا نقلوكم الى المحيط الباسفيكي وعزلوكم بصورة خاصة في جزيرة سخالين ؟ انهم يرسلونكم بعيداً عن مساقط رؤوسكم بينما يعسكر الجنود الروس في بلادكم انتبهوا .. انتبهوا ان موسكو تريد أن تحطم كل ما هو اوكراني . انها تريد أن تذيب الجميع في البوتقة الروسية حتى ما لم يكن روسياً من قبل » . صوت العروبة ١٩٦٥/٤/٢٢

(٢) حديث مع الصحفيين اليابانيين « نشرة سوفيتية » .

إلى غابات في أمريكا ، وبين بقاء سيبيريا قاحلة والرفاق الصينيون يتضورون جوعا على خط الحدود ؟ .

بالمنطق « الأممي » .. نعم .

ولكن ، من قال أن هذا المنطق هو الذي يضبط سلوك الدول ؟!

افتتاحية البرافدا [1] ترد : « والطبيعة التضليلية لهذه النظرية واضحة للجميع ، فتوزيع السكان في العالم هو نتيجة لتطور طويل متشابك يرجع إلى أن الشعوب المختلفة تعيش في ظروف مختلفة ، والشيوعيون يكافحون بالذات لكي يحققوا حياة أحسن لجميع الشعوب ، وعندما تنتصر الاشتراكية في العالم أجمع (يعني في المشمش) وتصل القوى الانتاجية إلى مستوى عال في كل مكان ، ستنتج عملية التقريب بين الأمم في اختفاء تدريجي بين ظروف معيشة شعوب البلاد المختلفة وعندئذ ستفقد الحدود بين الدول أهميتها . وفي هذه الظروف سيصبح من الممكن حل مسألة زيادة أو نقص السكان في العالم ، الا أن هذا أمر من أمور المستقبل ، واثارة هذا الموضوع في الوقت الحاضر ، في الوقت الذي توجد فيه نظم اجتماعية متعارضة ، والذي تجري فيه عملية تدعيم سيادة الدولة أمر خطير للغاية .. ولكن لا يجب أن ننسى أن التاريخ يعرف حالات كثيرة قامت فيها حروب أكثر رجعية بهدف توسيع « المجال الحيوي » ولهذا لا تعتبر أفكار ماوتسي تونج عن « التوزيع غير العادل للاقليم العالمي » جديدة . فله سلف يمكنه أن يفتخر بهم » [2] .

اذن فالحدود قائمة لإبقاء الرفاهية في الجانب الروسي والفاقة في الجانب

---

(١) نشرت بالقاهرة تحت اسم « ملحق المجلة السوفيتية : حول حديث ماوتسي تونج مع مجموعة من الاشتراكيين اليابانيين » .

(٢) ص ٢١-٢٢ من النشرة المذكورة

الصيني .. ولا تزول الا بزوال الفارق في مستوى المعيشة [1] ... خوفا من أن تلتهم يأجوج ومأجوج خيرات الاشتراكية على الجانب الآخر من السور ! .

الأشعريون اذن أفضل : « كانوا اذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم .. فهم مني وأنا منهم » .

صلوات الله عليك وسلامه ! .

تقول البرافدا : اننا نواجه برنامجا توسعيا صريحا ذا أهداف بعيدة (ليس خلافا أيدلوجيا اذن !) وهذا البرنامج لم يظهر اليوم أو بالأمس (البرافدا تتكلم) ففي عام ١٩٥٤ (أي قبل المؤتمر العشرين) صدر في جمهورية الصين الشعبية ، كتاب يتضمن خريطة للصين تبينها كما كانت ، في رأي مؤلفيه ، قبل حرب الأفيون الأولى .. وفي الحدود الشمالية تسير بحذاء سلسلة جبال ستانو فواي ، التي تفصل أراضي الشرق الأقصى عن الاتحاد السوفيتي .. وفي الغرب أدخلت في حدود الصين جزءا من قرغيزيا وتاجيكستان وكازاخستان (حتى بحيرة بالخاس) . كذلك ادعت أن سخالين جزء من الأراضي الصينية . وفي ذلك الوقت بدا أن نشر مثل هذه الكتب نتيجة للتهور أو النشاط الاستفزازي من جانب العناصر القومية. لكن الأحداث المتلاحقة دحضت هذا الافتراض (!) فقد استمرت خرائط في الصين الشعبية تبين أجزاء مختلفة من الاتحاد السوفيتي وغيره من البلدان المجاورة للصين ضمن الأراضي الصينية .

وبدأ الممثلون الصينيون أخيرا يكررون الحديث عن مئات وآلاف من الكيلو مترات المربعة التي زعموا أنها تنتمي إلى الصين [2] » .

وليس في الأمر أي زعم فهي أرض منتزعة فعلا منذ أقل من مائة سنة أي

---

(١) وما أهمية زوالها عندئذ ؟!

(٢) ص ١٢

بعد احتلال فرنسا للجزائر .

وتنقل البرافدا عن المجلة الصينية « اليثي يانشو » (العدد الرابع ١٩٦٤) أن روسيا قد « استولت قسرا على أراضي واسعة .. »

« والآن أعلن ماوتسي تونج في حديثه : منذ ما يقرب من مائة عام مضت (أي قرن الضعف الذي يتحدث عنه تويني) أصبحت المنطقة الواقعة شرق بيكال من أراضي روسيا ، ومنذ ذلك الحين أصبحت فلاديفوستك وخاباروفسك وكامشاتكا وغيرها من المناطق من أراضي الاتحاد السوفيتي ، ونحن لم نطالب بعد بتصفية حساب هذا الأمر ! »[1] .

وتحذر البرافدا : « هل فكر أولئك الذين يتساءلون عن ملكية الاتحاد السوفيتي لأراضي تبلغ مساحتها مليون ونصف مليون كيلو مترا مربعا ، في كيفية رد فعل هذه المزاعم على الشعب السوفيتي الذي يعيش ويعمل على هذه الأرض منذ أجيال عديدة ويعتبرها وطنه ، ووطن أجداده » .

وما الفرق بين رأي الرفاق هنا وكلام المستعمرين الفرنسيين في الجزائر .. هم أيضاً كانوا يقيمون في الجزائر منذ أجيال عديدة . اذن فليس الوطن هو السوق ! .. والأجداد هنا يذكرون ! ..

« ان وجود دولة منغولية مستقلة تحتفظ بعلاقات ودية مع الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية لا يسر الزعماء الصينيين . انهم يريدون انتزاع استقلال منغوليا وجعلها اقليما صينيا . وقد عرض زعماء الصين الشعبية على ن. س. خروشوف مناقشة هذه المسألة ، ولكن أفهم الزعماء الصينيون أن مصير الشعب المنغولي لا يتقرر في بكين أو في موسكو بل في اولان باتور[2] » . اذا فمن الممكن أن ينتزع بلد اشتراكي (روسيا ما زالت تعترف بأن الصين إشتراكية) سيادة بلد اشتراكي آخر ويجعله اقليما ضمن أراضيه؟! واذن فمن

(١) ص ١٤

(٢) ص ١٧

الممكن أن يطلب بلد اشتراكي مناقشة مصير شعب في غير عاصمته ؟!

فلماذا يتهم بالرجعية كل من يحاول التنبيه إلى الطابع غير الملائكـــي للمصالح السوفيتية او الصينية ؟ ان هذه الأقوال تثبت أن كون الدولة شيوعية لا ينفي ان لها اطماع ومصالح ، تقوم على ضم أراضي الآخرين واستغلالهم وتنبه الدول الصغيرة لذلك شرط ضروري لحماية استقلالها خلال تعاونها مع السوفيت أو الصينيين .

ويقول ماوتسي تونج : « هناك عدة أماكن يحتلها الاتحاد السوفيتي تحت ستار اتفاقية يالتا (أي بعد تحولها الى الاشتراكية وقبل تضخم البورجوازية كما تزعم الصين الآن ، بل في ظل ستالين الذي لا ترفضه الصين ، بل تعتبره باني الاشتراكية في روسيا واستاذها في العالم كله بعد لينين) وبحجة حماية استقلال منغوليا يضع الاتحاد السوفيتي حاليا هذا البلد تحت سيطرته ، ومنغوليا تشمل مساحة تفوق بكثير مساحة جزر كوريل ، وفي عام ١٩٥٤ عندما حضر خروشوف وبولجانين إلى الصين أثرنا هذه المسألة (يوم لم يكن ثمة خلاف حول ديكتاتوريا البروليتارية ولا عبادة الفرد ، ولا دور البورجوازية في التحول الاشتراكي ولا اتفاقية حظر التجارب النووية .. الخ ..) ، ولكنهما رفضا الحديث معنا فيها ، كما ضموا إلى أملاكهم جزءا من المانيا الشرقية وفصلوا جزءا من بولندا ضموه إلى روسيا ، وأعطوا لبولندا عوضا عنه جزءا من ألمانيا الشرقية (كلها دول شيوعية) وحدث نفس الشيء في فنلندا ، لقد فصلوا كل ما يمكن فصله ، كما ادعى بعضهم بان سينكيانج والأقاليم الواقعة غرب نهر آمور يجب أن تضم إلى الاتحاد السوفيتي ، كما يحشد الاتحاد السوفيتي الجيوش على حدوده . والاتحاد السوفيتي يحتل مساحة تبلغ ٢٢ مليون كيلو متر مربع

بينما لا يزيد عدد سكانه على ٢٠٠ مليون نسمة ، وحان الوقت لوقف هذا التناقض »[١] .

اذن فماوتسي تونج يرى أنه من الممكن لدولة شيوعية أن « تضم وتفصل وتضع تحت سيطرتها » بلدانا أخرى ، بل وأجزاء من بلدان شيوعية !

والصين بدورها لا تتردد في الضم والانتزاع .. والصين بتكوينها الحالي تخضع أكثر من قومية .

ويمكن أن نرى كيف تخدم الماركسية المصالح الروسية ، من ذلـــك الاستشهاد الغريب من لينين :

ذلك أن الصين في حربها ضد روسيا ترفع أعلام الماركسية اللينينية ، وبالتالي تلزم نفسها بالسمع والطاعة لكل ما قاله ماركس وانجلز ولنين .. وهي للنيل من زعماء الاتحاد السوفيتي المعاصرين ، تغالى في تقديس لنين .. ولذا فقد عثر لهم الروس على نص لينيني يثبت ملكية روسيا لفيلادفوستك !

قالت البرافدا : « لنين هو الذي قال : ان فلاديفوستك بعيدة . ولكنها مدينتنا »[٢] .

ويروى جيلاس[٣] تفاصيل الصراع الروسي ــ اليوغوسلافي حول ألبانيا .. في هذه المحادثة :

---

(١) ص ٢٩

(٢) البعيد يقرب للينين طبعا .. ولست اتمنى اكثر من أعرف رد الصين على هذا النص . وهل لديها عمرو بن العاص يخلصها بمثل «قتله الذين أخرجوه » وهل يا ترى تفتى النظرية في الحدود

(٣) ميلوفان جيلاس أحد أربعة قادوا انفصال يوغوسلافيا عن الكومنفورم . كان وزيراً فرئيساً للبرلمان فنائباً للرئيس تيتو ، انضم للحزب الشيوعي عام ١٩٣٢ وسجن ثلاث سنوات . أصبح عضواً في اللجنة المركزية وهو في السابعة والعشرين وعضواً بالمكتب السياسي للحزب بعد عامين . قاد حركة المقاومة ضد الاحتلال الالماني . وفي عام ١٩٤٤ رأس وفداً عسكرياً الى موسكو ، ثم اشترك في أعمال الكومنفورم ١٩٤٧ ثم تفاوض مع روسيا ١٩٤٨ حول الخلافات الروسية =

« وبعد التحيات الاعتيادية ، دخل ستالين فجأة في صلب الموضوع فقال : ان أعضاء اللجنة المركزية في ألبانيا يقتتلون من أجلكم ، وهذا غير لائق .. » ..

«وبدأت أشرح له : فقلت : كان « ناكوسبيرو » ضد ربط ألبانيـــا بيوغوسلافيا . وهكذا عزل نفسه داخل اللجنة المركزية . وهنا قاطعني ستالين بقوله : « ليس لنا أية مصالح هامة في ألبانيا . اننا نوافق على أن تبتلع يوغوسلافيا ألبانيا » ثم جمع أصابع يده اليمنى وأدناها من فمه ، كأنما يريد ابتلاعها . وكم كانت دهشتي عظيمة لهذا الأسلوب الذي أعرب به ستالين عن أفكاره، ولإشارة الابتلاع هذه ، ولست أدري اذا كانت دهشتي قد ظهرت على وجهي . وقد حاولت أن أجعل من تصرفه هذا نكتة، وإن اعتبره تصرفا اعتاد عليه ، فتابعت كلامي قائلا : « ليست القضية قضية ابتلاع ، بل توحيد ! » (!!)

« وهنا قال مولوتوف : « لكن هذا ابتلاع ! » .

وأضاف ستالين قائلا : وهو يستعمل الاشارة نفسهـــا : نعم ! انه ابتلاع ، ولكننا على وفاق معكم ، يجب أن تبتلعوا ألبانيا ، عاجلا لا آجلا ..

لقد عالجت موضوع التقارب من ألبانيا ، أو الاتحاد معها مدفوعا بدوافع ثورية . فقد كنت أعتبر ، مع معظم الآخرين ، أن الاتحاد ، بموافقة الزعماء الألبان التامة ، ليس في صالح ألبانيا ويوغوسلافيا فحسب بل في صالح النزاع القائم بين الصرب والألبان ، كانت أهمية الموضوع ، في نظري ، في أنـــه سيتيح دمج الأقلية الألبانية في يوغوسلافيا بالألبان في جمهورية مستقلة داخل

= اليوغوسلافية . ألف كتاب « الطبقة الجديدة » أخطر كتاب في تاريخ الشيوعية.هاجم البيروقراطية اليوغوسلافية الجديدة في ظل الشيوعية .. أقيل من اللجنة المركزية للحزب وسجن مرتين .. ثلاث سنوات ثم أربع سنوات .. بعد كتابه محادثاتي مع ستالين حكم عليهبالسجن ٩ سنوات ابتداء من ابريل ٦٢ . وأفرج عنه في ديسمبر ١٩٦٦ .

الاتحاد اليوغوسلافي – الألباني . كان كل حـل آخر لمشكلة الأقلية الألبانية في يوغوسلافيا ، حلا غير عملي ، لا سيما أن سلخ جزء من الأراضي اليوغوسلافية التي تسكنها الأقلية الألبانية ، يؤدي إلى مقاومة شديدة داخل الحزب الشيوعي اليوغوسلافي نفسه [١] .

وأخبرني « كارديلج » نفسه أن السبب الحقيقي للخلاف مع موسكو هو الاتفاق الذي أبرم بين الحكومتين اليوغوسلافية والألبانية والذي يسمح بدخول فرقتين يوغوسلافيتين إلى ألبانيا . وكان قد تم تشكيل الفرقتين ، بينما كان سرب من الطائرات اليوغوسلافية المقاتلة في طريقه إلى ألبانيا ، حين احتج الاتحاد السوفيتي بشدة [٢] .»

وروسيا تعترف أن العلاقة مع الصين لم تبدأ على أساس المساواة وتفسر ذلك بأنه من انحرافات ستالين .

« وقد وصل التعاون السوفيتي الصيني ذروته فيما بعد عام ١٩٥٣ عندما أزيلت عناصر عدم المساواة في العلاقات بين بلدينا ، والتي فرضت عبادة الشخصية الستالينية ، وقد أزيلت بدافع من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي والرفيق ن . س . خرشوف ، وقد قال ماوتسي تونج في عام ١٩٥٧ : ان الفضل يرجع إلى ن . س . خرشوف في ازالة الأشياء غير اللائقة والخارجة في المسألة الصينية) .. » [٣] .

اذن فقد سادت العلاقات غير المتساوية بين البلدين ، سنوات ٤٩ ، ٥٠،

---

(١) تأمل ! .. لحل مشكلة الاقلية الالبانية يقترح ضم البانيا كلها ليوغوسلافيا لا ضم هذه الأقلية لألبانيا ! .. وقارن هذا بسخاء الشيوعيين العرب في فصل الاقليات !

(٢) محادثاتي مع ستالين .

(٣) قرار الاجتماع الشامل للحزب الشيوعي ص ٦٢ .

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ . ! لماذا ولمصلحة من ؟ . اذا كانت الطبقات المستغلة قد زالت من روسيا [١] ؟ .

وهذا الحديث لا يدور حول مركز ستالين الشخصي طبعاً .. فما زالت الصين تعترف لستالين بهذه المكانة . واذا كان ستالين منحرفا ، فكيف أمكنه أن يدخل علاقات استغلالية على مجتمع غير استغلالي ، وهل يمكن أن يُستغل بلد كالصين لمصلحة فرد واحد ؟! .

« وتدل الحقائق على أن الوطنية تكسب اليد الطولى في السياسة الكليـــة للزعماء الصينيين ، وانها تصبح المصدر الأساسي لتصرفاتهم » .. [٢] .

والصين بدورها تتهم روسيا بالقومية والتدخل في الشئون الداخلية .

« ان قادة الحزب الشيوعي السوفيتي ، لا يتورعون عن القيام بأي عمل في سيرهم على سياسة عصبية الدولة الكبرى [٣] . لقد باشروا دائماً الضغـــط السياسي والاقتصادي ، وحتى العسكري على الأقطار الشقيقة ».. « لقد دعـــا قادة الحزب الشيوعي السوفيتي علنا الى الاطاحة بقادة الحزب والحكومة في ألبانيا ، وقطعوا بفظاظة جميع العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية معها ، وحرموها كما يفعل الطغاة من حقوقها المشروعة بصفتها عضوا في منظمة حلف

---

(١) المجتمع الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي اليوم هو مجتمع النيت فيه الطبقات المستغلة ، واستغلال الانسان للانسان ، فليس في الاتحاد السوفيتي كبار ملاك أو رأسماليين أو كولاك أو تجار . فلأول مرة في تاريخ المدنية وجد مجتمع اشتراكي لا تقوم فيه سعادة البعض على شقاء الآخرين ، وليست فيه سيطرة أو تبعية ولا طبقات طفيلية ومجموعات تعيش على عمل الآخرين .

(طرق مختلفة للانتقال الى الاشتراكية

ا . بوتينكو)

(٢) ص ١٠٨

(٣) في القاموس السياسي السوفيتي .. ان العصبية القومية للدولة الكبرى هي « السياسة الوطنية البورجوازية في البلاد المسيطرة المستغلة والظالمة لغيرها من الشعوب » .

وارسو ، ومجلس العون الاقتصادي المتبادل »[1] « ان مثل هذه الأعمال تسيء إلى العلاقات بين الدول بصورة خطيرة ، وهي نادرة الوقوع حتى بين الأقطار الرأسمالية »[2] .

وتتهم الصين روسيا ، أكثر من مرة ، بالسعي إلى تقسيم العالم « في محاولة فاشلة للسعي إلى السيطرة على العالم عن طريق التعاون الأمريكي السوفيتي »[3] .

« خرب علنا قواعد العلاقات بين للبلدان الشقيقة فاعتدى على استقلال وسيادة البلدان الشقيقة وتدخل بشكل كيفي في الشئون الداخلية لهذه البلدان[4]» .

ويلخص جيلاس دور ستالين في التاريخ بأنه حول « روسيا المتخلفة إلى دولة صناعية وامبراطورية يزداد طموحها ، باصرار وعناد للسيطرة على العالم »[5] .

وحتى تكتمل الصورة .. نرى الصين وروسيا تتبادلان المواقع عند الحديث حول النزاع الصيني الهندي ، على ما مساحته (١٢٥) ألف كيلو مترا مربعا .. هنا ترى روسيا نفسها في موقف القاضي .. وتخفت لهجة الحديث عن وطن الآباء والأجداد .. وتتذرع بالمنطق الأممي .

يقول خرشوف ، ماذا تعني كيلومترات ضئيلة : « لا حاجة بالشيوعيين إلى الاهتمام بمواقع الحدود .. وكيف تجري » ! . وهنا تنسى الصين منطق الدولية الذي حاجت به روسيا فتقول : « كم تساوي (١٢٥) ألفا من الكيلومترات المربعة ؟ انها أكبر من مجموع مساحة جمهوريتي أذربيجان

---

(١) قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أكبر الانقساميين ص ١٩
(٢) ص ٢٠
(٣) ص ١٧
(٤) لماذا سقط خرشوف . افتتاحية مجلة العلم الأحمر ٢١ ، ١٩٦٤/٢٢ ص ٧
(٥) محادثاتي مع ستالين ص ١٨٤

وأرمينيا معاً . ولنفرض أن قطرا رأسمالياً أصر على احتلال هاتين الجمهوريتين من جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، فهل يعتبر القادة السوفيت هذا أيضاً ، من الأمور التي لا تستحق الاهتمام ؟ » . « يدعي خرشوف أيضاً أن المناطــق المتنازع عليها على الحدود الصينية الهندية ، قليلة السكان ، وليست ذات قيمة كبيرة للحياة الانسانية ولهذا لا تستحق أن ينظر اليها بعين الجد .

« ونحن لا يسعنا الموافقة على هذا أيضاً . ومن يقول بأنه على القطــر الاشتراكي أن يدافع فقط عن أجزائه المكتظة بالسكان ولا يدافع عن أجزائه التي يقل فيها السكان ؟ . وفي الحقيقة فان كثافة السكان في المنطقة الواقعة في القطاع الشرقي من الحدود الصينية الهندية هي بصورة عامة تشبه ما في جمهورية تركمان السوفيتية . أما المنطقة الواقعة في القطاع الغربي من الحدود الصينية الهندية فهي ليست مهجورة أكثر من المناطق المتجمدة الشاسعة في الجزء الشمالي الشرقي ، من الاتحاد السوفيتي ، التي تواجه ولاية ألاسكا الامريكية ، عبر البحر ، ويدعي القادة السوفيت أيضاً أنه لا حاجة بالشيوعيين إلى الاهتمام بموقع الحدود وكيف تجري . انهم لسوء الحظ ينسون أننا نعيش في عالم فيه طبقات ودول [1] ، في عالم ما زال به مستعمرون ورجعيون برجوازيون » [2] .

وهكذا نرى أن « الأممية » ليست الا ستارا لخدمة المصالح القومية ولا عيب في ذلك من جانب روسيا أو الصين ، بل العيب في من يخضع مصلحة وطنه لمصلحة وطن آخر باسم الاممية .

لقد انطلق شعار « الأممية » كما رأينا مع الحركة الماركسية ، على أساس أن الاشتراكية ستذيب الحدود وانها دعوة لصعاليك العالم كي يتحدوا لتقوم الثورة الاشتراكية العالمية (آخر الحروب) وتطوح بالنظام الرأسمالي العالمي !

---

(١) راجع ص ١٢٧ من هذا الكتاب .
(٢) حقيقة تحالف قادة الحزب السوفياتي مع الهند ضد الصين – بكين – ص ١٠ – ١٣ .

فلما قامت الاشتراكية في وطن واحد ، هو روسيا ، كان من الطبيعي أن تخدم الأممية مصالح هذا الوطن ... خدمته في الداخل باخفاء التناقضات القومية بين روسيا والشعوب غير الروسية التي كانت تخضع للقومية الروسية في الامبراطورية القيصرية .

وخدمت الأممية ، أيضاً ، الاتحاد السوفيتي ، على النطاق العالمي ، باحاطته بدائرة من العاطفيين والمؤمنين المتحمسين في جميع دول العالم الرأسمالي .. الأحزاب الشيوعية ، والملتفون حول الأحزاب الشيوعية ، لم يكونوا عملاء بالمعنى القديم لهذه الكلمة ، ولكن مؤمنين متحمسين للاتحاد السوفيتي ، « قلعة الاشتراكية وحصن الطبقة العاملة والدولة التي تجري فيها أكبر تجربة وأخطرها في تاريخ الجنس البشري ، وتتآمر عليها قوى الشر في العالم كله » .

« كان الفرح يملأ كياني وأنا أتصور اقتراب موعد لقائي بالاتحاد السوفيتي ، والأرض الأولى في التاريخ — كما كنت أومن ايمانا أقوى من الصخر — التي تجسد فيها حلم الطامحين وعزم الأبطال وآلام الشهداء . وقد خطر لي أن أقبل الأرض الروسية [1] » .

ومن الطبيعي أن يكون واجب الشيوعي المخلص هو الذود عن هذه القلعة .. وكان ديمتروف سكرتير الحزب الشيوعي البلغاري ، وسكرتير الدولية الثالثة أو الكومنترن .. يقول : ان محك صدق الشيوعي هو موقفه من الاتحاد السوفيتي .

وقال ديمتروف في المؤتمر السابع للكومنترن عام ١٩٣٥ :

« ان العاطفة القومية خليقة بالتشجيع ما دامت موجهة ضد (بقايا الاقطاع) أو ضد (البورجوازية القومية) غير أنه تجب مقاومتها بمجرد اصطدامها بالحركة الشيوعية أو بالاتحاد السوفيتي » ! .

---

(١) جيلاس . الشيوعي اليوغوسلافي .

وستالين الابن البكر لبطرس الأكبر يعرف الرجل الدولي بأنه « الذي يظهر استعدادا لأن يقوم بلا تحفظ ، ولا تردد ، وبدون شروط ما بالدفاع عن الاتحاد السوفيتي لأنه قاعدة الحركة الثورية العالمية » [١] .

ولا نظن أن دولة من الدول قد وفقت إلى نظرية أممية متحيزة على هذا النحو الفاضح ، إلى جانبها ! .

ونصت لائحة الكومنترن على أنه : « بالنظر لأن الاتحاد السوفيتي هو الوطن الوحيد للبروليتاريات الدولية ، فإنه يجب على هذه أن تسهل من جانبها نجاح أعمال البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي ، وأن تحميه من هجمات العالم الرأسمالي بجميع ما لديها من وسائل » .

الا أن انفراد الاتحاد السوفيتي بوضع الدولة الاشتراكية الوحيدة في العالم، إلى نهاية الحرب العالمية الثانية ، قد خفف من حدة التناقض بين المصلحة القومية للشيوعي ، والمصلحة الدولية ، أي مصلحة حصن الاشتراكية وقلعة الشغيلة .. أي روسيا [٢] .. اذ لم تكن الأحزاب الشيوعية في السلطة ، وبالتالي لم يكن بوسعهم التضحية بمصلحة قومية أساسية ، أو الاصطدام على المستوى القومي .. مما جعل هذا المبدأ ينحصر في الخدمات الفردية [٣] .. أو في جرجرة الأحزاب الشيوعية خلف التطورات السياسية في روسيا ، والتي تمليها مصالحها كدولة ، واضطرارها إلى المناورة ، بالاقدام أو التراجع .

---

(١) الموقف الدولي والدفاع عن الاتحاد السوفيتي : ستالين ١٩٢٧ .

(٢) إنني احمل في ذاكرتي دائماً ان ستالين استعمل كلمة روسيا . لا الاتحاد السوفيتي . وهذا معناه أنه لم يكن موحياً للقومية الروسية فقط ، بل كان هو ايضاً يستوحيها ، ويمتن روابطه بها » . جيلاس .

(٣) « ان الشيوعيين هم الذين كانوا القاعدة والوسيلة اللتين كان الاتحاد السوفيتي يستخدمها لتثبيت نفوذه في بلدان اوربا الشرقية ، وكم داخلني الرعب من تلك الدوافع التي كان يتوسلها الاتحاد السوفيتي » جيلاس .

فالحزب الشيوعي الفرنسي ، يعارض الحرب في البداية لأنها حرب استعمارية ثم تنقلب إلى حرب وطنية تحريرية لا بغزو ألمانيا لوطنه فرنسا ، بل باشتراك الاتحاد السوفيتي فيها ! .

وكلنا نذكر الاذلال الستاليني للاحزاب الشيوعية في غرب أوربا عندما أجبرها على اصدار اقرار بأنها ستقاتل إلى جانب الاتحاد السوفيتي اذا ما اشتركت أوطانهم في الحرب ضده [1] .

لقد كان شعار الدولية ، كما رأينا ، ضروريا جدا ، لحماية الاتحاد السوفيتي .. وفي نفس الوقت كانت التربية القومية في الداخل تعمل على دعم الاعتزاز الروسي . حتى أن فتوحات القيصر في آسيا السوفيتية وجدت لها التبرير المطلوب ، اذ أن هذا الاستعمار قد أنقذها من الوقوع في يد الرجعية التركية والايرانية وأتاح لها فرصة التنعم بالاشتراكية .. وهكذا « لوعلمتم الغيب لاخترتم الواقع .. » ! .

وجرت حركة اعتزاز بالتراث الروسي كله .. بل حتى بالجبال ! فقد انتقد احترام العلوم الغربية .. « حتى أن (نابليون) و (بايرون) قد رفعت مرتبتهما فوق قواد وشعراء من الروس يفوقونهما بمراحل ، كما أن الأطفال كانوا يلقنون أن أعلى جبل في أوروبا هو (مونت بلان) في حين أنه في الحقيقة جبل (البروز) في القوقاز » (! !) .

ثم كان أن ظهرت الشقيقات الشيوعيات ، فانهار شعار الأممية .. عندما وصل الشيوعيون إلى السلطة في ١٢ بلدا .. اصطدمت المصالح .. وتعارضت القوميات ، وكان لا بد أن يتشقق الطلاء الأممي يوما ما ، ليكشف عن الصراع والتناقضات من تحته ..

---

(١) من المضحك أن الحزب الشيوعي المصري « تنظيم الراية » أصدر بياناً في ذلك الوقت يعلن فيه أنه سيقاتل الى جانب الاتحاد السوفيتي ضد مصر ! !

واستطاع ستالين بديكتاتوريته وقدسيته أن يؤجل العملية حينا من الوقت [1] . حتى أن انشقاق يوغوسلافيا بدا لأعين الكثيرين ، انحرافا تيتويا ، وصدق الشيوعيون في العالم كله أن تيتو باع يوغوسلافيا لأمريكا .. حتى خصوم الشيوعية فسروها بأنها ضربة بارعة للمخابرات البريطانية ! .

لم يكن ثمة من يصدق أنه في ظل الشيوعية توجد سيطرة أمة على أمة ، واستغلال دولة اشتراكية لدولة اشتراكية أخرى .

كان لا بد من تحطيم الأسطورة الستالينية ، حتى يبدأ الناس في التفكير . وقد تكفلت بتحطيم هذه الأسطورة عملية الصراع على السلطة في الكرملين بعد وفاة ستالين ، وعرف الناس أنه من الممكن أن يصدر عن قدس الأقداس الشيوعي ، أحط الجرائم وأكثرها بشاعة ورعبا .

وكان لا بد أن يشق عصا الطاعة حزب شيوعي لا سبيل إلى اتهامه بالعمل لحساب المخابرات الاستعمارية ، ولا مجال للتشكيك في تفهمه للماركسية ، ولا سبيل للطعن في عبقرية قادته وعظم النصر الذي أحرزه . .

جاء انشقاق الصين ، فانهارت وإلى الأبد وحدة الكنيسة الشيوعية .. مات البابا ، وانشق مجمع الكرادلة ، وتداولت الأيدي الأسرار المقدسة ، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه .. وتبين الناس أن التاريخ البشري لم يغير مساره إكراما لماركس ! . وما زلنا بعيدا جدا عن مرحلة الأحلام ، حيث السلام الأبدي ، والأخوة الدائمة في ظل « طبقة واحدة وكنيسة واحدة » .

---

(١) ان ستالين لم يكن فقط الزعيم العبقري الذي لا يعارض وانما كان التجسيد الفعلي لافكار المجتمع الجديد وأحلامه ، هذا التأليه لشخصية ستالين ، ولكل شيء تقريباً في الاتحاد السوفياتي ، اتخذ مظاهر غير واعية . فقد كان كل عمل تقوم به الحكومة السوفياتية – الهجوم على فنلندا مثلا – وكل المظاهر السلبية في الاتحاد السوفيتي – المحاكمات والتطهير مثلا – تلاقي كل تبرير ودفاع . وما بدا أكثر غرابة أن الشيوعيين نجحوا في اقناع انفسهم بصحة وسلامة هذه الاعمال وفي ازالة جميع آثار الوقائع الصحيحة وغير المرضية من تفكيرهم . « جيلاس » .

تبين أنه — كما يقول جيلاس — « أن الصراع سيغدو مريرا اذا ما خضع الناس لنظام اجتماعي واحد »[1].

لقد ثبت أن المصالح القومية باقية ، وأن فكرة الأممية قد أُستغلت لخدمة هذه المصالح ، وما دامت الأمم متمايزة ، فان امكانية استغلال أمم أخرى قائمة . واذا كانت الرأسمالية قد استعمرت واستغلت من أجل أرباحها هي ، وأيضاً من خلال هذا الاستغلال قد رفعت مستوى معيشة شعوبها وقوت المركز الدولي لبلادها . فليس مستحيلا أن تقبل الدولة الشيوعية استغلال أمم أخرى لنفس الأهداف باستثناء ربح الطبقة الرأسمالية[2] . فهل ترفض البروليتاريا التشيكية مثلا اقامة علاقات اقتصادية ممتازة مع شعوب أخرى لحساب الشعب التشيكي والوطن التشيكي ولو على حساب الشعوب الأخرى ؟

لماذا ؟ .

ما هي الحجة المادية ضد هذا الاحتمال ؟ . لا شيء ! .

أن العبرة التي يجب أن نخرج بها من انهيار الأممية الشيوعية هي أن قوانين ماركس قد تكون صادقة ولكن نبوءاته باليقين فاسدة ..

ومع ذلك فلنترك المطبوعات الشيوعية ، تكمل لنا رسم الصورة .. فما دامت المصالح القومية باقية ، فلا شك أن العلاقات الاقتصادية تعكس هذه المصالح ..

يقول جيلاس :

« ومع أننا لم نكن الا عابرين في رومانيا . فقد وجدنا سببا للانتقاد في كل مكان . فهناك ، أول الأمر ، العلاقات القائمة بين الاتحاد السوفيتي وبلدان

---

(١) يبدو فعلا — ولو أني لم أتوقف طويلا لدراسة هذا الرأي — أن التعايش السلمي أكثر امكانية بين النظم الاجتماعية والفكرية المختلفة منه بين النظم المتشابهة .

(٢) ودعنا الآن من حديث الطبقة الجديدة ..

أوربا الشرقية ، كانت ما تزال تحت الاحتلال الفعلي وثرواتها تبتز منها بشتى الوسائل ، لا سيما عن طريق الشركات المتحدة الأسهم التي كاد الروس أن لا يساهموا بنصيبهم من تمويلها الا بالرأسمال الألماني ، الذي أعلنوا ببساطة ، أنه من غنائم الحرب . أما التجارة مع هذه البلدان ، فلم تكن تجري ، كما تجرى عليه في بقية أنحاء العالم . ذلك أنها كانت تقوم على أسس اتفاقات خاصة تشتري بموجبها الحكومة السوفيتية بأقل ، وتبيع أعلى ، مما هي الأسعار العالمية » [1] .

ولكن « جيلاس » حديث قديم .. وهو على أية حال لا يشغل الآن مركزاً شيوعيا ، بل سجين .. فلنسمع رأي شيوعيين معترف بهم ..

لنسمع كوريا الشمالية :

نشرت صحيفة « رودنج شنمون » لسان حال اللجنة المركزية لحزب العمال الكوريين (الحزب الشيوعي) في ٧ سبتمبر ١٩٦٤ بيانا ترد فيه على تعليق البرافدا على (الندوة الآسيوية الاقتصادية) جاء فيه : « أليس من الأفضل عند حديثكم عن المساعدات السوفيتية لنا ، أن تذكروا أيضاً أنكم بعتم لنا معدات بأسعار أعلى بكثير من أسعار السوق العالمية ، وأخذتم منا أطنان الذهب والخامات بأسعار أقل كثيراً من الأسعار العالمية » [2] .

« ويتطاول الصينيون في محاولتهم لمحو ذكرى المساعدة السوفيتية ! . فيدعون أن الاتحاد السوفيتي قام بتسليم معدات قديمة للصين » [3] .

وقد أشار جيفارا ، إلى المزايا التي تحققها دول شرق أوربا من الاتجار بالأسعار العالمية ، هذه الأسعار التي تفرضها الاحتكارات الاستعمارية على أسواق

---

(١) محادثاتي مع ستالين ص ١٣٥ .

(٢) نقلا عن بكين ريفيو عدد ٣٨ .

(٣) قرار الاجتماع الشامل ص ٦٦ .

العالم ، فتجعل نسبة التبادل بين الخامات والمواد المصنعة لصالح الدول الصناعية المتقدمة .. وبذلك يتحقق لها استغـلال الدول المتخلفة المنتجـة للخامات والمستهلكة للمصنوعات .

قال « جيفارا » وزير الصناعة في حكومة كوبا (الماركسية — اللينينية) : [1]

« كذلك يفرض النظام الرأسمالي ، التبادل غير المتكافىء بين البلـدان المختلفة .. ومع الوقت تنخفض باستمرار أسعار المواد الأولية بالنسبة إلى السلع المنتجة . والذي يحدث هو أن البلدان الاشتراكية تشتري المواد الخام بأسعار السوق العالمي .. ويبيعون السلع المنتجة أيضاً بهذه الأسعار .. وهذا هو الذي يحدث بالفعل وعلى الرغم من أن بعض بلدان أوربا الشرقية تنفي هذه الحقيقة . وهذا الانكار ليس الا لمصلحتهم الذاتية ..

قلنا أنهم يستفيدون من فائض القيمة الذي تفرضه الاحتكارات العالمية .. وهذا وضع لا يجوز » [2] .

أما كاسترو فقد قالها صراحة عندما اعلن أن القيادة التشيكية الشيوعية الماركسية اللينينية (القديمة وليست المنحرفة) : « ان هذه القيادة قد باعتنـا بأسعار مرتفعة اسلحة كانت قد صادرتها من النازي » [3]

واذا كان الرفاق التشيك يبيعون بأسعارمرتفعة ، السلاح (الكُهنة) غنائم الحرب للرفاق الكوبيين يقاتلون به الامبريالية الامريكية مباشرة .. أتراهـم يعطوننا سلاحا مجانا أو حتى بأسعار رخيصة لمقاتلة الامبريالية الامريكية بطريق غير مباشر ؟!

---

(١) طبعاً هو غني عن التعريف الآن .. (ج)

(٢) مجلة « الطليعة » ابريل ١٩٦٥ . والترجمة كثيبة كما يبدو .

(٣) خطاب كاسترو عن ازمة تشيكوسلوفاكيا في ٢٥ أغسطس ١٩٦٨ نقلته مجلة الكاتب المصرية في عدد اكتوبر ١٩٦٨ نقلا عن مجلة « جرانما » لسان حال اللجنة المركزية لحزب الشيوعي في كوبا .

وهكذا نرى أن ظهور دول اشتراكية ، لم يؤد إلى تحطيم السعر العالمي الاحتكاري ، الذي يستغل الدول المتخلفة .. بل قبلت الدول الاشتراكية التعامل بهذه الأسعار محققة بذلك نفعا اقتصاديا ، ولو على حساب الشعوب الأخرى أي « سياسة الركوب على ظهر الآخرين » ولم يقتصر الأمر على العلاقة بين الدول الاشتراكية وغير الاشتراكية ، وانما بين الدول الاشتراكية ذاتها ... واذا صدقنا الصين وكوريا الشمالية ورومانيا وألبانيا ويوغوسلافيا [1] . نجد أن معدل الاستغلال أكبر بين الدول الاشتراكية في تعاملها مع بعضها البعض ، حيث يؤدي اختفاء عامل المنافسة الحرة الموجود في السوق العالمية إلى تمتع الدولة الصناعية الاشتراكية بمميزات احتكارية في سوق شقيقتها الدولة الاشتراكية المتخلفة . والنتيجة هي « بيع بأسعار أعلى من السوق العالمية ، وشراء بأسعار أقل » أي استغلال الدول الاشتراكية المتقدمة للدول الاشتراكية المتخلفة .. وبأكثر مما يمكنها استغلال الدول غير الاشتراكية ..

ومن الطبيعي أن تكون الخطوة التالية لهذه السياسة هي حرص الدول الصناعية الاشتراكية على ابقاء عامل التفوق هذا .. وذلك بمنع تصنيع الدول الاشتراكية المتخلفة ..

فهل حدث هذا ؟ .

وفقاً لقوانين المادية الجدلية لا بد أن يحدث ..

فهل صدقت قوانين ماركس ؟! .

تقول الصين عن الاتحاد السوفيتي: « انه باسم (المساعدة الاقتصادية المتبادلة) المزعومة ، عارض تطوير البلدان الشقيقة ، لاقتصادها تطويرا مستقلا ، وأرغمها على أن تصبح موردا للمواد الخام ، وأسواقا للسلع . محاولا أن يجعل

---

(١) نضيف تشيكوسلوفاكيا في هذه الطبعة . (ج)

صناعات البلدان الشقيقة صناعات تابعة ، وكان يتبجح بأن كل ذلك نظريات ومبادىء من اختراعه ، بينما هي في الواقع شريعة الغاب للعالم الرأسمالي ، يطبقها في العلاقات بين البلدان الاشتراكية ، متخذا السوق المشتركة لكتل الرأسمال الاحتكاري قدوة يحتذيها »[1] .

ويبدو أن خلافا حادا يدور اليوم داخل الدوائر الشيوعية حول المعونة الاقتصادية ، والوحدة الاقتصادية ، والتخصص الاقتصادي .. فانطلاقا من الأممية ، والأخوة الشيوعية، ووحدة المعسكر ، الاشتراكي ، يرى الاتحاد السوفيتي أن تقسيم العمل على نطاق المعسكر . هو السبيل للرخاء المشترك .. فلا معنى لأن تصر دولة منتجة للحاصلات الزراعية ، وتتمتع بمزايا طبيعية في الثروات المعدنية والمواد الخام ، لا معنى لاصرارها على التصنيع وبناء الصناعات الثقيلة . اذ أن ذلك يعني نقص كفايتها الزراعية ، ويؤدي كذلك الى ارتفاع أسعار مصنوعاتها وعجزها عن المنافسة مع الأقطار الرأسمالية .. ثم إلى تكرار التجربة المريرة التي مرت بها روسيا في عصر ستالين ، عندما اقتضى التصميم على التصنيع ، اعتصار عدة أجيال ، وفرض ارهاب وحشي لتحويل المجتمع إلى ماكينة من بشر وحديد ، تنجز خطط الدولة .. مما كلف الاشتراكية خسارة أدبية في سمعتها لدى الشعوب لا يعوضها ما حققته من نجاح في التكنولوجيا ..

ويرى الاتحاد السوفيتي أن قيام الصناعة السوفيتية مع عدد من الدول المتقدمة صناعيا قبل الاشتراكية .. (تشيكوسلوفاكيا – ألمانيا الشرقية – بولندا) .. قد خفف عن الشقيقات هذا العبء ، وأعفاها من أن تخوض الطريق الوعر الذي خاضته الشقيقة الكبرى.. اذ يمكنها الاعتماد على معونة الاتحاد السوفيتي

(١) « لماذا سقط خروشوف » افتتاحية مجلة العلم الاحمر الصينية .

في رفع مستوى معيشتها ، ويمكنها أن تتخصص فيما يسرتها له الطبيعة ، وتطورها التاريخي ، ولا ضير في أن تنقسم الدول الاشتراكية إلى مجموعتين واحدة تتخصص في تصدير السلع الصناعية واستيراد الخامات واخرى تتخصص في انتاج الخامات واستهلاك مصنوعات الدول الشقيقة المتقدمة .. بذلك تسير عجلة التقدم الاقتصادي للمعسكر ككل في مواجهة منافسة المعسكر الرأسمالي . اذ ان الصناعة في هذه الحالة ، لن تقام لاعتبارات وطنية ، بل لـــلاعتبار الاقتصادي وحده ، فلا معنى لاصرار رومانيا على قيام صناعات بتروكيمائية فيها لمجرد أن عندها البترول ! .. إن أمام رومانيا سنوات عديدة قبل أن تقوى على منافسة الغرب في هذا الميدان ولكن تصدير بترول رومانيا [1] الى روسيا الأكثر تقدما في الصناعات الكيماوية سيتيح « للأسرة في مجموعها » أن تتقدم في ميدان المنافسة الاقتصادية ، الذي هو ميدان المعركة الحاسمة في النضال من أجل الشيوعية [2] .

فعلى الدولة الشيوعية المتخلفة أن تعتمد على معونة الاتحاد السوفيتي في تطوير اقتصادياتها ، وعلى نظام التخصص الصناعي لتحقيق أكبر استفادة من امكانياتها الطبيعية .

ولكن رومانيا (وبالطبع الدول الشيوعية الآسيوية) رفضت هذا المنطق .. رفضت نصيحة « الكوميكون (السوق المشتركة الشيوعية) بالتخصص في الزراعة واستخراج البترول ! واتجهت إلى الغرب . ومن « جدلية » التاريخ أو إن شئت قل سخرية التاريخ ، أن مصنع منتجات البترول ، في رومانيا ، ستبنيه لها الولايات المتحدة ، إلى جانب مصنع للاطارات ، تم الاتفاق عليها بين البلدين .. نفس الولايات المتحدة التي ترفض أن تقيم مثل هذا المصنع في ايران

(١) رومانيا تنتج ١٢ مليون طن سنوياً من البترول .
(٢) الشؤون الدولية « روسية » عدد ١٩٦٤/٩ .

مثلا ، ولا تتردد روسيا في اقامته .. ولكن .. في ايران ! .

ونظرية تقسيم العمل والتخصص الاقتصادي ، ليست نظرية سوفيتية بالطبع ، بل نادى بها الاقتصاديون الرأسماليون منذ سنوات عديدة سابقة على ظهور ماركس [١] . بل كانوا يعتبرونها الوضع الطبيعي الذي تتمخض عنه السوق العالمية ، ويعتبرون أن أي محاولة لمعارضته ، خرق لقوانين الطبيعة لا تجلب الا المتاعب والخسائر .

ولكن .. هذا القانون كان يُغري دائماً بخرقه ، لأن الخضوع له يعني قبول استغلال الدول الأكثر تقدما في الصناعة . ذلك أن الاستغلال على النطاق العالمي يكمن كما قلنا في أن معدل التبادل بين السلع المصنوعة والخامات ، غير عادل ، ولا حقيقي ، ولا ثابت بل هو في صالح الدول الصناعية ، وينهار باستمرار لصالحها كذلك فان الحرب الحديثة هي حرب صناعية ، ومن ثم فان الدولة غير الصناعية ، انما تخاطر باستقلالها ، وتجعل من نفسها لقمة سائغة تغري دائماً بالابتلاع ..

وصحيح أن هذه الاحتمالات لا وجود لها في ظل العلاقات الاشتراكية الوردية التي رسمها الشيوعيون أيام ماركس ، وفي ظل الدولة الاشتراكية الوحيدة .. ولكنها انقلبت إلى حقيقة مروعة بعد طرحها في ميدان التطبيق العملي بين الدول الاشتراكية .

فاللجنة المركزية للحزب الشيوعي الحاكم في كوريا الشمالية ترى ، وتؤيدها في ذلك الصين اذ تترجم لها وتنشر :

« بعض الناس من (البلد الاشتراكي الأكثر تقدما) قد أزروا بالبلاد الاشتراكية ، لأنهم عصفوا بالمبادىء الأممية في التعاون الاقتصادي والمعونة ..

---

(١) وما حيلتنا إن كانت الصين تشاركنا هذا الرأي ! !

وما أكثر الحوادث العديدة التي يعرفها العالم عن هذا الأمر »[1] .

أما عن معونة الدول الاشتراكية المتقدمة لشقيقاتها المتخلفة فتقول بكين ريفيو : « وتفنيدا لادعاءات البرافدا حول الاعتماد على التعاون الاقتصادي بين الدول الاشتراكية ، ومعونة الدول الاشتراكية الأكثر تقدما .. فيقول بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكورى (الشمالية) :

« ان هذا التحليل يهدف إلى الترويج لفكرة الاعتماد على الآخرين والعيش على حسناتهم ، وربط مصير الأمة الاقتصادي بدولة اشتراكية أكثر تقدما » .

وتقول قيادة الحزب الشيوعي الكورى : « ان أحدا لم ينكر أن المعونة غير الأنانية تساعد على تنمية اقتصاديات الدول الحديثة الاستقلال . ولكن (البرافدا) تحاول اغراء الشعوب بامكانية العيش عن طريق الارتباط بمعونة الآخريـــن وحدها » .

وتتساءل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكورى : « أين هو البلد الذي يمكنه ازالة الفقر والتخلف .. أو أين هو البلد الذي تمكن من ازالة الفقر والتخلف معتمدا على معونة« الدولة الاشتراكية الأكثر تقدما ؟ » . وهل هناك مثال واحد لدولة اشتراكية أكثر تقدما عالت دولة متخلفة أو ساعدتها في بناء اقتصادها الوطني » .

الذي يسأل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكورى في مقالها المنشور بصحيفة « رودونج شنمون » وترجمته ونشرته صحيفة بكين ريفيو الصينية[2] .

وتقول : « تحاول البرافدا أن تعطي انطباعا بأن الدعوة إلى الاعتماد على النفس في بناء اقتصاد وطني مستقل ، دعوة تتعارض مع تدعيم وتوسيع التعاون الاقتصادي بين الدول المتحررة ، والدول الاشتراكية . وتدعي البرافدا ، أن

---

(١) بكين ريفيو ٣٨ .

(٢) الندوة الاسيوية الاقتصادية الثانية المنعقدة في بيونجيانج « يونيه ١٩٦٤ » .

الندوة فشلت في ذكر مثال واحد لاهدار مبادىء التعاون الاقتصادي بين الدول المستقلة من جانب الدولة الاشتراكية الأكثر تقدما .. لأن مثل هذا الأمر لا وجود له .. أحقاً (يرد الحزب الكورى) لا يوجد مثال لذلك ؟ قال مندوب في الندوة ، انه بعد تلقي مساعدات من (الدولة الاشتراكية الأكثر تقدما) قد نُهبت بلاده ، وتدخل في شئونها الداخلية ، وواجهت نشاطا تخريبيا »[1] .

ويجب أن تنتبه كل شعوب العالم الثالث ، ونحن العرب بالذات إلى تحذير كوريا الشمالية .

ان سياسة الاعتماد على النفس ، والمعارضة السوفيتية لها ، تمثل أهميـــة حيوية لمستقبلنا ..

ان الدول التي حاولت أن تبني اقتصادها الوطني وتحقق ثورتها الصناعية من خلال الاعتماد على معونات وقروض ومساعدات « أخوية » سواء من المعسكر الرأسمالي ، او من الدول الشيوعية ، لم تحقق التقدم المنشود .. ولأن الصين وكوريا الشمالية قطعت عنهما المعونة السوفيتية ، وبالطبع لم يكن في مخططهما الاعتماد على مساعدات أمريكية .. لذا نرى الصين وكذلك كوريا قد حققتا معـــدلا للتنمية أكبر ممـــا حققته بولندا أو تشيكوسلوفاكيا ، أو حتى المانيا الشرقية . ففي ظل المعونة السوفيتية لهذه الدول يجري استنزاف — مواردها ، كما يجري فرض تخطيط اقتصادي يضمن استمرار خضوع وتوجيه اقتصادياتها لمصلحة الصناعة السوفيتية .

وفي حالة الدول المتخلفة ، فإنها تغرر بنفسها اذا توهمت ان روسيا ستحقق لها ثورتها الصناعية ، ان ذلك مخالف لنفس القوانين التي تقوم عليها الماركسية .. اننا كثيرا ما نسمع شعار « الثورة لا تُصدر » وهذا الشعار لا ينطبق مثل انطباقه على « الثورة الصناعية » بالذات .. انها لا تتحقق الا من داخل المجتمع ،

---

(١) بكين ريفيو العدد ٣٨ ص ٢٥ .

وبقواه الذاتية أساسا ، وضد الدول الكبرى .. لذلك تعادى كل الدول « العظمى» شعار « الاعتماد على النفس » لأنه يعني الاستقلال والجدية في بناء القوة الذاتية ..

وفي حالة الوطن العربي ، فان الطريق الوحيد لبناء صناعة ثقيلة ، أي تحقيق الثورة الصناعية ، هو الاعتماد على وحدة الموارد العربية ، لا الوحدة السياسية .. فقد تتحقق هذه أو لا تتحقق في المرحلة العاجلة ، ولكن المهم أن تتحد الموارد العربية ، وأن ترفع الحواجز المصطنعة التي تعترض حركة رأس المال العربي فيقتنع بدافع الوطنية أو الربح .. او هما معا ، بضرورة بناء الصناعة الثقيلة في المكان المناسب اقتصاديا وقوميا .. ذلك هو الحل الوحيد.. وهو لا يتأتى إلا من خلال اعتناق سياسة : « الاعتماد على النفس » ففي مثل هذه الحالة سنلتفت إلى قوانا الحقيقية ، ونعمل على تقويتها .. وليس تدميرها ..

ان روسيا لن تقبل أبداً أن تبني لنا مصنعا للطائرات .. لأن معنى ذلك ، بالتبسيط الشديد ، ان نحطم احتكار السلاح ، ان نتوقف عن شراء الطائرات الروسية ... فأين تصرف هي انتاجها القديم ؟! .. كما ان انتاجنا للسلاح يحرر سياستنا من الالتزامات التي يفرضها « مورد السلاح » عادة .. أما عندما ننتجه فإننا نملك حرية استخدامه ..

لذا فمن الطبيعي ، أن نجد المعونة السوفيتية تتمثل في بناء « سد » أي خزان كذلك الذي بناه الانجليز في مطلع القرن العشرين في مستعمرتهم مصر .. مع الاختلافات التي يحتمها مرور نصف قرن حافل بالتطورات ..

اننا نقول مع صحيفة الحزب الشيوعي الكوري : « اين هو البلد الذي تمكن من ازالة الفقر والتخلف معتمدا على معونة « الدولة الاشتراكية الأكثر تقدما».. وهل هناك مثال واحد لدولة اشتراكية أكثر تقدما عالت دولة متخلفة او ساعدتها في بناء اقتصادها الوطني ؟ » ...

ذلك هو السؤال الذيتطرحه صحيفة دولة شيوعية..فهل من جواب؟!..

ان المعونة السوفيتية ، اذا ما أصبحت حجر الزاوية في اقتصاديات دولة ما ، تتحول إلى عامل تقويض لاقتصاديات هذه الدولة ، وتؤدي إلى تدهور وضعها المالي وما يترتب على ذلك من نتائج سياسية واجتماعية [1] ، ولكنهـا تصبح عنصرا مفيدا في تطوير الاقتصاديات وزيادة معدل التنمية للبلد الذي يتبنى أساسا شعار « الاعتماد على النفس » ويخضع هذه المعونة لسياسته القومية الاستقلالية وليس العكس ..

لقد حاولت روسيا أن تمنع الصين من بناء قوتها الصناعية ، لأن ذلك هو الخطر القومي القاتل على القومية الروسية .

ومن الطبيعي في مثل هذه الظروف أن تكون الخلافات الأيدلوجية فرصة طيبة للتحرر من الارتباط الاقتصادي .. فيقول تقرير الاجتماع الشامل للحزب الشيوعي الروسي .:

« ولقد تدهورت العلاقات السوفيتية ــ الصينية بصورة ملحوظة بعد أن ذهب زعماء الحزب الشيوعي الصيني إلى أبعد من التصرفات غير الودية ، إلى التعويق الحاد للعلاقات الاقتصادية والثقافية مع الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية .. وأنقصت إلى الحد الأدنى حجم التجارة السوفيتية ــ الصينية .. فهبطت في عام ١٩٦٣ إلى ٣٦,٥٪ عما كانت عليه في عام ١٩٥٩» [2].

« وتقطع العلاقات الاقتصادية مع الدول الاشتراكية وخاصة مع دول الكوميسون والاتحاد السوفيتي وفي عام ١٩٦٢ انخفضت تجارة جمهورية الصين الشعبية بنسبة ٦٥٪ بالمقارنة بما كانت عليه عام ١٩٥٩ ، كما انخفضت في عام

---

(١) وهذا يفسر لنا حرص السياسة الامريكية على استمرار المعونة الامريكية لمصر .. حتى دمرت تماماً امكانية اعتمادنا على مواردنا العربية من القمح ، واصبحت مصر البلد الزراعي تعيش على الهبات الأسبوعية لتوفير خبزها !

(٢) قرار الاجتماع الشامل ص ٦٥ .

١٩٦٣ بنسبة ٢٠٪ علاوة على ذلك »[١] .

ويتهم نفس التقرير الصين بأنها جعلت حياة الخبراء السوفيت غير ممكنة في الصين ، بينما ترد الصين بأن الروس « قرروا من جانب واحد سحب (١٣٩٠) خبيرا سوفيتيا ، كانوا يعملون في الصين ، ومزقوا ٣٤٣ عقدا وعقدا اضافيا حول استخدام الخبراء ، وألغوا ٢٥٧ مشروعا للتعاون العلمي والتكنيكي ، وباشروا سياسة الحجر والتمييز في التجارة ضد الصين »[٢] .

وهكذا نرى أن مظاهر الصراع الاقتصادي التي عرفها التاريخ البشري منذ انقسام العالم إلى دول ، هذه المظاهر ما زالت تحكم العلاقات بين الدول الشيوعية ، وما يعقب هذا الصراع من آثار وأساليب ، ومن محاولة للسيطرة السياسية ، وحوادث الحدود ، وشراء للعملاء ، والتخريب والتجسس .

فروسيا تتهم الصين بأنها ، تحاول أن تحل الدعوة من أجل فصل الشعوب الشرقية على أسس قومية أو حتى عنصرية ، محل المبدأ اللنيني بشأن توحيد القوى المعادية للاستعمار في كل الدول والقارات .. « انها تحاول بوضوح أن تسيطر على الكفاح التحرري القومي ، لتجعل منه أداة لتنفيذ خططها القيادية ، واخضاعها ، وفقاً لأهدافهم الخاصة ، ويصورون أنفسهم بأنهم المدافعون الوحيدون عن آمال هذه الشعوب . وإذا كان لزاما علينا أن نوضح الخطة التي تكمن خلف الشعار الصيني ونشرح الهدف البعيد لقادة الحزب الشيوعي الصيني ، فإننا نقول هكذا (روسيا تقول) ان الصين بالنسبة لهم أكبر دولة في الشرق وهي التي تجسد آمال الشرق ، وهنا تظهر ، رياح التاريخ ، التي يجب أن تسيطر على « الرياح القادمة من الغرب » وبعبارة أخرى نقول ، ان هذا الشعار

---

(١) ص ٢٢ .

(٢) قادة الحزب السوفياتي أكبر الانقساميين ص ٢٠

لا يعدو أن يكون تعبيراً أيدلوجيا وسياسيا لآمال القيادة الصينية المتسلطة »[1] .

أي أن روسيا ترى أن الصين تكرر شعـــار آسيا للاسيوين الذي كانت تطلقه الاستعمارية اليابانية لكي تحل محل الاوروبيين في استعمار آسيا.

وترد الصين متهمة روسيا بأنها « تحلم بالسيطرة على الكرة الأرضية بالتواطؤ مع الاستعمار الامريكي[2] . »

وان الاتحاد السوفيتي « ظل يشتري شيوعيين مبرجزين خانوا الماركسية اللينينية في الحركة الشيوعية العالمية » .

ويتهم الحزب الشيوعي الياباني السفارة الروسية بالعمل ضـــده في اليابان :

« لقد بدأتم تنظمون عملا معاديا للحزب .. فخلال محادثاتكم مع حزبنا في موسكو في مارس الماضي ، أقمتم صلات وثيقة مع « يوشيوشيجا » وآخرين عن طريق السفارة السوفيتية في طوكيو ، لتدعيم نشاطهم المعادي للحزب . ان هذه حقيقة معروفة للجميع » .

« وحاولتم شراء مراسل صحيفة « اكاهاتا » في موسكو ليعمل جاسوسا ويجمع لكم المعلومات التي قد تفيدكم في بث بذور الشقاق بين قادة حزبنا[3] .

ولعل أخطر ما يعنينا في مسألة العمالة والتبعية وتلقي التعليمات من الخارج ، هو اعتراف الصين وروسيا بتلقي الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي توجيهاتها من موسكو أو بكين ..

روسيا تحمل الصين تبعة الانحراف اليساري الذي سقط فيه الحزب الشيوعي

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٥٥ .. ضع كلمة روسيا مكان الصين والشيوعية مكان الشرق تعرف رأي الصين في دعوة زعامة روسيا للمعسكر الشيوعي .

(٢) سياستان للتعايش السلمي صحيفة جينمين جيباو .

(٣) رد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الياباني على اللجنة المركزية للحزب السوفيتي في صحيفة « اكاهاتا » اليابانية بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٦٤ . وترجمته الصين في بكين ريفيو .

العراقي نتيجة توجيهاتهم ، بينما تحمل الصين ، روسيا ، مسئولية استسلام الحزب الشيوعي العراقي ، والمصير الذي وصل اليه .[1]

ونحن نعتقد أن الحزب الشيوعي العراقي قد لاقى المصير الذي يستحقه لعدة أسباب : منها أنه سمح لنفسه بتلقي توجيهات من خارج الوطن العربي .. ولكن ما يعنينا هنا ، هو اثبات هذا الاتهام ، وعلى لسان الذين لا سبيل إلى التشكيك في نواياهم .. أو رجعيتهم .. الخ ..

تقول صحيفة الحزب الشيوعي الصيني : « لقد كان رفاق الحزب الشيوعي العراقي في الماضي مليئين بالحماس الثوري (أيام تأسف خطيب صيني في حفل تكريم للمهداوي ، على أن الثورة الصينية قد أُنجزت قبل ظهور المهداوي ، فضاع على الشعب الصيني فرصة اكتساب خبرة السحل ومحكمة الشعب من الرفاق العراقيين !) الا أنه (تقول صحيفة الحزب الصيني) فرض عليهم قبول خط خروشوف التحريفي بواسطة الضغط الخارجي ، وفقدوا يقظتهم تجاه الثورة المضادة . وضحى أثناء الانقلاب المسلح[2] المعادي للثورة ، رفاق قياديون بأرواحهم ببطولة ، وقتل آلاف من الشيوعيين والثوريين العراقيين بصورة وحشية ، وتشتت شمل الحزب الشيوعي العراقي الذي كان منيعا وقويا ، وأصيبت القضية الثورية العراقية بنكسة خطيرة .

ان هذا درس مفجع في تاريخ الثورة البروليتارية .. انه لدرس كتب بالدماء[3] .

---

(١) صحيفة جينمن جيباو ٣١ مارس ١٩٦٤ « ترجم واعيد نشره بالعربية عن دار النشر باللغات الاجنبية – بكين » .

(٢) ثورة ١٤ رمضان ! .

(٣) نشرت تحت عنوان : الثورة البروليتارية وتحريفية خروشوف عن دار النشر باللغات الأجنبية بكين الثمن ٣ قروش . صفحة ٥٧ .

أما روسيا فتعلن في وثيقة أكثر من رسمية قائلة : « لدينا الآن الدليل على أن ممثلي الصين في العراق يريدون الاستفادة من حقيقة ان الحزب الشيوعي العراقي وجد نفسه بدون زعامة ليشكلوا هناك جماعة من الانفصاليين » [١] .

حقاً .. اذا اختلف الرفيقان .. ظهر العميل ! .. [٢]

ومن زاوية القومية ، يمكن فهم كل الأسباب الحقيقية للصياح حول الخلاف الأيدلوجي ، ولماذا كان هذا الخلاف محتوما .. وإلى أي مدى يمكن أن يصل ..

أما البدء بانكار العامل القومي ، فلا يفضي الا إلى الثرثرة ، أو الارتباط بأحد الفريقين ، وتبني آرائه ، وترديد تبريراته .

خذ مثلا الموقف من التعايش السلمي .. ودعنا من الزعم المتبادل بأن الصين تسعى إلى الحرب ، أو ان روسيا باعت الشعوب في سبيل السلم ..

ما المصلحة القومية المختفية خلف الصياح الايدلوجي ؟

روسيا تؤمن بالتعايش السلمي ، وبأن المنافسة الاقتصادية الآن هي الميدان الحقيقي للتفوق على الدول الرأسمالية لذلك فهي تفضل انفاق أموالها على رفع مستوى معيشة الشعب السوفيتي حتى يبدو النظام الاشتراكي جذابا ومغريا لعمال البلاد الرأسمالية : « وحينما يرى العمال والفلاحون في الدول الرأسمالية ، انجازات الدول الاشتراكية في التنمية الاقتصادية ، ورفع مستوى المعيشة وزيادة الديموقراطية ، وإشراك الجماهير في الاشراف الحكومي ،

---

(١) صفحة ٩١ من الطبعة العربية لقرار الاجتماع الشامل للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي المنعقد في ١٥ فبراير ١٩٦٤ . الناشر وكالة نوفوستي للانباء وثمنه قرشان . يباع على الارصفة في القاهرة لمن أراد أن يبصر ..

(٢) المؤسف أن الاحزاب الشيوعية العربية ترجمت الانقسام الصيني السوفيتي بانتماء بعضها للصين والبعض لروسيا ! .. مع أن جوهر الموقف الصيني هو تحول الشيوعية الى نظرية قومية واختفاء سياسة المعسكرات فالموقف الصيني هو عدم الارتباط بالصين ولا بروسيا .. لا التبعية للصين ! ! « ب » .

فإنهم يقتنعون فعلا بأن المطالب الرئيسية للشعب العامل يمكن الايفاء (!!) بها عن طريق الاشتراكية فقط ، وكل هذا يشبع الجماهير بروح ثورية ، ويساعد على استمالتهم للكفاح الجاد ضد النظام الرأسمالي ، من أجل التحرر الاجتماعي والقومي [1] » .

« فعندما يستمتع الشعب السوفيتي ببركات الشيوعية ، سيقول مئات الملايين من الناس على الأرض « اننا نريد الشيوعية » .

فمنذ امتلاك الاتحاد السوفيتي للأسلحة النووية والصاروخية، لم تعد مشكلة الدفاع عن سلامته هي التي تشغله، وبالتالي لم تعد سياسة شغل الاعداء بالهجمات والثورات ، ضرورية ، وضعفت الحاجة إلى تضامن المعسكر الاشتراكي . وأصبحت المهمة الكبرى للقادة السوفيت هي رفع مستوى الشعب الروسي ، أن ينال حقاً ثمرة الانجازات الاشتراكية ، أن تتم ارادة التاريخ ، وقوانينه الأبدية ، فيتحول الروس من مجاهدين إلى مترفين ..

وهكذا ظهرت نظرية التفوق الاقتصادي ، والاغراء بالاشتراكية بدلا من الاستمرار في الشد على البطون ، واقتسام اللقمة مع الشعوب الشقيقة لتصنيعها .. والاستمرار في دفع الحركة الثورية في العالم ..

هكذا تنادي روسيا .. ولكن الصين التي لا تملك أن تعطي شعبها ولسنوات مقبلة ، غير الأماني والأحلام .. غير المجد .. وسباق الموت من أجل بناء الصناعة الثقيلة والاستعداد العسكري .. الصين لا يمكن أن تقبل هذا المنطق .. انها تريد الاستمرار في السياسة الثورية ، حيث يكون لها بملايينها التي لا تعد ، وبموقعها في آسيا تحيط بها مراكز الالتهاب ، المكانة الأولى .. وفي ظل الثورة الدائمة يتحتم على الدول الاشتراكية المتقدمة ، المعاونة في تدعيم مجهود الصين الحربي ..

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ١٨

لذلك تقول روسيا ان : « الزعماء الصينيين يهاجمون الحزب السوفيتي لأنه يتبع سياسة تحسين مستويات معيشة الشعب ، وهم يقولون أن تحسين مستوى المعيشة ، يحول الشعب السوفيتي إلى « بورجوازية » وأن مبدأ الحوافز المادية ، ينتج عنه شعب يبحث عن الكسب الشخصي والاثراء . مغريا بالفائدة ، ونمو البورجوازية والاضرار بالاقتصاديات الاشتراكية »[1] .

ويعلق الحزب الشيوعي الروسي : « أليس هناك احتقار متأصل لمقتضيات الانسان الضرورية ، ولمبادىء ومثل المجتمع الاشتراكي ، خلف تلك الاتهامات الطائشة ؟ » .

الصين ترى أن الحرب دائرة ، والثورة مستمرة ، ومن ثم فواجب الأسرة الاشتراكية أن تتقاسم السراء ، كما تتقاسم الضراء ، بينما ترى روسيا أن التعايش السلمي ممكن ، وبدلا من الحرب ، يجري التباهي بالصيت ، ومن ثم فان على الأخ الأكبر أن يبدو في أحسن زي ولو قتر على اخوته .. لأن الأسرة تتباهى به ، وتتشرف !

انها « ديالكتيكية » التاريخ .. الابن الأكبر يتمسك بتضامن الأسرة ، ويحثها على التضحية ، حتى يكمل تعليمه ، فيحل مشاكل الأسرة .. فاذا بلغ غايته ، وتفتحت شهيته للحياة ، ضاق ذرعا بالواجبات العائلية ، وتعددت شكواه من هذه الالتزامات ، ورفض سياسة التقشف التي لا تتفق ومستواه الاجتماعي ! ..

ثم يبدأ في مناقشة جدوى استمرار جميع الأخوة في التعليم ! وسخافة أن يتصور كل أخ أنه سيستطيع أن يصل إلى ما وصل إليه الشقيق الأكبر وسيتساءل أليس من الأجدى أن يتعلموا « صنعة » ؟! .

وسيعيره الاخوة الصغار بما ضحت به الأسرة في سبيله ، وتهربه من

---

(١) قرار الاجتماع الشامل ص ٧٣

مسؤليات الأخ الأكبر ، وسيتحدثون عن المرأة أو « البورجوازية » التي أكلت عقله .

ولكن المصلحة دائماً هي أم المنطق ..

والحزب السوفياتي قد ضاق بمسئوليات الأخ الأكبر :

« ما هي الفائدة المادية التي تقدمها لنا عبارة (على رأس) .. انها لا تقدم لنا لا لبنا ولا زبدا ، ولا بطاطس ، أو خضارا ، أو مساكن ، ولكن قد تقدم شيئاً أدبياً ، كلا لا شيء على الاطلاق [1] .. وما هي فائدة عبارة (على رأس) لنا .. فلتذهب إلى الجحيم هذه العبارة [2] .. » .

هل لمجرد قولهم : « آبيه كوسيجين » يأخذون ثروات الشعب السوفيتي لبناء بلادهم ؟!

و « دين راسك » يرى : « أن هناك دلائل تبرم لدى القادة السوفيت من أعباء ومخاطر التزاماتهم تجاه الحركة الشيوعية العالمية » .

على أية حال ..

ليس ثمة عاقل يزعم القدرة على التنبؤ بكل آثار هذا الانفجار في المعسكر الشيوعي . الا أننا نلاحظ باهتمام ، ظهور حديث ولو خافت ، وربما يضيع أحيانا في جعجعة النصوص الماركسية — اللينينية ، وشرح امكانيات التطور السلمي ، وديكتاتورية البرولتياريا .. الخ .

كذلك فإن شعار التعايش السلمي ، أو حماية السلام ، والتهديد المبالغ فيه عن أخطار اصطدام القوتين النوويتين ، إنما يعكس اعتناق روسيا للمفهـــوم التقليدي للحضارة الغربية لحدود الجنس البشري ، فالحرب هي ما يقع بين الدول

---

(١) خطاب خروشوف ٤ فبراير تعليقاً على تصريح موسكو بان يعين الاتحاد السوفيتي رأساً للمعسكر الاشتراكي .

(٢) خطاب خروشوف في اجتماع المندوبين « ١٢ حزباً شقيقاً في بوخارست ٢٤ يونية ١٩٦٤»

البيضاء ، والسلام هو ما يسود الجنس الأبيض .. أما ذبح الفيتناميين وحـرق العرب بالنابالم ، فليست حروب ، ولا تعني ان السلام العالمي قد خُرق .. تماما كما يؤرخ التاريخ البورجوازي سنوات الحرب والسلام بحروب القارة الأوروبية وسلامها ، اما ابادة شعوب اسيا وافريقيا ، فهذه « عمليات » وليست حروب ..

كذلك فان روسيا ترى أن السلام مستتب ما دام القتال لا ينشب في أوروبا ولا تقوم الحرب بين الروس والامريكان .. أما ابادة الشعوب بالقنابل الأمريكية التي تلقيها الطائرات الأمريكية بواسطة الطيارين الأمريكيين او الاسرائيليين .. فاسمها « الحرب الباردة » .. احتراقنا بالنابالم « : حرب باردة » !

وبالطبع فان الذين يقاتلون ، حقيقة ، يرفضون هذا المنطق ، ترفـضه فيتنام .. ويرفضه الثائر الذي يتاجرون باسمه « جيفارا » ولا يتردد في ادانـة السوفييت ، ووضعهم في صف واحد مع الامريكيين .. أما العملاء في بلادنا ، فتحترق بلادهم وهم يتحدثون عن حماية السلام العالمي !! ليحترق العالم كله ، ما دام بيتي أنا يحترق .. ابنة موشي ديان تصيح في كتابها الذي لاقى رواجا نادرا لدى « الرأي العام العالمي » .. تقول : « إلى الجحيم بسلام العالم ، ما دام أمن اسرائيل مهددا [1] .. » .

والعملاء عندنا يبدون اهتماما مرضيا بحماية السلام العالمي ، الى حد التفريط في استقلالنا القومي .. وهم أعجز من أن يعكروا السلام على حدودهم .. فضلا عن تهديد السلام العالمي ! .. [2]

على أية حال ..

ليس ثمة عاقل يزعم القدرة على التنبؤ بكل آثار هذا الانفجار في المعسكر الشيوعي . إلا أننا نلاحظ باهتمام ، ظهور حديث ولو خافت ، وربما يضيع

(١) مذكرات جندي ..

(٢) (ج)

أحيانا في جعجعة النصوص الماركسية ـ اللنينية . وشرح امكانيات التطور السلمي ، وديكتاتورية البروليتاريا .. الخ

أقول نلاحظ بعض الأصوات التي تشير إلى الانقسام الحضاري بين الدول البيضاء والدول الملونة ، وأن ألبانيا تجعل الانتهازية ظاهرة أوروبية [1] ، والصين تتحدث عن « السوفيتية البيضاء . »

وكذلك نسجل أن أول صدام حقيقي وشامل كان بين دولة شيوعية أوروبية بيضاء وأخرى آسيوية صفراء [2] وأن معظم الأحزاب الشيوعية في آسيا ، ما عدا الأحزاب العربية ، قد انحازت إلى جانب الصين ، بينما انحازت إلى روسيا الأحزاب الشيوعية في غرب أوربا ، وعلى رأسها الحزبان الشيوعيان ، الفرنسي والايطالي .

وقد بدأ الشيوعيون اليوغسلاف ، الحديث عن انقسام العالم إلى أغنياء وفقراء .. لا إلى شيوعيين ورأسماليين .. ولكن الحديث الآن يعود إلى التقسيم الأبدي : الحضارة الغربية البيضاء .. بشقيها الرأسمالي والشيوعي في مواجهة حضارات الشعوب الملونة ..

---

(١) بكين ريفيو العدد ٦ .

(٢) واقترحت الوفود الصينية في هذا المؤتمر على الوفود الآسيوية والافريقية انه مادام الروس والتشيكوسلوفاكيون والبولنديون شعوباً بيضاء فانه لا يمكن الثقة فيهم وأن عليهم أن يكونوا دائماً قادرين على التوصل الى شروط مع الامريكان البيض .

وعلى ضوء الجهود العملية للقادة الصينيين في السنوات الحديثة ، أصبح المغزى السياسي الحقيقي لشعارهم : (ان ريح الشرق بدأت تسيطر على ريح الغرب) أكثر وضوحاً ويجدر بنا أن نتذكر بأن هذا الشعار قد انتقد بشدة في اجتماع عام ١٩٦٠ ـ باعتبار أنه شعار قومي ينادي بالتقارب الجغرافي ، بل والعنصري ، بدلا من تقارب الطبقة ويتضح أن هذا محاولة للتقليل من دور النظام الاشتراكي العالمي والطبقة العاملة وشعوب أوربا الغربية وأمريكا .

وشعارهم عن القوة السحرية المفروضة لريح الشرق تهدف ببساطة الى اثارة المشاعر القومية بل والعنصرية بين الشعوب التي تكافح ضد الاستعمار .

وسنوات العبودية والاستغلال الكثيرة للاستعمار الذي سخر من شرف الكرامة القومية للشعوب المغلوبة على أمرها ، قد أثارت عدم ثقة الشعوب بالجنس الأبيض لدى سكان المستعمرات السابقة والدول شبه المستعمرة ، ولا تزال تزكي هذا الشعور ، وهذا هو الشعور الذي يحاول القادة الصينيون اثارته بغية اثارة شعوب المستعمرات السابقة وشبه المستعمرات ضد الدول الاشتراكية والشعب العامل في الدول الرأسمالية المتقدمة (قرار الاجتماع الشامل للحزب الشيوعي السوفياتي ١٥ فبراير ١٩٦٤)

خيانة الشيوعيين لفلسطين

من هنا نرى خطورة المفاهيم الماركسية ، في العالم العربي ، كأحـد أسلحة الغزو الفكري .. لأن الماركسيين العرب يتجاهلون هذه الحقائق وما زالوا عند مفاهيم الأممية ، والوحدة الطبقية ..

وإذا كانت الأممية عند الدولة الكبرى هي ابتلاع الدولة الصغرى ، فان الأممية عند الدولة الصغرى هي الذوبان في الدولة الكبرى ، أو ربط مصيرها بعجلة هذه الدولة .

الشيوعيون العرب .. أمميون [1] .. ومن هنا كانت سياستهم المنحرفة ازاء قضايا القومية .. انطلاقا من مفهوم الأممية ، ووضع مصلحة الطبقة العاملة العالمية فوق مصلحة أوطانهم ، وهكذا أيدوا الاستعمار البريطاني والفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية . لأن التحليل السوفيتي كان يرى أن العدو هو الفاشية ،

(١) ينقل الاستاذ خلدون ساطع الحصري من وثائق الحزب الشيوعي العراقي خطاب قبول عضوية المرشح الجديد .. تقول فيه اللجنة المركزية للعضو : « كن أمياً أيها الرفيق ، ودافع عن مبدأ الأخوة بين مختلف الشعوب .. ولتكن ثقتك لاحد لها بقوى الحرية والتقدم والاشتراكية في العالم بقيادة الاتحاد السوفيتي انها رجاء البشرية التقدمية ، والنصير الاعظم لشعبنا وأمتنا في نضالهـا التاريخي » . وكان برنامج الحزب الشيوعي المصري ينص على العمل على ضم الشعب المصري الى معسكر الشعوب والسلم بزعامة الاتحاد السوفيتي .

ومن ثم فان الاستعمار القديم ، أو الديموقراطيات ، كما كانوا يسمونها ، لم تكن تشكل الخطر الجارف على الاتحاد السوفيتي ، أو على الاشتراكية العالمية.. بل كان العدو الأول هو الفاشية .. وذلك منطقي في روسيا أو حتى في أوربا ، ولكنه تنطع يثير غضب الحليم ، أن يأتي عراقيون ومصريون فينادون بالتعاون والتحالف مع الاستعمار البريطاني المحتل لبلادهم ، بحجة منع خطر الفاشية على الجنس البشري [1] أو أن يقبل الشيوعيون السوريون تنحية قضية بلادهم واستقلالها بل واقتطاع جزء من تربة وطنهم لدعم حكومة « الجبهة الشعبية » هناك خوفا من وصول الفاشية إلى الحكم في فرنسا ! .

يقول خالد بكداش :

« ولكن الشيء الأساسي هو تأمين الاتحاد بين الحركة الوطنية في المستعمرات وحركة العمال في الغرب ، ومحاربة الأفكار الضيقة عند بعض المناضلين في المستعمرات . ولكن المسألة لا تقتصر على الاتحاد مع حركة العمال والحركة الشعبية في الغرب . فقد تقضي مصلحة النضال الاستقلالي ، السعي للتحالف مع احدى الدول القوية ، فلو نظرنا إلى العالم في الوقت الحاضر مثلا ، لرأينا كما قدمنا أن الخطر الأساسي على كياننا الوطني ، نحن العرب ، مصدره ايطاليا والمانيا الفاشستيتان ، اللتان تعملان للتوسع والاعتداء ، وتقومان بهجوم استعماري شديد هدفه الرئيسي الاستيلاء على الشرق الأدنى والبلاد العربية ، سورية والعراق ومصر وفلسطين بوجه خاص . ان مصلحتنا الوطنية تقضي علينا بأن نوطد عرى التحالف مع احدى الدول الديمقراطية الكبرى . وهذه الدولة لا يمكن أن تكون بالنسبة لنا نحن السوريون واللبنانيين الا فرنسا الديمقراطية .

---

(١) لقد حالف الشيوعيون العراقيون الانكليز وعملوا لهم عندما حالفتهم روسيا وأيدوا في تلك الفترة عبد الاله ، عميل الاستعمار الانكليزي . ولم تهاجم جريدتهم السرية « الشرارة » طيلة هذه الفترة ، عبد الاله أو البلاط مرة واحدة (حقيقة الشيوعيين في العراق . خلدون ساطع الحصري)

لذلك يضع الشيوعيون في سورية ولبنان وجميع الوطنيين الواعين مسألة التحالف السوري — اللبناني — الفرنسي ، في مقدمة المطالب الوطنية التي تناضل بلادنا في سبيلها . ويرون أن أحسن وسيلة لتحقيق هذا التحالف ، هي عقد معاهدة مع الديموقراطية الفرنسية تسمح لبلادنا بتقوية نفسها وربط أجزائها وتثبيت كيانها الوطني . وتكون المعاهدة سدا منيعا أمام مطامع الوحش الفاشستي في الشرق الأدنى »[1] ! !

وما زال الشيوعيون حتى اليوم لا يغتفرون موقف الوطنيين الذين رأوا في الحرب العالمية الثانية فرصة العمر لكيل ضربة ، ولو للانتقام ، من الحلفاء الاستعماريين الفرنسيين والبريطانيين ، الذين أذاقوا الأمة العربية طوال قرن من الزمان أبشع ألوان القهر والاذلال ..

على أية حال إن هذا الموقف رغم بعده التاريخي وعدم وضوح تفاصيله الآن يكشف النتائج الخطيرة لانكار العامل القومي .

ان هذا الانكار يجعل الضمير الوطني مطاطا جدا ... بحيث يتسع للتحالف مع محتل بلاده حرصا على مستقبل الديمقراطية في العالم ! ..

ان الأممية تميت الحس القومي .. وتفتح السبيل للتدليس على الوطنية .

ومن انعدام هذا الحس ، كان الموقف الأبله الذي وقفته الأحزاب الشيوعية العربية من الأحزاب الشيوعية في بريطانيا وفرنسا ، عندما قبلت وصاية هذه الأحزاب وتعاليمها .. فأفتى الحزب الشيوعي البريطاني للشيوعيين المصريين بأن ثورة ١٩٥٢ فاشية ! !

---

(١) طريق الاستقلال سنة ١٩٣٩

وأفتى الحزب الشيوعي الفرنسي للحزب الشيوعي الجزائري بخطأ ثورة الجزائر ، فضيع مستقبله !.

ولكن التفريط الأشنع ، كان في قضية فلسطين . فقد بدأت الأحزاب الشيوعية معالجتها لهذه القضية المصيرية ، من نقطة انعدام الاحساس القومي .. صحيح أنها عارضت الصهيونية في البداية كحركة رجعية ، ولكنها عجزت ، وما زالت عاجزة عن فهم الصلة الحقيقية بين الصهيونية واسرائيل ، ويهود اسرائيل قبل قيامها ..

لذلك لا يجد الشيوعيون العرب غرابة في أن يشكل اليهود ٩٠٪ من قياداتهم .. والعرب على أبواب معركة فاصلة مع الصهيونية . !!

كان في مصر ٤ تنظيمات شيوعية .

حدتو [١] ويرأسها هنري كورييل .. (يهودي) .

اسكرا [٢] التي تحولت إلى نحشم يرأسها ايللي شوارتز .. (يهودي) .

م . ش . م [٣] وترأسها أوديت وزوجها سلامون سيدني .. (يهوديان) .

الفجر الجديد أو د . ش. [٤] ويرأسها يوسف درويش (يهودي) وريمون دويك (يهودي) .

اللجنة المركزية الأولى للحزب الشيوعي اللبناني كان السكرتير العام فيها هو « جاكوب تيبر » يهودي جاء من فلسطين ليترأس الحزب [٥] ! .

---

(١) الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني رحل زعيمها الى الخارج قبيل الثورة وأعلنت حل نفسها بتاريخ ١٩٦٥/٣/١٥ .

(٢) الشرارة بالروسية ثم نحو حزب شيوعي مصري ، اندمجت في الحزب الشيوعي المصري ورحل زعيمها الى الخارج وأعلن حل الحزب في أبريل ١٩٦٥ .

(٣) صوت البروليتاريا وتحولت الى المنظمة الشيوعية رحلت زعيمتها وزوجها وانقرضت .

(٤) الديموقراطية الشعبية .

(٥) صفحات مجهولة .. محمد علي الزرقا ، والياس مرقص .

وبعد انتخاب القيادة الجديدة برئاسة بكداش أرسلت فرج الله الحلو إلى تل أبيب لتنسيق العمل .. واستقدمت اليهودي نخمان ليفنسكي كمستشار [1] .

وصحيح أن موقف الشيوعيين الخياني من قضية فلسطين ، يرجع إلى جهود هؤلاء المخلصين لصهيونيتهم ، الا أن هؤلاء اليهود ، ما كان يمكنهم أن يروجوا مثل هذه الأفكار بين المواطنين العرب ، الا وقد مهدت لهم « الأممية » الطريق ، لقد فسد الضمير الوطني عند الشيوعيين العرب ، بانكارهم القومية ، وانخداعهم بوحدة الطبقة ! فسهل عليهم قبول مثل هذه الكلمات ، بل ودخولهم السجن ، وتعليقهم على المشانق ، دفاعا عن الخبث الصهيوني الذي كان يكتبه زعماؤهم اليهود ، خيانة للوطن العربي ، ولمصلحة اسرائيل ! .

« ان الشعب العراقي يرفض باباء أن يحارب الشعب الاسرائيلي الشقيق » .

« لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود . بل للبرجوازية العربية العفنة » [2] .

وهو حتى لا يساوي فيقول : البورجوازية العربية واليهودية . وطالبت جريدة القاعدة في ١٩٤٨ : « ناضلوا في سبيل انهاء حالة الحرب ، واعلان تأليف الدولة العربية المستقلة الديمقراطية في القسم العربي من فلسطين » .

وأصدر الشيوعيون في العراق كتابا باسم « أضواء على القضية الفلسطينية » ، ينتهي بهذه الجمل : « فلتسقط الحرب بين العرب واليهود في فلسطين ... فليحيا التعاون والتحالف بين الوطنيين والديمقراطيين العرب واليهود ، لاحباط خطط الاستعمار والرجعية ، ولتحيا الصداقة العربية اليهودية » [3] .

---

(١) من كتاب « صفحات مجهولة » لمحمد علي الزرقا — الياس مرقص .

(٢) العدد ١١ من جريدة القاعدة . لسان حال الحزب الشيوعي العراقي « سرية » عام ١٩٥٣.

(٣) حقيقة الشيوعيين : خلدون ساطع الحصري .

وخلال المد الأحمر .. كتبت صحيفة « الانسانية » [1] الشيوعية العراقية ، تحت عنوان « مع الانسانية » :

« لماذا تعيق الصهيونية قضية السلام في الشرق الأدنى؟لماذا نرى بلدا صغيرا كاسرائيل مساحته ليست أكثر من جزء من ٥٤٠ جزءا من مساحة الأقطار العربية (مسكينة) لماذا نرى هذا البلد الصغير ينهج سياسة عدوانية تجاه العرب. من أين يأتي هذا العزم الحربي الذي لا يقاس بشيء، فهذه الدولة التي تمتد على رقعة ضيقة من الأرض بمحاذاة الساحل على عرض ٥٠ أو ٦٠ كيلو مترا ، أصبحت كبرميل للبارود السياسي .. من الذي يدفع اسرائيل إلى طريق المغامرات هذه .. ان شعب اسرائيل كشعوب العالم جميعاً يريد السلام ويكره الحرب » (!!)

وهكذا استطاع الشيوعيون اليهود أن يصلوا بالوعي الأممي في الأحزاب الشيوعية العربية إلى مستوى عجزت عنه الأحزاب الشيوعية [2] في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا .. فهذه الأخيرة أصرت على خوض الحرب الوطنية دفاعا عن وطن الآباء ، وألقت إلى الأرض بشعار الأخوة البروليتارية وقرارات شن الحرب على الحرب !

ان انعدام الاحساس القومي بفعل التخدير الأممي ، قد جعل الشيوعيين العرب يتصورون أن قيام دولة اسرائيلية اشتراكية ، أو حتى تقدمية في الوطن العربي كسب ثوري ، حتى ولو كانت على قطعة غالية من وطنهم ، وعلى حساب تشريدهم هم !

بينما نرى — وتؤيدنا خبرة الشعوب — أن شبرا واحدا من أرض الوطن أغلى من كل المبادىء والنظم والنظريات .. وان العبرة في التقدم والتخلف ليس الجنس البشري ككل ، بل تقدمي أنا وتخلفي أنا .. أي تقدم القومية المعينة

(١) بتاريخ ١٩٥٨/١٢/٢١ واسمها ترجمة للاومانيتية الفرنسية ! .
(٢) الاشتراكيون الديموقراطيون .

وتخلفها .. لذا لا يمكن أن نقبل افناء أمتنا لمصلحة التقدم العالمي ! .. وصدق شاعرنا :

اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

وصحيح أن الولاء الأبوي الذي كان يسيطر على الأحزاب الشيوعية في عهد ستالين ، قد لعب دورا في هذا الموقف المخزي للأحزاب الشيوعية العربية، من أكبر كارثة قومية واجهت بلادهم بعد الاحتلال الغربي .. وظهور الأحزاب الشيوعية . اذ أنه من المعروف أن عددا من الأحزاب الشيوعية العربية قد عارضت بالفعل مشروع تقسيم فلسطين ، ثم عادت فاعتذرت وأدانت موقفها وأيدت التقسيم ، بمجرد أن اتضح موقف الاتحاد السوفيتي ..

عندما قال جروميكو أمام الأمم المتحدة : « ان الدول الغربية قد أثبتت عجزها في الدفاع عن الحقوق الأولية للشعب اليهودي ، وهذا ما يبرر طموح اليهود إلى انشاء دولتهم بأنفسهم . ومن غير العدل ألا نوافق على هذا الطموح أو أن ننكر حق الشعب اليهودي في تحقيق ما يصبو اليه » (١) .

وسرعان ما التقطت الأحزاب الشيوعية الخيط ، وبادرت ، العلني منها والسري ، باعلان تأييد التقسيم ورفض الحرب ، مدعمة وجهة نظرها بالتفسير السوفيتي الذي أعلنه جروميكو ضد حرب التحرير العربية ، عندما قال : « ان الهجوم العربي على الشعب اليهودي المسالم يعتبر عملا وحشيا ضد شعب لا يريد سوى تقرير مصيره » (٢) .

لا أريد أن أطيل الحديث عن موقف الشيوعيين من اسرائيل ..

يكفي أن تتأمل موقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي لتعرف ان الشيوعيين العرب هم وحدهم الذين يجرون خلف سراب الأممية ! ..

---

(١) ١٩٤٧/٥/١٥

(٢) ١٩٤٨/١١/٦

ان مجرد قيام حزب شيوعي اسرائيلي يعتبر مخالفة صريحة للماركسية ، التي بموجب كل قوانينها ، تنفي وجود أمة اسرائيلية .. وليس هناك ما يسمى بالشعب الاسرائيلي حتى يمثله الحزب الشيوعي الاسرائيلي .. لأن هذا الشعب يتكون من مقاتلين عدوانيين ، حملوا السلاح وجاءوا غزاة إلى بلد لم يولدوا فيه ولا صلة لهم به .. ومع ذلك فان الحزب الشيوعي الاسرائيلي لا يكاد يخرج عن الخطوط الرئيسية للدولة الاسرائيلية ، ويخدم أهداف هذه الدولة عن طريق صلاته ونفوذه في الدوائر الشيوعية العالمية وتغريره بالشيوعيين العرب [1] .

ويضاعف من خطيئة الشيوعيين العرب في مأساة فلسطين أنهم كانوا في هذه الفترة ، الأحزاب الوحيدة ، التي يمكن وصفها بالجديدة ، وكان يمكنهم من خلال معركة وطنية صادقة لتحرير فلسطين ومنع تسليمها لليهود ، أن يبدأوا حرب تحرير شاملة ضد الاستعمار وتصفية نهائية للرجعية وأحزابها .. كان يمكن أن تبدأ الثورة العربية الشاملة من نقطة الحرب ضد الصهيونية .

ولكنهم استسلموا كالنعاج لتوجيهات قياداتهم اليهودية . فكانوا هم أول من سقط في المعركة ، وكان على الثورة العربية أن تشق طريقها بمعزل عنهم ، بل وبالرغم منهم .. ولا أمل في فهم صحيح من جانب الشيوعيين لقضية فلسطين ، ولا سبيل أمامهم لاتخاذ موقف يتفق وأماني الأمة العربية في هذا الشأن ، ما لم يتخلوا عن المفهوم الأممي ، ويضعوا مصلحة الأمة التي ينتمون اليها فوق مصلحة الطبقة ، ووحدة البروليتاريا العالمية ، فلا إخاء بين البروليتاري (العامل) العربي والبروليتاري اليهودي ما دام يقيم في اسرائيل .

---

(١) « ان الوطنيين العرب (في اسرائيل) وقعوا في خطأ كبير عندما ظنوا أن الحزب الشيوعي يتخذ مواقفه على ضوء السياسة التي تنتهجها دول المعسكر الشرقي تجاه القضايا العربية . لا سيما وأن تلك الدول تدأب على تأييد القضايا العربية. ولكن سرعان ما خاب أمل العرب عندما تضامن الحزب الشيوعي في اسرائيل مع باقي الاحزاب الأخرى في البرلمان اليهودي وشجب تصريحات والتر أولبرخت أثناء وجوده في القاهرة ، تلك التصريحات التي أعلن فيها عدم اعترافه بوجود الدولة اليهودية ، كذلك تحدث موشيه سنيه أحد زعماء الحزب عن عدم اعتراف الحزب الشيوعي اليهودي بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأعلن تضامنه مع بقية الاحزاب في محاربة أهداف منظمة التحرير » .
(عن أخبار فلسطين نقلا عن صحيفة اسرائيلية ١٩/٤/١٩٦٥)

خيانة الشيوعيين للوحدة

الخيانة الثانية التاريخية للشيوعيين ، هي موقفهم من الوحدة العربية ... وبالطبع هناك أسباب عديدة لهذه السقطة التاريخية ، التي نستطيع أن نقول عنها ، أنها لوت تطور المنطقة ، وحطمت مرحلة كاملة في تاريخ الأمة العربية ... مرحلة حاسمة ، أصيبت فيها القوى المعادية بضربة كادت أن تكون قاصمة . أفقدتها القدرة على التحرك ، أمام الزحف الذي لا سبيل إلى صده ، لولا أن سارع الشيوعيون العرب لنجدة أعداء الأمة العربية فمزقوا النصر ، وحطموا الزحف ، وبلبلوا الجماهير . وأعادوا التاريخ ، فعلا ، إلى الوراء .

نعم هناك أكثر من سبب[1] .. ولكن النقطة العقائدية التي تعنينا هنا ، والتي تشكل أسلوبا من أساليب الغزو الفكري .. هي مفهومهم « الأممي » .. جعلهم القومية العربية ، والوحدة العربية « تاكتيكا » لخدمة الأهداف الشيوعية ... بينما الأمم الناهضة ، تجعل كل المبادىء والنظريات والشعارات في خدمة قوميتها ووحدتها ومكانتها الدولية .

(١) قال هيكل : « ان النشأة الاولى للحركة الشيوعية في مصر وسيطرة اليهود الاجانب عليها ، سببت لها بعداً عن التيار الوطني المتدفق وأكاد أقول عزله عن هـذا التيار الوطني .. » « لم تستطع الحركة الشيوعية أن تستكشف حقيقة التاريخ العربي الواحد. والنضال العربي الواحد »

فما الذي حدث ؟ ..

في ١٤ تموز (يوليه) ١٩٥٨ . وصل الزحف العربي إلى قمته .. وبدا أن الوحدة العربية قد تخطت مرحلة الأحلام ، بل ومرحلة الكفاح .. ودخلت في لحظة التنفيذ .. بعد أن تجمعت لها كل عوامل النصر .

أصيبت القوى الاستعمارية — كما قلنا — بذهول المفاجأة مما شل تفكيرها ، وأفقدها الثقة في أي مقاومة من الداخل ، وأوشكت للحظات أن تستسلم [١] .. كان كل آمالها هو تطويق « الحريق » عن طريق الاحتلال العسكري المباشر في الأردن ولبنان .. وكلنا نعرف عبث الاعتماد على الاحتلال الأجنبي في مواجهة الشعوب .

وليس أكثر مرارة على نفس كل عربي من تخيل أي مستقبل كان ينتظر أمتنا ، لو قامت حقاً الدولة العربية الواحدة .. من العراق وسوريا ومصر ، جمهورية عربية واحدة ، بلا اتفاقيات ولا تعقيدات ولا ضمانات [٢] ... كان حلم الأجيال ، رعب أوروبا .. سيتحقق ..

كانت ستقوم للعرب دولة ، تستطيع أن تقفز إلى الصف الأول في العالم خلال عدة سنوات — بلا مبالغة — كانت الوحدة العربية الشاملة تصبح مسألة وقت ، ورهنا بإرادة دولة النواة .. كانت اسرائيل الآن ، مجرد ذكرى أليمة مرت بالعرب . !

ولكن ..

كان دون ذلك حرب الأحمر والأصفر .. أو قل حرب الحضارة البيضاء كلها .

وكان حتما أن تتحرك كل القوى المعادية ، كل قوى الحرب الأبدية

---

(١) كانت الصحف الامريكية تناقش فعلا مستقبل اسرائيل بعد قيام الدولة العربية الكبرى .

(٢) كتلك التي وضعت في ١٧ نيسان والتي لا يمكن أن تخلق دولة .. ولا حتى حلف أصدقاء .

التي عاشت على منع قيام دولة قوية عند بوابة آسيا وأفريقيا ..

اتحد الغرب كله ضدنا .. رأسماليه وشيوعييه .. فهنا قضية فوق المذاهب، وفوق الخلافات ، وفوق التفصيليات والتناقضات ..

أين هي الدولة الأوروبية التي تقبل قيام دولة المائة مليون عربي عند بوابة آسيا وافريقيا ؟ تحيط بالبحرين الأبيض والأحمر ، وتطل على المحيط الاطلنطي والخليج العربي ؟ . وتشكل جارا مرهوب الجانب لروسيا وأوروبا الغربية معا [1] ..

ان أكثر التفسيرات سطحية ، هي تلك التي تفسر موقف الاتحاد السوفيتي ، الذي وصل إلى حد الصدام مع القاهرة ، بأنه يرجع لحرص روسيا على نشر الشيوعية ! !

بالعكس ..
هل يعقل أن روسيا تريد على حدودها « صينا » أخرى ؟! ..
من ذا الذي يسعده قيام دولة قوية على مقربة من حدوده ؟!..
بل ان انزعاجه ليكون أشد لو كانت هذه الدولة من نفس نظامه الاجتماعي وترفع نفس شعاراته . ..

لقد قاوم ستالين بكل عنف ، فكرة ديمتروف في اقامة اتحاد سوفيتي بين بلدان شرق أوروبا .. ولعل العنف والمرارة اللذين صاحبا طرد يوغوسلافيا من الكومنفورم ، كان المقصود بهما هو وأد التفكير في قيام مثل هذا الاتحاد .. قد تقبل روسيا وجود عراق شيوعي ، او لبنان شيوعي ، ولكن دولة عربية من

---

(١) « ان التعامل مع كل واحد منكم على حدة .. أسهل من التعامل معكم وانتم متحدون » ن . س . خرشوف في تفسير كراهية الغرب للوحدة العربية في حفل اتحاد النقابات بالقاهرة .

المحيط إلى الخليج ؟! . فهذه .. مرفوضة أصلا ، ومرفوضة أكثر لو كانت شيوعية [1] !

التقت ارادة الخصومة الأبدية لحضارتنا العربية الاسلامية ، لمنع الوحدة العربية ، بمنع انضمام العراق للجمهورية العربية المتحدة ..

وكان الشيوعيون العرب هم الأداة المنفذة لهذه الارادة .. ولم يكن يصلح لها غيرهم ..

كنا قد سحقنا الاستعمار وأقاويله وأباطيله وأبواقه وعملاءه ، فلم يعد يسمع لهم أحد ، ولا يقبل منهم قولا .. كانت الآذان بحاجة إلى صوت جديد ، صوت خلعت عليه سنوات التعاون العربي — السوفيتي ، مسحة صدق ونبرة جد .. مما يجعله أقدر على التشويش والبلبلة ..

وجاء الشيوعيون ، ينسفون كل شيء .. بالمنطق الجاهز دائماً ، وبما لهم من رصيد بفضل التعاون السوفيتي — العربي [2] .

---

(١) « لقد كان هناك أناس تحدثوا هنا وسمعتهم يقولون : نحن عرب، نحن عرب ليتحد العرب، وما شابه ذلك » .

« والآن إذا نظرنا الى الأمور من هذه الزاوية فسيبدو الأمر كما لو لم يكن هناك سبب لنا نحن الروس لكي نبقى بين العرب . وان علينا أن نحزم أمرنا ونعود الى الوطن ، فنحن لسنا عرباً على أية حال . ان معلمنا وزعيمنا فلاديمير ايليتش لينين دعا أيضاً الى الوحدة . ولكن على أساس العمل ، على أساس طبقي لا على أساس قومي » .

ن . س . خرشوف في حفل توزيع
الأوسمة في اسوان ١٦/٥/١٩٦٤

اعتقد أن عقل خروشوف اللاواعي هو الذي نطق بهذه الجمل عن حزم الروس لحقائبهم ومغادرة البلاد إذا ما اتحد العرب .

(٢) هل يعقل أن الاتحاد السوفيتي لم يكن يعرف بالتعاون الشيوعي الانجليزي في العراق . وهل يعقل أن الاتحاد السوفيتي كان يصدق امكانية تحول العراق لدولة شيوعية ، ويستعد لقبول مخاطر هذا العمل ، وهو الذي رفض بصراحة «المخاطرة» بتأييد الثورة العراقية ضد التدخل الامريكي =

وما أكثر ما كتب ، وما أكثر ما قيل ، وما أكثر ما أريق من مداد أسود في تحليل الاستعمار المصري ! ووصف الوحدة بأنها توسع مصري ! وأن القاهرة هي عميلة الاستعمار الأمريكي .

لم يكن هجوم الشيوعيين ، يعكس خلافا سياسيا بين معارضة ونظام حكم.. فان مثل هذه المعارضة مرغوبة ومطلوبة دائماً .. ولكن معارضتهم كانت تهدف إلى نسف الوحدة من أساسها .

لو أن الشيوعيين كانوا حقاً يريدون الديموقراطية (وهم ألد أعدائها لايمانهم بديكتاتورية البروليتارية ، ولأن تاريخهم مع الثورات العربية ينقسم إلى مرحلتين متبادلتين .. مرحلة يحالفون فيها الرجعية ، ويدعون للديموقراطية الشكلية للقضاء على الثورة ، ومرحلة يرون أن اثبات ولاءهم للثورة يتجلى في معارضتهم لأي اتجاه ديموقراطي ، واتهام كل دعوة للنقد بأنها مؤامرة رجعية) .

لو كان الشيوعيون يريدون الديموقراطية ، لكان بوسعهم أن يدخلوا على الوضع العربي ما شاءوا من تعديلات ، بشرط واحد ، هو تمسكهم بالوحدة ودولة الوحدة .. ولكن الشيوعيين تحدثوا عن « مصري » ... و « سوري » . ! !

هم الأمميون مع اسرائيل وفرنسا وبريطانيا ! ... انقلبوا فجأة إلى إقليميين شوفينيين .. على أحط مستوى . هم الذين يؤمنون بأن كل ظاهرة مصيرها إلى زوال .. عرفوا الخلود وآمنوا به مرة واحدة .. بجمهورية قاسم الخالدة ! ..

=والبريطاني، مع أن الظروف المساعدة في مثل هذه الحالة أفضل ألف مرة من ظروف المخاطرة من أجل حكومة شيوعية في العراق ؟ . ألا يدل ذلك على أن الهدف كان منع الوحدة .. لا الاستيلاء على رقعة شيوعية !

لم يكن الخلاف الشيوعي على برنامج وطني ولا اجتماعي .. فليس من يصدق اليوم أن « راونتري » قد اشترى القاهرة .

والشيوعيون كما قلنا كانوا يعارضون الدعوة إلى الاشتراكية ويؤمنون بضرورة تشجيع الرأسمالية .. فهل كانت دولة الوحدة تدعو إلى الاقطاع ! ..

ولست أريد أن أقلب وأنقب في الصفحات السود ، ولا أن أعيد ذكرى الدماء الطاهرة ، فلذات أكباد الأمة العربية .. فما أمر على النفس ، ذكريات النصر الذي ضاع ! ..

ولكن من المهم أن نقارن بين عداءهم المحموم للقاهرة خلال كفاح القاهرة لتحقيق الوحدة العربية، وبين تأييدهم المسموم اليوم ، ومن حقنا اذن ان نستريب ونقلق لهذا التأييد ، فما دام الشيطان يثني علينا فلا بد أننا نغضب الرحمن ..

تأمل هذه العناوين .. وتخيل أنها في صحف شيوعية تؤمن بأخوة الجنس البشري :

استقالة الحوراني والبيطار والوزراء البعثيين .

٣٠٠ ضابط مصري يصلون سوريا .

اعتقالات جديدة في حمص وحماه .

ثم تقول الصحيفة الشيوعية : « تتفاقم الحالة في دمشق وباقي المدن السورية . والأخبار المتناقلة في دمشق ، أن الوزيرين عبد الغني قنوت ، ومصطفى حمدون قد اعتقلا بعد عودتهما من القاهرة مباشرة ، كما تتحدث أنباء عن اختفاء مشيل عفلق (حتى مشيل عفلق !) أما الخبر الهام الذي أثار الاستياء البالغ الشديد (! !) فهو قدوم ٣٠٠ ضابط مصري إلى دمشق (أثار الاستياء في اسرائيل ؟ ! !) وصلوا بالطائرات على عدة دفعات وفي يوم واحد ، وأتى هؤلاء الضباط ليحلوا محل الضباط السوريين الذين أبعدوا مؤخرا إلى القاهرة . وبدأ الناس يتحدثون

عن القضايا الأساسية الواجب حلها ... عن الحياة الديموقراطية والحريات ، وعن النضال ضد الاستعمار ، وعن وقف الغزو الاقتصادي المصري ، وتأمين العمل للعاطلين والخبز للجائعين [١]

اذا قال شيوعي أنه آمن يوماً بالقومية العربية ، فافقأوا عينه بما كتبه الشيوعيون..اذ كيف تستعمر أجزاء من القومية أجزاء أخرى.. هل يمكن القول بالغزو النيويوركي لفرجينيا ؟!.

ولمصلحة من تأسيس العداء بين الضباط السوريين ، والضباط المصريين ؟! ألا ينصحنا بعضهم بعدم الاثارة ضد اليهود لكي لا نربي الجماهير على انحرافات يصعب اقتلاعها في المستقبل [٢] ؟! .. فلمصلحة من . ؟! حتى اذا كنا نختلف مع نظام الحكم القائم في فترة معينة . لمصلحة من نسف أساس الوحدة القومية ، واثارة العداء بين أجزاء الأمة الواحدة ؟!

اقرأ .

سوريا تغلي سخطاً .

ضرب طلبة الجامعة السورية بالرصاص » [٣] .

« الوزير البعثي الرابع يقدم استقالته .. سوريا تشهد اعتقالات واسعة جديدة » .

« هذا وقد نشرت جريدة « الاوريان » (أنعم بها من مصدر لصحيفة شيوعية) الصادرة صباح أمس ، أن الاعتقالات شملت جميع المدن السورية كما أن مظاهرات قامت في حمص وحماه وحلب ، وأن اشتباكا حدث في

---

(١) اتحاد الشعب كانون ثان ١٩٦٠

(٢) أخبار اليوم « مقال اسرائيليات » ١٩٦٥ .

(٣) البلاد كانون ثان ١٩٦٠ .

تلكلخ وقع فيه بعض جرحى »[1] .

والوحدة .. أمل الشعوب العربية ، والتجسيد الحي لارادتها .. جعلها الشيوعيون هدفا استعماريا يتطلع إليه الاستعمار المصري (بنك مصر – عبود – الدفراوي) ويمهد لها الاستعمار العالمي . لا الشعب العربي !

« صوت الاحرار » الشيوعية تقول :

« تحشدات ايران على الحدود واذاعات مصر وتهديدات (...) حسين كل ذلك يؤدي بنا أن نرجع إلى الوراء قليلا .. لنستعرض الوضع في سوريا قبل الوحدة ، وكيف كانت تقوم تركيا بنفس الدور الذي تلعبه ايران ازاء العراق ، والدور الذي لعب في العراق في العهد المباد ، والدور التهديدي الذي لعبه الأسطول السادس ومقارنته بتهديدات الملك حسين ، واذاعات الدول الاستعمارية في سني الحرب الباردة ضد سوريا والاذاعات التهجمية التي تقوم بها الجمهورية العربية تجاه العراق الآن .

لقد كان الغرض من تحرشات الحدود التي تفتعلها تركيا نحو سوريا ، ومرابطة الأسطول السادس في لبنان هو اشعار الشعب السوري أنه في عزلة ، وأنه لا يستطيع منفرداً الدفاع عن نفسه بدون اللجوء الى دولة أخرى كمصر ..

وهكذا وفي ظل هذه الظروف ، نجح الاستعمار في بلورة مقاصده ، وأجبرت سوريا من حيث لا تدري على الخنوع لجمال عبد الناصر ، والانضواء تحت راية بنك مصر . ولكن ما دام الشعب العراقي قد وعى مقاصد الاستعمار ، والعيون تفتحت وكل فرد من الشعب شعر وفهم ، فلا يخفى شيء عن عيوننا ما زلنا يداً واحدة وشعباً وجيشاً متحداً .. فكلنا كتلة متراصة . وسنبقى رافعين راية التحرر والديمقراطية والاستقلال ... الخ »[2] .

---

(١) اتحاد الشعب كانون أول ١٩٥٩ .

(٢) مقال « الدور الذي لعبه الاستعمار في سوريا .. ويريد أن يطبقه في العراق ».. بقلم سعاد عبد المطلب الدجيلي ! .. صوت الاحرار ١٩٦٠/١/١١ ..

لم تكن القضية إذن وحدة أو اتحاداً .. كونفدرالياً أو فيدرالياً ، بل ضرب في جذور الفكرة ذاتها ، لنسف الوحدة من أساسها ، ومنع قيامها .. وهل كان يمكن أن يقول مثل هذا الكلام الا الشيوعيون ؟! ..

ثم يقولون إن الرجعية هي التي دبرت الانفصال .. ويتباكى الشيوعيون اليوم على الوحدة .. ونفس الكلمات التي روجوها ضد الجمهورية العربية المتحدة وجمال عبد الناصر عندما كان يعارض المخططات السوفيتية في العالم العربي ، نفس الكلمات أعيد تكرارها بعدما تحولوا الى تأييد مصر ..

فضد الوحدة العربية .. كانت ايران وتركيا (أي الحلف الاسلامي) تحشدان قواتهما لخدمة عبد الناصر ودفع سوريا للوحدة مع مصر !!

فلما انهارت الوحدة وتمزقت احلام الأمة العربية ، وبدا واضحاً خطورة المصير العربي ، عادت ايران وتركيا (الحلف الاسلامي) تحشدان قواتهما لضرب الثورة المصرية ، ومنع الثورة العربية !!

أمثل هؤلاء يُهتم بمنطقهم .. ألا يريب كل وطني شريف تأييدهم ؟! ..

إن كلمات المدح التي تنهال الآن على الحكم في القاهرة تثير الريبة حقاً . فالرأي الحقيقي للشيوعيين في نظام جمال عبد الناصر ، هو ما تعبر عنه الرسالة التاريخية للشيوعي عفيف البزري ، تلك التي بعث بها من براغ ، معقل الصهيونية ، كما اعترف الشيوعيون بعد ذلك ..

« أخي العزيز العقيد فاضل المهداوي

أطيب التحية

وبعد ، فأرجو معذرتي أن أكتب اليكم بدون سابق معرفة شخصية ، ولكن من الذي لا يعرف المهداوي ، وصوته الشريف الداوي المرعب للرجعية والاستعمار . ان ما قدمتموه وتقدموه من خدمات جليلة لأمتنا في فضح المستعمرين والعملاء ، سيبقى أبداً في ذاكرتي ، وقلب شعبنا على مدى التاريخ ،

فاهنأوا بما وفقتم فيه من ضرب الأشرار ، ومقاومة المستعمرين وأذنابهم الطامعين . لقد أغضبني كما أغضب كل حر شريف ، نبأ المحاولة المجرمة التي تعرض لها الزعيم البطل عبد الكريم قاسم . وتبين بعد هذه السلسلة من المحاولات التي تتعرض لها جمهوريتكم ، أن حكام القاهرة الفاشست ومن فوقهم الاستعمار يصرون إصراراً عنيداً لإطفاء هذه الشعلة الناطقة . شعلة الحرية لشعب العراق العظيم . وقد كان هؤلاء أنفسهم يتآمرون على حرية سوريا وديمقراطيتها في ظروف وأشكال أخرى ، إنهم لا شك يمثلون أبشع وأخبث رجعية عرفتها أمتنا العربية .. (ثم كلام لا يجوز نشره) .

« ألا أن تعرية العدو لا تكفي للقضاء عليه ،ودفع أذاه . ولا بد من مواصلة النضال لتحطيمه وازالته نهائياً من عالم الوجود (!!) (اذن ليست الرجعية ولا الاستعمار هي التي تآمرت على ازالة النظام الثوري من الوجود) وهذه غاية لا تتم الا بصيانة العراق بشكل حاسم من كل ما يتهدده من أخطار داخلية .. وفي هذه الحالة لا بد من اعلان التعبئة الشعبية والحفاظ على هذه التعبئة طيلة بقاء الفاشست والنفوذ الاستعماري في سوريا .. ان الشعب لا يخيف الا الرجعيين ، فيجب الاعتماد عليه بدون أدنى تحفظ ، فنحن نعيش في ظروف استثنائية . وستبقى هذه الظروف ما دام الخطر قريباً في سوريا .. فحذار من دموع التماسيح ، وحذار من عويل الغيلان . ان الرجعية [1] لو عادت لن ترحم شريفاً . ومثل سورياً والاردن وايران ، خير شاهد على هذا القول . لقد تفضل الزعيم ومنحني حق اللجوء الى العراق الحبيب منذ مدة (عندما فر من سوريا الوحدة الكريهة الى عراق قاسم الحبيب ! .) الا أن وقوع الجريمة البشعة الاخيرة دفعني للكتابة الى سيادة الزعيم لاهنئه بالسلامة من هذه المحاولة

---

(١) وهكذا ترى أن « كأس الرجعية » دوار .. وأن ما من حكم عربي الا وقد اتهم بها .

الدنيئة ، ولأرجوه في أن يشدد في اتخاذ الوسائل الفعالة لابعاد خطر هؤلاء الفاشست أجراء الاستعمار عن العراق . وهذا لا يكون الا بالعمل بكل جد لاخراجهم من سوريا . مع مراعاة الظروف الدولية الراهنة بالطبع ، لأن تخليص سوريا هو على كل حال شأن الشعب السوري (انجز مهمتك يا رفيق .. الكزبري والنحلاوي .. والآخرون الذين تعرفهم) [1] الا أن الدفاع عن استقلال العراق ، وحصانة هذه الجمهورية الفتية ، ورص صفوف أبنائها هو أكبر مساعدة لسوريا والعرب قاطبة .

أرجو أن تبلغوا الأخ العقيد ماجد محمد أمين تحياتي وإعجابي الشديد بوطنيته وبتفكيره النير . ولا أشك أنه خير رفيق لكم تتعاونون واياه في كل الملمات التي تعترض سبيلكم في هذه الظروف التاريخية ، كما انكما مع العقيد وصفي طاهر وكل الأشراف الطيبين في العراق خير عون وسند للزعيم الكبير عبد الكريم قاسم ، باخلاصكم واتحادكم وتنظيمكم .

وتفضلوا أيها الأخ العزيز بقبول أطيب تمنياتي ، وعميق تقديري واعجابي

عفيف البزري [2]

« ان واقع تيتو وعبد الناصر في الوقت الحاضر يثبت أن القوة الثالثة التي يدعوان اليها ، وينطقان باسمها ليست سوى أداة بيد الاستعمار العالمي ، ذلك لأن سياسة هذه القوة الثالثة هي ذات السياسة التي يسير عليها تيتو وعبد الناصر في علاقتهما مع بلدان المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي » .

« ولقد كان تيتو شريكاً لعبد الناصر وللاستعمار الأنكلو – أمريكي في

---

(١) يوم الانفصال المشؤوم . أعلن بكداش في بيونجيانج . « اذا سقطت أعلام القاهرة .. ترتفع رايات الاشتراكية » الكاتب ديسمبر ١٩٦٤ .

(٢) عن صوت الاحرار ١١ كانون ثان ١٩٦٠ .

المؤامرات التي دبروها ضد جمهوريتنا الفتية [1] ، وعلى الأخص مؤامرة الشواف القذرة .

لقد التقت سياسة عبد الناصر الحاضرة بسياسة الاستعمار ، فوضع يده بأيدي المستعمرين في كل محاولة أرادوا بها قهر جمهوريتنا الديموقراطية وتحطيم كياننا الجديد ، وراح يتعاون مع فرنسا الباغية (!!) التي تشن أبشع حرب على اخواننا في الجزائر . ويتغاضى عن مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس.. ويحجم في صحفه واذاعاته حتى عن ذكر كلمة واحدة تخدش أسماع اسرائيل ، بل وأكثر من ذلك يترحم على (دلس) ويعزي بوفاته ، ويوحي بكتابة المقالات المطولة التي تثني على عبقريته .

ان اتضاح حقيقة تيتو وعبد الناصر قد فضح واقع القوة الثالثة التي يدعوان اليها ، فقد ثبت بما لا يقبل الجدل (!) أن هذه القوة انما هي عون للاستعمار وحده ، وهذا ما جعل الهند واندونيسيا تبديان بروداً كبيراً ازاء محاولات عبد الناصر لعقد اجتماع يمثل هذه القوة الموهومة » [2] .

« والمؤامرة الجديدة تلوح في الأفق » ..

« ومنذ حلول الذكرى الثانية لالحاق سورية بمصر ، وعبد الناصر يطوف بسوريا ، وينثر الخطب بلا حساب (كلام لا ينشر) ومعلناً اصراره (.....) على فرض (الوحدة العربية الشاملة) على جميع الأقطار العربية ، من المحيط الى الخليج » [3] .

ما لوش حق ! .

« ان تطور الأحداث السريع في البلدان العربية منذ ثورة الرابع عشر من

---

(١) جمهورية قاسم – طه الشيخ أحمد !!

(٢) افتتاحية صوت الاحرار ٢٧ مايو ١٩٥٩ .

(٣) افتتاحية اتحاد الشعب . صحيفة الحزب الشيوعي الرسمية ١٩٦٠/٢/٢٥

تموز المجيدة ، وجميع الدلائل المتوفرة تدفعنا الى الاعتقاد الجازم بأن محور القاهرة — عمان — الرياض ، الجديد ، سيدير عجلة القيادة في هذه المرحلة الحاسمة من كفاح العرب التحرري باتجاه تصفية القضية الفلسطينية نهائياً لصالح اسرائيل ، ولصالح الاستثمارات الأمريكية التي تسعى لايجاد مجالات جديدة لتوظيف رساميلها ، وكذلك تسوية القضية الجزائرية بشكل يضمن تغطية الاستعمار ، الفرنسي الغادر . ان تسوية هاتين المشكلتين الخطيرتين في دهاليز قصر الاليزيه وقصر الجمهورية وعابدين .. الخ .. وفي الجلسات السرية في مؤتمر الدار البيضاء ، انما هو امتداد للسياسة الاستعمارية المعادية لمصالح الشعوب العربية كافة » .

نعم ! .. كان الشيوعيون يعارضون الوحدة أساساً ، وليس لأن لهم اعتراضات على شكل الحكم ، ولا حتى ، حرصاً منهم على نشر الشيوعية ..

واذا كان المفهوم القومي يضع وحدة الأمة فوق كل التفصيليات .. فان البرنامج الثوري يرى أن تحقيقه أكثر احتمالا في ظل الوطن الموحد منه في ظل التجزئة .. اذ أن اتحاد الطبقة العاملة يسهل مهمة الحزب الشيوعي ، واختفاء التناقضات بين الرأسماليات العربية ، يسهل مهمة العمل الثوري ، ويضعف ارتباطات القوى الشعبية بالقوى المحافظة الاقليمية .

وحتى لو كانت الوحدة ستحقق « وحدة رأسمالية » فهذه خطوة تقدمية تعقبها الثورة الاشتراكية ، وتمهد الطريق لها .. اذا كانوا يؤمنون حقاً بحتمية الثورة الاشتراكية .

فكيف يمكن لمؤمن بالوحدة العربية ، أن يعارض حتى الوحدة الاقتصادية؟ هل هناك أي مصلحة تقدمية أو ثورية أو تحررية في استمرار الشرائح الاقتصادية المتماثلة والمتنازعة والضعيفة في نفس الوقت ، المكونة للاقتصاد العربي ؟!

لمـــاذا ؟ .

لنفرض ، وهو فرض خيالي أثبتت تجربة الوحدة القصيرة أنه خاطىء وأن عكسه هو الذي يحدث ، ومع ذلك .. لنفرض أن الوحدة تعني تغلب الرأسمالية الأقوى على الرأسماليات الضعيفة في العراق وسوريا والأردن .. الخ .. فلماذا يعارض الشيوعيون ؟ هل انقلبوا الى حماة الرأسماليات العراقية والسورية ؟!

وماذا قال الشيوعيون ؟!

« وكان أخطر اقتراح بذلت محاولات لاقراره ، هو وضع مشروع « الوحدة » الاقتصادية موضع التنفيذ ، على أن تعالج « المشاكل الفرعية » التي ستنجم عن هذه الوحدة فيما بعد . غير أن هذا المشروع المبتسر لم يكتب له النجاح ، وقد وقف الوفد العراقي حياله موقف المعارض بالنظر لاختلاف الظروف الموضوعية والذاتية بين مختلف البلدان العربية ، وما يتبع ذلك من اختلاف واقعي بين مصالحها المادية في الظروف الراهنة ، لا يمكن تجاهله .

وقد عكس موقف وفد العربية المتحدة في هذه المسألة جوهر سياسة حكم القاهرة في قضية « الوحدة » العربية التي يسعون لفرضها بالقوة ، بصرف النظر عن الظروف الموضوعية والذاتية الراهنة لكل بلد .. بل ان موقف وفد العربية المتحدة قد عكس بوضوح المصالح المادية « الاقليمية » ومن ورائها المصالح « الطبقية » ممثلة بأطماع الرأسمال المصري الاحتكاري بالدرجة الأولى وهي التي تخدمها فلسفة حكام القاهرة ، وتعبر عنها دعواتهم ونشاطاتهم المختلفة ، بما في ذلك النشاط التآمري وحتى « الاغتيال » .

اننا نرى أن السياسة الاقتصادية العربية الصحيحة التي تقتضيها مصلحة كل بلد عربي ، كما تقتضيها مصالح الأمة العربية كلها ، هي سياسة التضامن المخلص النزيه والتنسيق الاقتصادي بين البلدان العربية بصورة تضمن مصالح وأسباب تطور وازدهار كل بلد ، وانتهاج سياسة اقتصادية وطنية مستقلة ، بعيدة عن

التبعية الاستعمارية ، في التجارة والصناعة والمال ، وينبغي التأكيد على أن أي مسعى مبتسر لفرض « وحدة » اقتصادية بين البلدان العربية في ظروف من التجزئة السياسية ، والتعاون (ربما التباين) في التطور المادي والتباين في الظروف المادية ، وحتى في العادات والثقافات (ماذا بقي لنكون أمة ؟ !) ان مثل هذا المسعى يستهدف كما هو واضح استئثار البورجوازية الاحتكارية المصرية ــ الأكثر تطوراً ــ بالثروات الاقتصادية للبلدان العربية ، على حساب تجاهل مصالح الشعوب العربية ، بما فيها مصالح أرباب الصناعات والتجار والماليين الوطنيين في البلدان العربية الأخرى ، ويلحق أبلغ الضرر كذلك بالعلاقات السياسية والروابط الأخوية بين البلدان العربية الشقيقة »[1] .

يا للعـــار ؟ .

كيف انقلب الأمميون .. الى حزب بورجوازي مدافع عن مصالح الماليين والتجار وأرباب الصناعات ؟! .

لأن الأممية عندهم هي خدمة المصالح الأجنبية المعادية لأوطانهم . وهم من هذه الزاوية أخطر أسلحة الغزو الفكري ، فإن خبرتنا المريرة مع الاستعمار الغربي ، تجعل مثل هـــذه الكلمات منه أو مـــن عملائه لا قيمة لها .. بل بالعكس . تحدث أحياناً رد فعل عكسي .

أما من الذين يعرفون جيداً أن الوحدة الاقتصادية هي قاعدة الوحدة السياسية ، فإن معارضتهم لهذه الوحدة خيانة ، والأسباب التي يتذرعون بها عار ! .

إن بذرة الحركة الشيوعية في الوطن العربي فاسدة أصلا .. وأقوى أسلحة الغرب ما كانت لتستطيع أن تغزو القلعة العربية مثلما فعلت الماركسية إبان لحظة حاسمة في تاريخها ..

وكلما ذكر العرب على مر السنين والقرون ، حلم الأجيال الذي أشرق

(١) افتتاحية اتحاد الشعب : ١٩٥٩/١١/٢٤ .

عليهم في صبيحة الرابع عشر من تموز .. فأحاله الشيوعيون الى كابوس مرعب .. سيلعنون الذين هدموا بأيديهم ما بنته أمتهم . وكانوا أول الخاسرين ! .

واذا استطعنا أن ننسى دماء الماضي فلا يسعنا الا القلق على المستقبل والحذر لما تبادرنا به الماركسية ومعتنقوها .. لأن الشيوعيين حتى الآن ، لا يريدون أن يعترفوا بجريمتهم ضد الوحدة .. بل يعلن راديو موسكو : « اجتمع ممثلو الشيوعية في بلدان المغرب والمشرق العربي في كانون الأول من عام ١٩٦٤ ، وأجروا تبادلا موسعاً ومقنعاً لآرائهم وتجاربهم ، واستعرضوا النهوض المتعاظم للحركة الثورية ضد الاستعمار في سبيل السلم والتحرر الوطني والديموقراطية والتقدم الاجتماعي (لا اشتراكية) على مستوياته المتفاوتة في جميع البلدان » .

ثم نصل الى المادة ٤ من قرارهم حيث يقولون : « ان المجتمعين اذ ينظرون باغتباط الى انتصارات الحركة الثورية في عدد من البلدان العربية يلاحظون بأسف أن الانتكاسة العميقة التي تعرضت لها الثورة العراقية قد دلت على أن العامل الرئيسي في نجاح انقلاب الردة الرجعية في شباط سنة ١٩٦٣ كان كما تبين من الوقائع ومن تجربة الحزب الشيوعي العراقي، هو الانقسام في صفوف القوى الثورية والوطنية فضلا عن قمع الديموقراطية وقوة مواقع الاستعمار في العراق»[١]

هذا هو رأي الشيوعيين العرب .. وواضح أننا نتكلم بلغتين كما يقول لنين .. ولا سبيل للقاء بيننا وبين الشيوعيين .. ما داموا مصرين على هذا الفهم !

فالأمة العربية ترى ثورة شباط ١٩٦٣ يوماً من أيام العرب المجيدة ، أزيح فيه كابوس مجنون عدو للعروبة عميل للاستعمار ، وانهار فيه نظام بشع يقوم على تفتيت قوى الشعب ، وتدمير كل القوى التي تبني المصير العربي ، ويعمل على إثارة عوامل الضعف التي تكفل استمرار حكمه ، بل وأيضاً إصابة الأمة العربية بالشلل لسنوات عديدة بعد زوال كابوسه .

---

(١) راديو موسكو الساعة ٨:١٥ توقيت القاهرة ١٩٦٤/١٢/١١ .

ثورة شباط هذه عند « ممثلي الشيوعية في بلدان المغرب والمشرق العربية » .. « انقلاب الردة الرجعية » وسقوط قاسم « نكسة » ؟ ؟ ! .

نريد أن نعرف مكسباً واحداً حققه حكم قاسم ، حتى يعتبر سقوطه نكسة ؟ هل علانية العمل الشيوعي هي مقياس التقدم والانتكاس ؟ أليس ذلك مقياساً مغرقاً في الذاتية ؟ .

ومع ذلك .. ألم يكن قاسم يمتهنهم ، واصطنع لهم حزباً مباحثياً ، ورخصه وحده باسم « الحزب الشيوعي » ، ورفض الترخيص للحزب المعتمد من الأممية رغم صدور الشهادات له من الدوائر الدولية ؟ ! ألم يكن في سجون العراق مئات منهم .. يوم سقوط قاسم ، ومصرعهم تحت أسوار قلعته في وزارة الدفاع ؟ . ألم تكن محاكمه تشهّر بهم ، ويسلط عليهم الصحف تنهش أعراضهم؟

لماذا يكون سقوط قاسم نكسة ؟ ! وبأي منطق يواجه الشيوعيون المواطنين العرب ؟ .

وبعد فأحسبني قد أوضحت لماذا نرفض الماركسية .. ذلك لأنها ضرب من الغزو الغربي لحضارتنا باعتبار أن الحضارة الغربية الصليبية التي تنقسم الى كنيستين ، الكنيسة الغربية ، والكنيسة الشرقية الأرثوذكسية .. كلتاهما خاضتا الحرب ضد الاسلام والعالم الاسلامي ، واقتطعتا من الوطن الاسلامي ما قامت عليه امبراطورياتهما .. كلتاهما خاضتا الحرب ضدنا : تحت أعلام الكنيسة ، ثم تحت أعلام الديموقراطية والشيوعية .. والحرب واحدة ، والهدف واحد ..

وأحسبني قد أوضحت أن الماركسية غير قادرة على أن تشكل مجتمعاً ماركسياً في العالم الاسلامي .. لأنها لا تقدم له جديداً يبهره ، ولا تنبع منه أو تمت له بسبب .. ولأنها أتت لهذا العالم – والعربي منه على وجه الخصوص – في عشية زوالها .. بعد أن انهارت أسطورة سيادتها على العالم كما كان البعض يتنبأ لها .. فاذا بها تتصدع وتنهار قبل أن تنتهي السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن العشرين .. القرن الذي كان يسميه الشيوعيون قرن انتصار الماركسية ! ..

بل أصبحت أنباء العالم الماركسي تكاد تنحصر في اكتشافاتهم لفشل النظرية وانتصارهم عليها .. وعبقريتهم في التخلص منها ! .. والثابت من أقوالهم

الآن أنهم زيفوا علينا طوال هذه السنوات ، وأن أخطاء فظيعة قد ارتكبت ..

ومن هنا فقد سمعت تساؤلا عن سر اهتمامي بنظرية تسير الى الأفول ؟! ..

وفي اعتقادي أن خطورة الماركسية الحقيقية بالنسبة لنا ، انما تكمن في الأثر التدميري الذي تمثله ضد مقومات حضارتنا وتخريبها لعقول الأجيال المقبلة .. مما يتركها فريسة للفكر الغربي الأكثر اغراء وخبثا ، والأعرق في التضليل ، لقشرة الديموقراطية والموضوعية التي تغلفه .. ولتعدد أوجهه مما يتيح للناشىء وهم الاختيار الحر ! ..

ولما يشد أزره من تفوق مادي ساحق ، تحقق بنهب الشعوب بوحشية نادرة ولكنه يفسر الآن على انه دليل تفوق العقلية الغربية ومنهجها في التفكير ..

وهو كذب ..

ولكنه ينطلي على عقول الكثيرين ..

وهذا يفسر لجوء الصليبيين الخبثاء ، إلى محالفة الماركسيين ، بل والاعتماد على التفسير الماركسي في مهاجمة معاقل الفكر الاسلامي والعربي .. وإغراء حراسه على ترك مواقعهم .. لتأتي قوات الاحتلال الحقيقية العاملة لحساب الغرب .. فتحتل المواقع وتسبي الشعوب .

وقد سألني البعض لماذا لا أفرد فصلا أو حتى كتابا لتفنيد الماركسية كنظرية .. وجوابي أن التاريخ والماركسيين قد تكفلوا بذلك .. ومهما كتبت ضدها .. فلن أنال منها قدر ما يفعل أبناؤها اليوم .. غير أني أقول أنه لم يعد هناك ما يسمى بالنظرية العامة للاشتراكية .. وأن الماركسية قد أخذت مكانها في المتحف ، كأحد التفسيرات للتطور الانساني ، التي لعبت دورا حاسما وهاما في تاريخ الجنس البشري .. بل وكانت قوة دافعة للشعوب في تحررها .. ثم رحلت مع غيرها من أحلام الفلاسفة واكتشافاتهم العبقرية ..

واذا كان ثمة مجال لمناقشة الماركسية وتحليلها كنظرية فذلك مجاله الجامعات

ودور البحث الاكاديمي .. ولكنها لا تعني أحدا الآن ، لأنه لا يبشر بها أحد ولا يطبقها ..

انما الذي يعنينا هو سلوك الماركسيين الذين يوجهون سياسة عدد من الدول، ويشكلون قوى سياسية لها وزنها في عدد آخر ..

وأحسبني قد أوضحت أهمية فهم هذا السلوك لتحديد مكاننا وتوجيه خطانا في دروب السياسة العالمية ولمواجهة تأثيرات الصراع المتغير بين هذه الدول المنتمية للماركسية .. وبين الدول المعادية للماركسية ..

أي بين ورثة الكنيسة الأرثوذكسية في اوروبا وبين الديموقراطيات الغربية ورثة الكنيسة الغربية وانشقاقاتها ..

هذا الصراع الذي يحكمه عاملان :

- وحدة الكنيستين في مواجهة الاسلام ، والشعوب غير البيضاء ..
- وتناقضهما في نفس الوقت ، وتنافسهما على سيادة هذه الشعوب الملونة واسترقاقها ..

وفهم الماركسية والماركسيين ضروري أيضاً ، لمواجهة آثار اختفاء وحدة المعسكر الشيوعي واحتمالات الصراع المحتدم بين الشيوعيين البيض والشيوعيين من الشعوب غير البيضاء ..

كذلك فاننا في العالم العربي ، نحتفظ بذكريات تجربة مريرة مع الشيوعيين العرب ، لأنهم لانعدام جذورهم القومية ، لم يكونوا أكثر من امتداد فكري للشيوعية العالمية ، مع تأثيرات صهيونية .. واستعمارية .. وبالذات بريطانية .. (ويبدو انها تتحول بسرعة إلى أمريكية) ثم بعد انقسام العالم الشيوعي إلى شيوعية أوروبية بيضاء وشيوعية ملونة ، تأكد طابع التبعية في الشيوعيين العرب بانحيازهم في غالبيتهم للشيوعية البيضاء .. وتصور الأقلية .. أنهم بتبعيتهم للصفراء انما يعكسون موقفها ، وهو تصور موغل في الخطأ ..

ومن ثم كان علينا أن نواجه الفكر الماركسي والسلوك الشيوعي في الوطن العربي بالنقد .. حتى لا نقع في تجربة مريرة أخرى كتلك التي دفعنا ثمنها في فلسطين وفي العراق وسوريا وفي السودان والجزائر ..

ومنذ سنوات عديدة ، ونحن نصر على تعبير « تنبع من واقعنا » ولم نأبه بدهشة المستدهشين ولا سخرية المثقفين .. إلى أن قادنا الفكر الحر والموقف القومي إلى ضرورة التأكيد على المفاهيم الاسلامية ..

وقد أثبتت الأيام أننا كنا على حق في موقفنا .. فان الذين خاضوا غمار الحرب ضد الشيوعيين دون الاستناد إلى فكر مستقل ، ودون ايمان حقيقي بخصائص الحضارة العربية ، وتفوق الاسلام .. سرعان ما سقطوا فريسة المنطق الماركسي .. واستعاروا كلمات الماركسيين وتحليلاتهم ، فحكموا على أنفسهم بالافلاس والفناء في جوف خصمهم الذي قاتلوه ..

وأحرى بجماهيرهم أن تسألهم : فيم كانت الدماء التي أريقت ، والشهداء والضحايا .. إن كانت النهاية حلفا مع الشيوعية ؟!. أو استعارة لكل ما كانت تقوله ؟ .

أما الذين انتهزوا فرصة وجود الشيوعيين في المعتقلات فتاجروا بكلماتهم ، وتباهوا بنظريتهم ، على « غير المثقفين » الذين يتحدثون عن « تنبع من واقعنا ».. هؤلاء قد روعوا بخروج أصحاب التوكيل الماركسي .. الذين طالبوهم بالتنحي ، وبما حصلوه نتيجة استغلال اسمهم وشعاراتهم ..

وقد حاول المتجرون بالفكر الماركسي أن يستمدوا الشجاعة من أمل راودهم بأن الماركسيين ولو في البداية سيحتاجون إلى بضع لافتات يتحركون خلفها ، ومشاجب يعلقون عليها خططهم .. إلى برادع لها من المواصفات القانونية ما يمكنها من العمل باسم الشيوعيين ..

ولكن الصدمات توالت على المتجرين .. اذ تبين أن صاحب التوكيل لا يقل

سعارا عنهم في طلب المكاسب والمناصب والنضال ! .

وتبين المتجرون ، أن عليهم إما قبول دور التابع وإعطاء أبطال الكفاح مكانتهم .. وإما أن يحملوا عنا راية الكفاح ضد الشيوعية .. وهم على الأغلب سيفعلون .. بل بدأوا بالفعل ..

وسيكون من متعنا القليلة في هذه الدنيا .. ان نراهم يصرون على اشتراكيتنا التي « تنبع من واقعنا » و « اليسار غير الشيوعي » .. يوم تنتابهم هيستريـا « الخطر الشيوعي » ..

غير أني أطرح هنا .. وبعد عام عاصف ، وقفت فيه وحدي ، أتلقى ما يزعزع ايمان الصخر ، وما يفتت تماسك الجلمود .. لولا رفيق سبق على الطريق .. بل معلم وقائد وصحابي جليل .. كان لا يكرر الا كلمة واحدة .. « أحد .. أحد .. » لخص فيها سمو الاسلام وتفوق من يؤمن به ..

وقانا الله شر الغرور .. وألهمنا الايمان والصبر على السراء قبل الضراء .. ففتنتها أكبر ..

أقول اني أطرح الآن .. فكرة الالتقاء مع الماركسيين العرب .. بشرط واحد هو أن ينبعوا في سلوكهم السياسي من واقعنا .

فلأننا طرحنا جانبا قضية النظرية .. نحدد موقفنا على أساس السلوك السياسي .. ونرى أن شيوعيا مثل شوان لاي يرفض استخدام الحروف اللاتينية في كتابة اللغة الصينية .. وحجته في الرفض أن هذا الاجراء سيقطع صلة الصينيين بتراثهم ..

مثل هذا الشيوعي هو أقرب إلى تفكيرنا من عدو للشيوعية يطالب بهذه الحروف للغتنا العربية ..

فليس ما يحكم سلوكنا هو شيوعية الآخرين بل موقفهم من قضايانا .. وهنا يثور سؤال ..

أما زال أمام الشيوعيين فرصة عمل في الوطن العربي ؟ .

أود أن أبادر فأقول .. لا .. وأنه من السخف أن يعتنق المرء الشيوعية ، في وقت يتجه فيه الشيوعيون إلى خلعها في الدول الشيوعية ذاتها ..

ولكن .. ما العمل في بقايا التاريخ .. وهي دائماً ظواهر تثير الرثاء ، والألم، والتعقيدات أيضاً ..

وما العمل إلى أن تتبلور حركة اسلامية وتفرض نفسها على السياسة العربية من المحيط إلى الخليج ..

ما العمل ؟ ..

اذن يمكن القول بوجود فرصة عمل للشيوعيين شرط أن يفهموا حدودهم وواجباتهم ، فليس من يطالبهم اليوم بتطوير الماركسية ...

سعيكم مشكور ..

دعوا هذه المهمة لأصحابها .. وطوروا أنفسكم فهذا يكفي ..

وبدلا من الترقيع والتلفيق ، وإجهاد النفس في كتابة الحيثيات الماركسية لكل ما تتخذه السلطات من إجراءات ..

وفروا جهدكم .. فإن أحدا لا يطالبكم به .. وكونوا أكرم لأنفسكم بأن تفتشوا عن دور حقيقي تمارسونه ..

واسمحوا لي أن أقترح دورا يمكنكم أن تلعبوه .. وأن تمهدوا به للقاء مع القوى القومية الشريفة .. وتخدموا به بلادكم ..

● فضح وكشف الفكر الغربي .. فمن المؤسف – وان يكن من غير المستغرب – أنهم الآن أقوى المدافعين عن الحضارة الغربية وكل ما فيها حتى اللامعقول !

● التصدي للمبشرين وفضح نشاطهم ،، فذلك يخدم أهدافكم المادية .. بدلا من هذا الحلف المريب بين المبشرين والماركسيين العرب .. فإننا لم نقرأ

لكم جملة واحدة ضد نشاط المبشرين الأمريكيين والانجليز والفرنسيين بالرغم من أن هؤلاء جواسيس يعملون لحساب الدول الاستعمارية الكبرى .

● ممارسة نشاط عالمي بين الأحزاب الشيوعية والحركات الاشتراكية .. ضد اسرائيل ووجودها ، فاضحين حقيقة هذه الدولة ومنافاتها للاشتراكية العلمية (وهنا لا نمانع في أن تكون الاشتراكية العلمية هي الماركسية) ومعاداتها للسلام وحركة تحرر الشعوب . وخطرها على الشعوب العربية ، والدول العربية الصديقة للمعسكر الاشتراكي . والمناضلة ضد الاستعمار فاضحين الحزب الشيوعي الاسرائيلي .. موضحين ان وجوده والاعتراف به يتنافى مع الماركسية اذ لا يوجد شعب اسرائيلي ولا أمة اسرائيلية يمثلها هذا الحزب .. كما لا يجوز أن يوجد حزب شيوعي في الفرقة الأجنبية يسمى نفسه حزب الفرقة الأجنبية ! .

هل نقترح على الشيوعيين أن يدعوا الدول الشيوعية والأحزاب الشيوعية الى اتخاذ موقف أكثر حزما من اسرائيل بقطع العلاقات معها ومنع اشتراكها في المؤتمرات وإلغاء جمعيات الصداقة مع اسرائيل ووقف عرض أفلامها وكتبها .. والا فليعترفوا أن الروابط الاسلامية والعربية ، أكثر علمية ، وفعالية من الأخوة الاشتراكية ووحدة الشعوب . لأن هذه الروابط تجعل شيوخا وسلاطين وخانات يقفون من اسرائيل موقفاً أكثر حزماً وأكثر عدالة وأكثر علمية .. من دول شيوعية وأحزاب شيوعية .

ان الدول العربية لا تملك إلا أن تشكر بالامتنان للدول الشيوعية بعض مواقفها ضد اسرائيل في المجالات الدولية وفي البلاغات المشتركة ..

ولكن دور الأحزاب الشيوعية باعتبارها في الجانب غير الرسمي ، وبما لها من دالة على الدول الشيوعية تستطيع أن تخدم عروبتها بالمطالبة بخطوات أبعد من أجل تصفية رأس الجسر الاستعماري ، والكيان الذي لا يتفق مع المنهج الماركسي .. وعندما تأتي المطالبة من الشيوعيين فلن تثور شبهة السعي لاحراج

الدول الشيوعية أو إفساد علاقتها معنا..ومن ثم تخدم العروبة والاشتراكية معاً!..

• نقترح للشيوعيين أن يكافحوا من أجل خلق قيم جديدة للعلاقات الاقتصادية .. بين الدول الاشتراكية وبعضها .. وبين الدول الاشتراكية من جانب والدول المتحررة من الجانب الآخر ..

فليطالبوا بتحطيم خرافة السعر العالمي .. وهو السعر الاحتكاري الذي فرضه الاستعمار ، ويتم وفقاً له تبادل السلع المصنوعة بالمواد الخام .. على نحو يضمن للمحتكرين استنزاف ثروات الشعوب المنتجة للمواد الخام ..

تلك القضية التي أشار اليها جيلاس فسجن وجيفارا فاختفى [1] . وتتحدث عنها الآن الصين وكوريا ورومانيا ..

فمن العار أن تشتري الدول الشيوعية وتبيع بما يسمى السعر العالمي ، علما بأن هذا السعر قد حددته الاحتكارات الاستعمارية الرأسمالية .. وقد آن أن يوضع معدل جديد للتبادل العالمي ، يقوم على أسس خالية من الاستغلال . فان ظهور هذا المعدل كفيل بتحطيم العلاقات الرأسمالية القديمة وإحلال العلاقات الاشتراكية على النطاق العالمي ..

وهو أكبر نصر يمكن ان تحققه الاشتراكية في حربها ضد الرأسمالية الغربية. وهو تغيير ثوري بعيد عن سياسة الاغراق التي مارستها بعض الدول الرأسمالية، وتلجأ اليها احياناً بعض الدول الاشتراكية لاقتحام سوق مقفلة .

لا ...

نريد علاقات عامة نابعة من رغبة أكيدة وصريحة في القضاء على الاستغلال بين الأمم كما قضي على الاستغلال بين طبقات الأمة الواحدة ..

صحيح أن ربح الدولة الاشتراكية الصناعية سيقل ، ولكن معدل نمو الدول المتخلفة سيكون أسرع .. وصحيح أن منافستها في الأسواق العالمية للدول الرأسمالية التي تنهب الخامات ستكون أصعب .. ولكن من قال .. أن مستقبل الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية يقوم على طرح سلع بسعر أقل ! .

---

(١) ثم قتل (ج)

أليس نمو الدول المتخلفة هو المعجل بزوال النظام الرأسمالي العالمي ؟ .

ومن يستطيع أن يحمل شعار « من أجل تبادل اشتراكي » إلا الشيوعيون من الشعوب المنتجة للمواد الخام ؟! .

فليتركوا لنا نحن غير الشيوعيين فرصة الثناء على المساعدات «غير المشروطة» ، « وغير الأنانية » ، « والأخوية » التي تقدمها الدول الشيوعية للشعوب المتحررة ، فان الثناء من فمنا نحن أعذب وأوقع .

أما هم فليطلبوا المزيد لبلادهم .. فليحرضوا رفاقهم الشيوعيين على أن يدفعوا أكثر ، ويضحوا أكثر لتحرير كل « الجنس الحي » .

ونحن في صراعنا المصيري ضد الغرب الذي رفض أن يعطينا أو أن يبيعنا .. نذكر بالامتنان موقف الذي أعطانا .. وسندفع له بالكامل أقساط ما أعطانا وأرباح أقساطه .. وشكرنا العميق ..

أما الشيوعيون فيجب أن يكون لهم موقف آخر .. عليهم أن يسعوا لكي تتفوق أخوة الشعوب على تضامن العصابات وترابط الاستعماريين الاستغلاليين .

فليس من المعقول أن تعطي المانيا الغربية اسرائيل السلاح للغدر والعدوان بلا مقابل .. ثم تضن الشعوب الاشتراكية على شقيقاتها الشعوب المتحررة بمثل هذه الهدية للذود عن السلام وتحرير الشعوب وتحطيم قواعد العدوان التي كانت وما تزال تعد لضرب نفس هذه الشعوب التي تبيع السلاح .. وبالأرباح ! .

ليكن هذا السلاح هدية ..

ولكن ..

من الذي يقولها ؟ .

أنا ؟! . اذن فسأتهم بأني أسعى للتقليل من المساعدات الايجابية الفعالة .. الخ ..

حسن ! .

ليقلها اذن الشيوعيون .. عندئذ يخدمون بلادهم ويرفعون سمعة مبادئهم ..

اننا نسمع عن التبرعات والهبات والقروض التي تجمع من البلـــدان الاستعمارية لاسرائيل ، بل يقال أن المانيا الغربية ستعطي اسرائيل قرضا لمدة خمسين عاما وبفائدة ١٪ لتحويل مياه البحر إلى مياه عذبة تزرع بها أرضنا نحن العرب .. وتجلب بها مهاجرين جددا يكونون في خدمة الأهداف العدوانية في الشرق الأوسط .. ومع كل تقديرنا للمساعدات «غير الأنانية» التي تقدمها الشعوب الاشتراكية .. فلا زلنا نعتقد أن هذه الشعوب تستطيع أن تقدم أكثر .. وتستطيع أن تضرب المثل في الوفاء والتضحية .. وأن تؤكد حقاً استعدادها لاقتسام اللقمة مع الشعوب المحبة للسلام.

لتكن القروض الاشتراكية كلها من طراز القرض الصيني بلافائدة .. ولينبع ذلك من ايمان بضرورة قيام قيم اشتراكية جديدة ، لا لمجرد منافسة وازعاج الاتحاد السوفيتي ..

لتكن المساعدات الأخوية بلا مقابل هي أساس العلاقات بين الـــدول الاشتراكية المتقدمة والأخرى التي تسير على طريق التقدم ..

هذا دور نقترحه لبقايا الحركة الماركسية اذا شاءوا أن يجددوا حياتهم وأن يخدموا بلادهم ..

وما نظنهم فاعلين .

وهنا يكمن الخطر [١] .

ففي الوقت الذي نشهد فيه تفتت المعسكر الشيوعي ، وتصفية التنظيمات الشيوعية .. يتحول الماركسيون من عناصر غزو تعمل لحسابها .. إلى مجرد حاملي ميكروب الصليبية الغربية ، ولو بالمفاهيم السلبية التي يروجونها ..

والحرب الصليبية الثالثة التي نخوضها اليوم .. أخطر من سابقتيها ، لأن الغرب يتسلح فيها بالتفوق المادي الساحق ، والمغلوب في هذه الحرب سيحكم

---

(١) (ب)

عليه بالفناء ، لأننا ندخل عصر الثورة العلمية . ونظرة للامكانيات غير المحدودة التي تبشر بها هذه الثورة ، تؤكد أن الأقوياء سيحققون تفوقا ربما أخرجهم من دائرة الجنس الواحد التي تجمعهم الآن مع الذين سيحكم عليهم بالتخلف والانهيار ..

ان الهوة التي تتسع يوما بعد يوم بين الأقوياء والمتخلفين ، ستتحول ، وقريبا جدا ، إلى فارق لا يمكن تخطيه .. تماما كما حدث للانسان والقردة العليا ..

وفي مثل هذا الصراع ، لا عاصم لنا الا التمسك باسلامنا ، والاصرار على عروبتنا ..

لنبرز شخصيتنا الاسلامية العربية المستقلة التي تصمد للعواصف ، وتقهر الغزاة .. وتنتزع ، قوة واقتداراً ، مكانها تحت الشمس ..

ان لدينا كل عناصر القوة ..

فقط ..

لنؤمن بأنفسنا .. فقد شهد لنا الباري عز وجل .. كنتم خير أمة أخرجت للناس

وما عرفت البشرية في تاريخها ، يوما أجمل ولا أشرق من يوم كنا نحن شمسه .. وان بها لشوقا وحنينا لشمس ذلك اليوم ، تبدد عنها أعاصير شتاء طويل .. وظلاما يلتهب بما يشبه الضياء وما به قبس من نور ..

فأشرقي يا شمسنا العربية ..

ورفرفي يا راية محمد ..

مايو ١٩٦٥

الشيوعيون ونكسة يونيو

هذا ما كتبته في ١٩٦٦ عن احتمالات الدور الذي يمكن أن يلعبه الشيوعيون او قل كان يفترض أن يقوموا به ، لو كانوا يمتون لتراث وشعب هذا الوطن ، بصلة .. وقد صح ما توقعته .. فلم يقم الشيوعيون بالدور المقترح .. بل ساهموا في نسج خيوط ما أصابنا في حزيران .. وكانوا أداة الغزو الفكري التي مهدت للنفوذ الغربي لكي يعود من جديد فيقتحم الأرض التي تطهرت منه [1] .

ومن ثم فإن ما يواجهنا الآن ، ليس مجرد استحالة التعاون مع الشيوعيين من أجل الوطن .. بل أصبح النشاط الشيوعي في حد ذاته ، خطرا على وجودنا القومي ، خطرا على مصير معركتنا القومية ضد اسرائيل ..

ان القوى الشيوعية العالمية والمحلية ، هي انشط القوى العاملة الآن لحساب اسرائيل من أجل دفع العرب لقبول تسوية ، تقوم على التسليم بالأمر الواقع ، أي بالوجود الاسرائيلي والتعايش معه ..

من هنا كان لا بد من دراسة جادة مخلصة .. موضوعية قدر الامكان لموقف روسيا والأحزاب الشيوعية العربية من الحرب ضد اسرائيل . فهذه هي قضية

---

(١) ها هم بعد عشر سنوات من التعاون مع السوفيت، يستجدون امريكا أن تتدخل في « الشرق الأوسط » !

القضايا اليوم .. ان الوجود العربي كله مهدد بالغزو الصهيوني .. وعلاقتنا مع روسيا يجب أن تتخذ وضعها الطبيعي بمعنى أن نفهم أننا نصادق روسيا لأنها تؤيد اهدافنا ومصالحنا لا أن تصبح صداقتنا مع روسيا هي التي تحدد أهدافنا ومصالحنا القومية !

إننا نخوض حرب حياة أو موت ضد اسرائيل .. فإن كانت روسيا معنا ، فنحن نرحب ونحرص على صداقتها ..

فمرحبا ألف مرة بمحالفة الشيطان ان كان الشيطان سيسعى معنا في طريقنا نحن ويقربنا من أهدافنا .. وما أتعسه من حلف ان كنا سنسير في طريق الشيطان، وسنتركه يغرر بنا فنضحي بمصالحنا في سبيل مصالحه .. ولمجرد الحرص على محالفة الشيطان !

ولا بد هنا من أن نستعيد كلمات « جيفارا » التي تقطر سخرية مريرة من أولئك العملاء الذين لا يتحملون أي نقد لموقف « السيد السوفيتي »، وبركاكة وسوقية يشوشرون على مثل هذا النقد ، بأنه يتم لصالح أمريكا !

والمقزز في هذا الموقف ، أنه تكرار ممل إلى حد الموت للدعاية الاستعمارية العتيقة التي كانت تشنع على كل نقد يوجه لها ، باتهامه بأنه يصدر عن وحي خارجي .. فأعداء الاستعمار البريطاني في بلادنا كانوا يتهمون من قبل الاستخبارات البريطانية ، بأنهم يعملون لحساب تركيا أو فرنسا أو المانيا أو روسيا .. ونفس الشيء كان يقال ضد أعداء الاستعمار الفرنسي في الشام أو المغرب العربي ، مع استبدال بريطانيا بفرنسا ..

ولهؤلاء العملاء الجدد يقول جيفارا : « ان الامبريالية الامريكية مدانة بالعدوان ، ان جرائمها لا تحصى ، وتغطي العالم كله . وأننا أيها السادة نعرف كل ذلك جيداً .. ولكن هذه الادانة تنطبق أيضاً على الآخرين »[1] .

---

(١) دراسة عن الوضع الثوري في العالم – ارنستو غيفارا ..

وفي حالنا نحن ،لا تحتاج الامبريالية الامريكية إلى محلفين وقضاة يصدرون ضدها حكما بالادانة ، إنها تحتاج إلى شرطي قادر ، ينفذ فيها أحكام الاعدام الصادرة ضدها .. ان الجماهير قد تخطت درجة اليقين ، في معرفة ان الامبريالية الامريكية تمول وتدبر وتؤيد كل جرم ترتكبه اسرائيل ضد العرب .. ان ارتباط الصهيونية بالامبريالية الامريكية بديهية اكتشفتها الجماهير في ١٩٤٧ وزادتها السنون ترسخا ويقينا ووضوحا .. وهذه البديهية لا تتعرض للتشكيك ، الا من خلال الجدل البيزنطي المريب حول طبيعة الارتباط بين الامبريالية الامريكية والصهيونية .. أيهما يُسير الآخر ؟ .. ان القضية عند الجماهير كجريمة الزنا .. لا بد فيها من ادانة الطرفين ..

ان الجماهير قد ادانت الامبريالية الامريكية منذ ١٩٤٧ وهي لا تتوقع منها خيرا .. ولا يمكن أن تخدعها الامبريالية الأمريكية ، فيما يتعلق بقضية فلسطين .

من هنا فإن الخطر الأساسي للغزو الفكري فيما يتعلق بالمؤامرة الصهيونية ، لا يأتي من جانب الولايات المتحدة .. لا .. ان الولايات المتحدة تغزونا بالفانتوم ، ومن ثم يستحيل عليها أن تغزونا فكريا في هذه القضية بالذات (مباشرة) وان كانت تمارس غزوها الفكري في شتّى الميادين .. هذه المهمة يقوم بها « صديقنا » الاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية العاملة بين صفوف الشعب العربي ،وأحيانا برضاء الدول العربية .. هؤلاء هم الذين يدمرون المقاومة العربية ضد اسرائيل .

ما هو موقف الاتحاد السوفيتي من صراع العرب المصيري ؟

لن أتحدث عن دور روسيا في اقامة اسرائيل فهذا حديث قديم معاد ، أفسده علينا عملاء أمريكا الذين لا هم لهم في مناقشته الا تبرئة ساحة الولايات المتحدة ،إلى حد الزعم بأن أمريكا كانت ستعدل عن تأييدها لقيام إسرائيل لولا تشدد روسيا !

ثم أننا كنا ، وقتها ، مجموعة من الدول المعادية لروسيا ، إلى حد أنه لما وقف مندوب روسيا في سنة ١٩٥٠ يؤيد حق مصر في منع مرور سفن اسرائيل، هاجمه مندوب مصر ، ورد عليه « خفارته » خوفا من أن يُسيء التأييد الشيوعي لسمعة مصر ! فكان أن امتنع المندوب السوفيتي عن التصويت في الجلسة التالية ..

دعنا اذن من هذه الذكريات ، على ألا نسقط في هاوية التبرير ، بالزعم أنه كان موقفاً ستالينيا .. المهم ما هو الموقف السوفيتي من قضيتنا الأولى الآن .. وبعد أن قامت أكثر من دولة اشتراكية منحته مكانة وامتيازات ما كانت تساور أعتى القياصرة ، ولا في منامه ..

فهل تغير الموقف السوفيتي ، هل ارتفع إلى مستوى التأييد الأمريكي لاسرائيل ؟

إن الولايات المتحدة موجودة في البحر الأبيض قبل اسرائيل ، وفي اسرائيل حزب شيوعي .. السطور الأولى في برامجه أن أمريكا دولة امبريالية استعمارية وان الاتحاد السوفيتي هو حصن السلام العالمي .. الخ [1] .. ورغم ذلك فإن اسطول أمريكا السادس ، يكاد يكون ضمن البحرية الإسرائيلية ، وما من سياسي أو عسكري أو معقب يخامره الشك في تدخل هذا الأسطول تدخلا مسلحا بالدم والحديد والنار .. اذا ما هددت الدول العربية ، الوجود الاسرائيلي ، ولا شك أن هذا اليقين من موقف الاسطول السادس ، كان عاملا حاسما — ولا يزال — في جميع الحسابات والتحركات التي أدت إلى كارثة الخامس من حزيران (يونيه) .

فهل هناك من يستطيع افتراض نفس الشيء بالنسبة للأسطول السوفيتي الذي دخل البحر الأبيض بفضل صداقتنا . وصرح مسئول سوفيتي أنه موجود بطلب

(١) تخيل لو أن في مصر أو سوريا حزباً أمريكياً ينادي بمحاربة الاتحاد السوفيتي وينص على انه يعمل تحت زعامة الولايات المتحدة الامريكية ! ..

وموافقة الدول العربية .. ولا جدال في أنه يستطيع وقتما شاء أن يستخدم الموانىء العربية على الرحب والسعة .. فسيلقى أهلا وينزل سهلا .. كما أعلنت صحيفة الأهرام ..

ثم هزمتنا اسرائيل ، واخترقت حدودنا ، واحتلت أرضنا .. فهل قام الاتحاد السوفيتي بالعمل الذي كان سيقوم به الأسطول السادس لو وقع العكس؟

ان روسيا ملتزمة ببقاء اسرائيل ولا تقبل ولا تسمح بأي تفكير في ازالة اسرائيل ..

قال سامي الجندي :

« كلفني مجلس قيادة الثورة عام ١٩٦٣ الاتصال ببعض ممثلي الاتحاد السوفيتي لاقامة علاقات صداقة بين بلدينا وقد كُلفت بذلك لأني كنت مقتنعا بأن الاتحاد السوفياتي هو الدولة الوحيدة التي ستدافع عنا ، والحامية الوحيدة للاشتراكية .

قال لي المسؤول الديبلوماسي الروسي في لقائنا الأول : « تعلم أن الاتحاد السوفياتي معترف باسرائيل . ونحن ضامنون بقاءها » قلت له ضاحكا : من ترى بحاجة إلى حماية حدوده ؟ فأجابني بصراحة تامة : « أنتم .. ومع ذلك فنحن لا نسمح بعدم توازن القوى في الشرق الاوسط » [١] .

واذا كانت الولايات المتحدة تطلق علينا قنابلها تنفيذا لالتزاماتها بضمان « بقاء اسرائيل » « ومنع اختلال توازن القوى في الشرق الأوسط » لصالحنا ..

---

(١) عرب ويهود .. هذا النص به بعض الاختلاف ما بين الترجمة التي نشرت في بيروت والترجمة التي نقلت عنها من القاهرة في كتاب « ايللي كوهين من جديد » وأرجح أن هذا النص هو الأدق (طبعة بيروت)

فإن روسيا لا تحتاج لاطلاق هذه القنابل .. حسبها أن تمنعها عنا،وهو ما فعلته وتفعله ..

ان روسيا لم تسلح العرب أبداً بسلاح يسمح كمّاً او كيفا بقلب توازن القوى لصالحنا ..

« أكدت معلوماتنا دائماً،ان سلاحنا الدفاعي لم يتجاوز قوى اسرائيل أبداً، كان الغرب يمنحها ، بقدر ما كان الشرق يبيعنا . ولم يتحقق التوازن من حيث الكمية منذ نشوء اسرائيل ، بل كانت الزيادة في صالحها دائماً . » [1]

ان أقصى ما وصلت إليه الصحافة العربية في طمأنة المواطنين ، هو تأكيدها أن روسيا ستعطينا السلاح المضاد للفانتوم ، اذا ما سلمت امريكا هذه الطائرات لاسرائيل .. ولم يطرح أبدا ، ولو كأمنية ، ان تبادر روسيا بتسليمنا هذا السلاح المضاد المتفوق او المعادل للطائرات الفانتوم لعلنا بذلك نسبق اسرائيل ، ونقلب الوضع لصالحنا ..

روسيا تضمن بقاء اسرائيل ، وهي تنفذ ذلك من خلال منع تسلح العرب إلى الحد الذي يسمح لهم بتهديد هذا البقاء .. وبعد حرب حزيران ، وإلى الآن ، ما زالت الانباء ترد عن رفض روسيا تسليحنا بأسلحة هجومية ، لأنها تفضل أن تتم التسوية بغير حرب ، ففي ظل هذه التسوية يكون اعتمادنا الرئيسي على ما يجريه الاتحاد السوفيتي من مساوامات فهو الذي سيضغط على أمريكا ، لتضغط بدورها على اسرائيل .. أما لو انتزعنا حقنا بأيدينا ، فلن تتاح لأحد فرصة الانتفاع بمشاكلنا ..

أضف إلى ذلك أن اسرائيل تحصل على سلاحها مجانا ونحن ندفع ثمنه باهظا .. لقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر ، ذلك ، أكثر من مرة « أنا ما حدش بيديني سلاح ببلاش زي اسرائيل » .

---

(١) سامي جندي .. عرب ويهود ..

ويقول سامي الجندي : « لم يكن تسليحنا مجانيا وأشدد على ذلك » .

ولا شك أن شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي يحقق منفعة للسوفيت من جميع الوجوه .. فإن تصريف السلاح يعد من المشاكل الاقتصادية الحادة ، في ظل سباق التسلح .. لأن السلاح ، في هذه الحالة ، يكون في تطور مستمر وسريع .. وبالتالي لا يمكن للدول الكبرى أن تحتفظ بسلاحها القديم .. فبمجرد ظهور طائرة أسرع أو أقدر على حمل ذخيرة أكبر .. تغدو الطائرة القديمة ، مجرد لعبة أطفال .. وتخاطر الدولة بجنودها وأمنها القومي اذا استمرت في الاعتماد على الطراز المتخلف ..

ولأن الأمن القومي له دائماً مكان الصدارة ، في سياسة الدولة ، ونفقاتها .. لذلك يصبح السلاح القديم عبئا لا بد من التخلص منه .. والحل النموذجي هو بيعه .. ومن هنا فاننا نعتقد ، اننا ساهمنا في انعاش الاقتصاد السوفيتي والمساعدة على تطور الترسانة الشيوعية .. بفتحنا سوق الشرق الأوسط بل السوق العالمي كله للسلاح السوفيتي .. عندما أقدمنا على شراء السلاح السوفيتي ، فشجعنا الآخرين .. وأزلنا الرهبة التي كانت تحيط باستخدامه من جانب غير الشيوعيين ..

ورغم الطابع التجاري البحت الذي تتم به صفقات السلاح السوفيتي ، بمعنى أننا ندفع ثمنه ، وندفعه ليس بخساً بأي حال من الأحوال .. وقد رأينا كيف أن تشيكوسلوفاكيا كانت تبيع غاليا للرفاق الكوبيين السلاح المصادر من الألمان (أي طراز الحرب العالمية الثانية) فمن ذا الذي يزعم أن الروس والتشيك سيعاملوننا على نحو أفضل من معاملتهم للرفاق الكوبيين ؟ !

رغم هذا الطابع التجاري فان هذه الصفقات لم تبق — وما كان لها — في اطار التعامل التجاري ، فالسلاح بالذات سلعة سياسية ، قبل كل شيء .

ان شراء السلاح من روسيا في ١٩٥٥ كان عملا ضروريا تحتمه كل ضرورات الأمن القومي .. فاسرائيل تهاجم حدودنا وتقتل جنودنا .. ومصادرنا التقليدية للسلاح ترفض تزويدنا به ، لم يكن أمامنا وقتها — في حدود التفكير التقليدي [1] — الا أن نستسلم للأداة العسكرية الاسرائيلية أو أن نبحث عن السلاح في مصادر أخرى ..

كانت خطوة مشروعة وضرورية وعبقرية في نفس الوقت .. ولكن نقطة الخطأ القاتلة التي وقعنا فيها هي تصورنا أن تحطيم احتكار السلاح يتم بمجرد تغيير المُورّد ..

ربما كان ذلك مفيدا في إلهاب حماسة الجماهير وكسب تأييدها لهذه الخطوة ومواجهة تخوف بعض الدوائر من خطر الارتباط بالدول الشيوعية .. ولكن الخطأ الأكبر في سياستنا ، أن ما نقوله للشارع أو للاستهلاك في الحرب الاعلامية ، يعود فيؤثر فينا بدوره ، إلى حد أن نصدقه ونعتنقه .. لقد كانت أزمة ١٩٥٥ كافية لكي تنبهنا إلى خطورة اعتماد أمننا القومي على « استيراد » السلاح .. والغريب أنه في ذلك التاريخ بالذات ، وصلت الصين إلى نقطة الانفصال عن مصدرها « العقائدي » للسلاح .. وهو الاتحاد السوفيتي .. تماما كما أحسسنا نحن باستحالة الاعتماد على مصادرنا « التاريخية » للسلاح .. وبينما اكتفينا نحن « باعلان تحطيم احتكار السلاح ، « عملت » الصين بجهد ونجاح نادرين لتحطيم هذا الاحتكار وامتلاك ترسانتها القومية فوق أرضها ..

كان من الضروري أن تنبهنا أحداث ١٩٥٥ لخطورة الاعتماد على السلاح المستورد ، وأن تدفعنا إلى مواجهة ذلك بانتاج السلاح في بلادنا — وكما قلنا — لم يكن ذلك مستحيلا .. لو أننا وضعناه كهدف استراتيجي ووجهنا سياستنا

---

(١) ذلك لأن التفكير الثوري يرفض أن يجعل نقص السلاح مبرراً للاستسلام .

لخدمته .. ولأننا لم نفعل فقد وقعنا في شرك « الاحتكار المطبق » للسلاح .. ان استيراد السلاح من الغرب يسمح باستغلال تناقضاته والاستفادة من تعدد دوله ، وعدم التزام شركاته ، ووفرة مهربيه الذين لا يلتزمون بعقيدة سوى البحث عن ربح . ذلك كله في اطار عداء الغرب لنا وامكانية فرض حصار شامل ، وتعرضنا لكل مخاطر الاعتماد على عدونا التقليدي ، ولكن أحكام الاحتكار في حالة الاستيراد من دولة واحدة هي « روسيا » يصبح أكثر احكاما وأكثر خطورة .. ان منع فرنسا ، طائرات الميراج عن اسرائيل ، جعلها تتحول إلى طلب الفانتوم من أمريكا ، بينما منع الميج عنا من روسيا يوقعنا في كارثة ..

كما يجب أن نلاحظ الوحدة النسبية للسلاح في الدول الغربية ، واختلافه عن السلاح السوفيتي وكذلك اختلاف التكتيك العسكري ، مما يجعل تحول جيش ما ، من السلاح الغربي إلى السوفيتي أو العكس ، مخاطرة تعني نزع سلاح هذا الجيش ، لفترة من الوقت ، مهما يكن قصرها ، الا انه ما من دولة تخاطر بتعريض أمنها لهذه التجربة وفي مثل ظروفنا هذه .. مما يؤكد أن حرية الرفض ، لا تتوفر بالنسبة للدولة المستوردة للسلاح ..

كل هذا مع ضرورة أن نؤكد مرة أخرى ، أن الاستغناء عن الغرب كمصدر للسلاح كان عملا ضروريا .. وان الاعتماد على الغرب في تسليحنا كان وهما مضيعا لاستقلالنا ..

ولا مكان هنا لجدل سخيف حول رفض بعضهم مجرد التفكير في احتمال أن تلجأ روسيا إلى الضغط علينا من خلال احتكار السلاح .. فهل تعطينا روسيا ، مثلا ، سلاحا لضرب دولة شيوعية مطيعة .. أو دولة متحالفة مع روسيا ، أو دولة يشكل هجومنا عليها اضرارا بالمصالح الروسية ؟

ان الحديث قد بدأ يتردد بصوت عال من مصادر شيوعية عن اتفاق لفرض السلام في الشرق الأوسط من خلال اتفاقية حظر توريد السلاح للشرق الأوسط

.. أي أن سياستنا ستصبح تحت رحمة اتفاق عالمي ، وهو أخطر ما كنا نخشاه ..

من هنا فإن أخطر خطايانا ، هو تصديقنا اننا حطمنا احتكار السلاح ، أو أنه يمكن لدولة ما أن تعتمد في تسليحها اعتمادا مطلقاً على دولة أخرى ، ثم تحتفظ باستقلال سياستها استقلالا كاملا عن « مشورة » هذه الدولة ..

روسيا اذن تضمن « بقاء اسرائيل » وتؤمن « أن أي حل لأزمة الشرق الأوسط يجب أن يعترف بحق اسرائيل في الوجود كدولة مستقلة [1] .

وروسيا تعمل بما تؤمن ، عن طريق سيطرتها على سلاحنا ، فهي لا تصل به إلى الحد الذي يسمح لنا بازالة اسرائيل او الاعتداء على حقها في الوجـــود كدولة مستقلة .

فهل التزمت بما أعلنته عن ضمان الوضع القائم ، هل التزمت بحقنا في الوجود كدول مستقلة ، وعدم تغيير « الحدود الموجودة » ؟!

لم يحدث .. بل بالعكس .. تتحمل روسيا مسئولية كاملة في كل ما جرى لنا ، ومن المخزي ان يتحدث البعض عن ادانة الامبريالية الأمريكية بتآمرها مع اسرائيل .. وتدبيرها العدوان .. وحماية ظهر اسرائيل .. ثم تشجيعها على البقاء في الأرض المحتلة ..

ان مجرد الحديث في هذا يكشف حقيقة ميولهم الأمريكية ، فهم يعتبون على أمريكا غدرها !

ما الذي كانوا يتوقعونه من الامبريالية الأمريكية أقل من هذا ؟!

ألم نعلن أننا سنسقي أمريكا مياه البحرين . ؟! وشرح هيكل نظرية انهاك الثور وقتله ، وغنى عبد الحليم حافظ مؤكدا أنه لا أهمية لأمريكا .. هل كان لديهم ثمة شك في أننا دخلنا الحرب على أساس اننا نقاتل ضد جبهة متحدة من

---

(١) غروميكو في مؤتمر صحفي – بودابست ١٩٦٨/١١/١٨ نقلته و . ص . ف . ى . ب . رويتر .

اسرائيل والمعسكر الاستعماري ، وبالذات الامبريالية الأمريكية .. وأننا بدورنا نشكل جبهة متحدة مع « المعسكر » الاشتراكي ، وبالذات مع الاتحاد السوفيتي؟

وهل حمى الامبريالية الامريكية من غضبة الجماهير المدمرة ، وجعل عملاءها يهزون أعطافهم ، شامتين ، الا الموقف المتخاذل الذي وقفه الاتحاد السوفيتي؟ .. ذلك الموقف الذي جعلهم يسألون في شماتة العملاء : هل أنجدتكم روسيا ؟ ألم يكن من الأجدى أن نحالف أمريكا ؟

بالطبع هم مجرد عملاء لأنه لا سبيل أمامنا لمحالفة امريكا .. نستطيع فقط أن نستسلم لأمريكا ونرضى بالقدر الأمريكي الذي لا يطلب أقل من قيام اسرائيل الكبرى ، واخضاع الوطن العربي للاستغلال المشترك بين الصهيونية والامبريالية الأمريكية .. وفرض الفقر والتخلف والتبعية علينا ..

هذه بديهيات.. ولو وقف الاتحاد السوفيتي معنا ، نصف أو ربع الموقف الذي كان من المفروض أن تقفه الامبريالية الأمريكية مع عميلتها اسرائيل ، لو كانت جيوشنا في وضع الجيش الاسرائيلي يوم الاثنين الخامس من حزيران (يونيه) .. لو حدث ذلك ، لنسفت المصالح الأمريكية نسفا في الوطن العربي ، ولما بقي لها عميل واحد يقدر على التنفس فضلا عن مهاجمة الاتحاد السوفيتي أو الدعوة إلى التفاهم مع الغرب .. ولكن كما قلنا [1] في سنة ١٩٦٦ ان الامبريالية الامريكية ، في النهاية ، هي المستفيدة ، من الغزو الفكري الشيوعي ..

لقد حذرتنا روسيا في مايو ١٩٦٧ من هجوم اسرائيلي ، يدبر ضد سوريا .. وكان تحذيرها « المتكرر » هو السبب المباشر في الاجراءات العسكرية التي اتخذت من جانب مصر [2] .

---

(١) راجع مقدمة « دراسة في فكر منحل » منشورات دار الأمل ١٩٦٦.

(٢) جاء في كتاب « التاريخ السري لحرب اسرائيل » : « في ١٢ أيار (مايو) : مكان ما من أوروبا..اجهزة الاستماع التابعة لاستخبارات دولة غربية تلتقط برقية بالشيفرة يرسلها السفير=

ورغم معرفة الاتحاد السوفيتي بتفوق اسرائيل في العدة والعدد ، فلم يقدم لنا أي نصيحة تمنع حشد جميع قواتنا في سيناء، ورغم أن المناورة الاسرائيلية حرصت على حشد القوات في الشمال لتوهمنا أنها ستضرب في اتجاه سوريا ، وتركت الجنوب خاليا .. فقد فوت علينا الاتحاد السوفيتي فرصة الضرب .. ما دمنا قد حشدنا قواتنا في سيناء .. وذلك بالانذار الشهير الذي حمله السفير السوفيتي ..

ومهما يقال الآن على أن النصر كان متعذراً سواء بدأنا بالضرب أو انتظرنا الضربة الأولى كما سُميت ، والأخيرة كما تبين بعد ذلك .. مهما يقال ، فلا مكان للجدل حول الفرق بين وضعية جيوش (حتى ولو هُزمت) داخل اسرائيل ، وبين وضعها وهي تُهزم في عقر دارها ، بل ودون أن تقاتل .. الوضع مختلف كلية ..

وقد تمكنت أمريكا من التغرير بنا ، لأن الاتحاد السوفيتي غرر بنا .. والا فأي عاقل يأمن لأمريكا بعد كل ما جرى ، إلى حد أن يستجيب لدعوتها بعدم الهجوم .. ويصدقها عندما تضرب لنا موعدا للقاء والتباحث ظهر الأربعاء! وهي تنوي أن تفتك بنا صباح الاثنين ؟! .. وصدقناها .. لماذا ؟ .. لأن الاتحاد السوفيتي منعنا من الهجوم ، فلم يبق أمامنا الا أن ننتظر هجوم الآخرين ، أو أن نحاول دفعه بضرب المواعيد للأمريكان ، والجري خلف سراب التسوية السلمية.

ومهما تحاول الدعاية الصهيونية أن تنسج اسطورة بطولة المقاتلين اليهود ، فما من نصر كان خسيسا مثل النصر اليهودي في حرب حزيران .. كانت القيادة

= السوفيتي في القاهرة ديمتري بودجيداييف الى وزارة الخارجية السوفيتية جاء فيها: أطلعنا اليوم السلطات المصرية على المعلومات التي وردت الينا والمتعلقة بحشود القوات الاسرائيلية عند الحدود الشمالية تمهيداً لهجوم مفاجىء على سوريا . اشرنا على الحكومة المصرية بان تتخذ الاجراءات الضرورية »

الاسرائيلية تتمتع بمركز لم تظفر به قيادة عسكرية في أي حرب منذ انتهاء عصر السيطرة المطلقة لاستعماريات القرن التاسع عشر ..

كانت على يقين تام منذ أول حزيران (يونيه) بأنها هي التي ستحدد موعد الهجوم ونوعيته ومكانه وحجمه ! مع اطمئنان كامل إلى أن الطرف الآخر قد التزم علانية وبكل المواثيق الممكنة بعدم التحرك الا في الخطوة الثانية ! ..

أعلن « هيكل » ذلك « بصراحة » في « الأهرام » .

وتعهدنا بذلك رسميا لدى اوثانث ، الذي كان من واجبه كممثل الأمم المتحدة أن يبلغ الطرف الآخر بالتزامنا هذا .

وتعهدنا لدى الولايات المتحدة الأمريكية في ردنا على رسالة جونسون ، وفي تحديد يوم الأربعاء موعدا لسفر « زكريا محي الدين » إلى وشنطن ..

ولكن أخطر التعهدات في نظري هي تلك التي قدمناها للسفير السوفيتي في فجر يوم السبت السابع والعشرين من مايو .

لأن كل تعهداتنا الأخرى ، يمكن أن تشك اسرائيل في جديتها ، على أساس أنها من خداع الحرب ، والحرب خدعة وليس ثمة من يلوم عدوه على خداعه .. أما بين الأصدقاء فلا مكان للخداع ، خاصة اذا كان الأمر مع الاتحاد السوفيتي الذي يتحمل مسئولية أساسية في الحرب ذاتها ونتائجها ، واحتمالات تطورها ..

في علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي وبالذات فيما يتعلق بدخول حرب ضد اسرائيل ــ امريكا .. لا مجال للمناورة أو الخداع .. ولا شك أن السفير السوفيتي عندما يطلب الساعة الثالثة صباحا ، من الرئيس جمال عبد الناصر شخصيا عدم القيام بأي اجراء عسكري ضد اسرائيل ، فهو يعني ما يقول ، يعني كل حرف في طلبه .. وعندما نوافق نحن على طلبه ، أو ننفي له اننا كنا نفكر في اتخاذ

هذا الاجراء فنحن نعني أيضاً ما نلتزم به .. اذ لا مجال للعبث في مثل هـــذه الأمور ..

ولا شك أن السفير السوفيتي قد بعث إلى حكومته « مؤكدا » ومقتنعــاً (فأي خطأ هنا يكلفه حياته ، ويثير احتمال حرب عالمية) أن مصر لن تقوم من جانبها بأي اجراء عسكري ضد اسرائيل ..

وعبر الخط الأحمر ، اتصل كوسجين ، بجونسون ، مؤكدا وملتزما بأن مصر لن تقوم بأي اجراء عسكري من جانبها ..

وإلى هنا ولا بد للتحليل من السير في أحد طريقين .. متسلحا إما بحسن الظن وافتراض ان الجانب الروسي– المصري .. كان ضحية خداع نادر في تجرده من المبدأية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، ونادر في سذاجته وغفلته من جانبنا ..

أو افتراض سوء النية .. والقول بان الأمر كله كان مرتبا بحيث يقع ما قد وقع ..

ومع الافتراض الأول نرى أنه من غير المعقول أن تعطي مصر تعهدا بعدم القيام باجراء عسكري الا على أساس تأكيد من الاتحاد السوفيتي ، تأكيد واضح وقاطع بأن الطرف الآخر لن يقوم من جانبه بمثل هذا الإجراء ..

ولا يعقل أن الاتحاد السوفيتي يقبل من الولايات المتحدة أن تستخدم مساعيه الحميدة ، ونفوذه ، لدى مصر ، لمنعها من اتخاذ إجراء عسكري ، الا عـــلى أساس المعاملة بالمثل ، أي تعهد من الولايات المتحدة باستخدام مساعيها الحميدة ونفوذها لدى اسرائيل لمنعها من اتخاذ اجراء مماثل ..

ولنا اذن أن نفترض تطور الحوادث على هذا النحو :

وصلت إلى الولايات المتحدة معلومات شبه مؤكدة ، أن مصر ستهجم على اسرائيل يوم ٢٨ مايو ... وكان ذلك وفقاً للتقديرات الأمريكية والاسرائيلية

تشكل خطورة على الخطة المدبرة ، فبادرت الولايات المتحدة ، عبر الخط الأحمر بابلاغ الاتحاد السوفيتي ما لديها من معلومات مصحوبا بتهديد بأنها لن تسمح بهزيمة اسرائيل وانها ستتدخل حتى لو أدى الأمر إلى حرب عالمية ..

جاء في كتاب « التاريخ السري لحرب اسرائيل » :

٢٥ أيار .. ابا ايبان في وشنطن .. يتلقى برقية عاجلة من أشكول ، يبلغه فيها أنه يتوقع « هجوما مصريا في أية لحظة » يطلع ايبان وزير الخارجية الأمريكية دين راسك ولوشيوس باتل ويوجين روستو على البرقية ، ثم يطلب أن تعلن الولايات المتحدة فورا أن أي هجوم ضد اسرائيل يعتبر هجوما على الولايات المتحدة ..

« راسك يطلع جونسون على البرقية يقول جونسون أنه « يجب التأكد من ذلك فورا » .

« في الوقت نفسه ، تصدر الأوامر السرية إلى وزارة الدفاع الامريكية باعداد عملية عسكرية في سيناء . تم اعداد العملية ، ورفعت إلى المسئولين ، وهي تتضمن خطة مزدوجة :

١ — « مجابهة واسعة في سيناء مع القوات المصرية يرافقها قصف بحري وجوي وهبوط مظليين .

٢ — تدخل سريع وخاطف إلى جانب اسرائيل في حالة تمكن العرب من الدخول إلى الأراضي الاسرائيلية . وتهديد وجود الدولة هذا التدخل يتم بارسال القوات الاميركية إلى اسرائيل جوا لتقيم حاجزا بين الجيوش العربية والجيش الاسرائيلي الذي سيتراجع إلى وسط اسرائيل . يقوم الأسطول الأمريكي السادس بتأمين جزء من الوحدات الضرورية لمثل هذه العملية . أما الجزء الأكبر فيأتي من القواعد الاميركية في المانيا الغربية وفي كارولينا الشمالية . »

« وخططت وزارة الدفاع الامريكية أيضاً لاقامة جسر جوي ضخم يستطيع

نقل بين ٣٠ ألفا و ١٠٠ ألف جندي إلى اسرائيل [١] . »

ومن حقنا أن نفترض أن « صديقنا » السوفيتي عندما أحيط علما بكل هذا التهديد ، قد سأل غاضبا عبر الخط الأحمر .. وما هي الضمانات التي تقدمها أمريكا ضد هجوم اسرائيلي ؟ .. ولا بد أن الرئيس الأمريكي أكد له أن الولايات المتحدة الأمريكية تضمن عدم قيام اسرائيل بمثل هذا العمل .. ومن ثم اتصلت موسكو ، بسفارتها في القاهرة وحمل السفير السوفيتي هذا التأكيد إلى منشية البكري .. وعلى ضوئه ، أعطيت التعهدات المصرية .. ولا مجال للشك في أن الولايات المتحدة قامت بابلاغ اسرائيل بذلك ..

وهكذا وصلت القيادة الاسرائيلية إلى الوضع النادر الذي أشرنا إليه .. وهو تيقنها من امتناع الحركة على مصر ، ومعرفتها أن مصر مقتنعة في نفس الوقت ، بأن اسرائيل لن تهاجمها ..

وهذا التحليل يفترض طبعاً تواطؤ الولايات المتحدة مع اسرائيل ، على خداع الاتحاد السوفيتي ومصر .. اذ لا مجال لتصور ان اسرائيل هجمت دون موافقة أمريكا .. وذلك يعني أن العدو كان مقتنعا بأن قيام اسرائيل بتوجيه الضربة الأولى هو العامل الحاسم في تحديد مصير المعركة إلى حد استخدام الولايات المتحدة لكل رصيدها من الثقة لدى روسيا .. ومخاطرتها بتحمل غضبتها عندما تكتشف الخديعة .. كل ذلك في سبيل أن تتيح لاسرائيل فرصة توجيه الضربة الأولى .. أي أن الزعم بأن الوضع لم يكن ليتغير سواء ضَربنا نحن أم ضُربنا .. هو زعم لا يقصد به الا اخفاء الدور القذر الذي لعبته الولايات المتحدة في خداعنا ، والدور المريب الذي لعبه الاتحاد السوفيتي في ادخال الغفلة علينا ..

وبهذا نتبين حجم المسئولية الذي يجب أن يتحمله الاتحاد السوفيتي . فهو قد

---

(١) ترجمة ملحق النهار ١٩٦٨/١٠/٦

ألزمنا بعدم الهجوم ، بل وأقنعنا بأن اسرائيل لن تهجم ، وعن طريقه انتقلت هذه المعلومات البالغة الأهمية ، بل والحاسمة في مصيرنا القومي ، إلى اسرائيل ، عبر الولايات المتحدة ..

ولكن نقطة الضعف في هذا التحليل هي اغفاله لثقل الاتحاد السوفيتي ، كدولة عظمى ، لديها استعداد كامل لمواجهة أي هجوم امريكي مفاجيء ... الأمر الذي يستحيل معه ، تصور عجز مخابراته عن معرفة نية اسرائيل واستعدادها للهجوم.. خاصة وأن ذلك الهجوم كما أشرنا كان متوقعا ومنتظرا إلى حد تحديد موعده باليوم بواسطة المسئولين العرب .. واسرائيل بالذات من الدول التي لا يسهل عليها اخفاء تحركها للقتال نظرا لنظام التعبئة العامة فيها ..

فهل نستطيع أن نقول اننا التزمنا بعدم اتخاذ اجراء عسكري مع علمنا بأن اسرائيل هي التي ستقوم بهذا الهجوم ؟! .

مقالة « هيكل » صريحة في ذلك .. عندما قال بلهجة المستسلم للمكتوب ... أو قل لهجة بطل التراجيديا اليوناني الذي اطلعته الآلهة على مصيره .. ومن ثم يقول « هيكل » انه قد كتب علينا تلقي الضربة الأولى ، واننا سنعمل على حصرها في أضيق نطاق (اللهم انا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه) ثم نردها مضاعفة . !

وإلى أي مدى اذن يكون الاتحاد السوفيتي متواطئا ومسئولا عما أنزلته بنا هذه الضربة الأولى ؟! ..

وهل قدم لنا تعهداته بافساد تأثير هذه الضربة ، نظير تعهدنا بوضع أمتنا في هذا الوضع الخطير ، خدمة لسياسات وحسابات عالمية لم تُتح لنا بعد فرصة معرفتها ؟!

هل نحن ضحية تسوية عالمية بدأت رائحتها تفوح من اطلاق يد روسيا في غزو تشيكوسلوفاكيا . ووقف الغارات على فيتنام الشمالية ، وما يتردد عن

الاعداد لهجوم روسي تؤيده أمريكا ضد الصين . ؟!

وان هذه التسوية تشمل كأحد بنودها انهاء حالة المواجهة في الشرق الأوسط والوصول إلى قسمة مرضية للقوتين الكبيرتين .. قبل اقدام روسيا على خوض حرب خطيرة ضد الصين ، ستنسف نهائيا ما يسمى بالشيوعية الدولية .. وان هذه التسوية ما كان يمكن الوصول اليها الا بتحطيم القوة العسكرية للعرب .. ثم تركهم فريسة للهزيمة والضغط العسكري الاسرائيلي ، لكي يمكن فرض التسوية المريرة عليهم ؟!

على أية حال وسواء أكان الاتحاد السوفيتي متواطئاً أو مخدوعاً فهو يتحمل مسئولية كاملة في ما جرى في الخامس من يونيه .. وهو لم ينذر أمريكا بتدخله اذا ما قامت اسرائيل بالهجوم ،ولم ينفذ وعوده وتصريحاته عن مقاومته للمعتدين ، وهو إلى الآن لا يسلحنا بما يكفل لنا القدرة على نقل المعركة إلى الأرض المحتلة.. او قل لا يسمح لنا بالقيام بأية عمل عسكري داخل او فوق اسرائيل ، وليس من سبب الا العجز العسكري أو الالتزام أمام الاتحاد السوفيتي ، أو هما معا ، يمنعنا من القيام بمثل هذا العمل .. وخاصة بعد أن تكرر ضرب الأهداف المدنية في مصر ، بل وضرب مناطق تبعد مئات الأميال عن خط النار .. ورغم ذلك فنحن لا نستطيع أن نقوم بعمل مضاد داخل حدود اسرائيل ، ولو بشبر واحد ، إما اننا لا نملك أسلحة هجومية .. أو ان تسليحنا الدفاعي ليس بالكفاءة التي تحتمل ضربة اسرائيلية مضادة .. أو أنه غير مأذون لنا باستخدام السلاح كما نحب .. والنتيجة ان اسرائيل ما زالت تحتكر المركز الهجومي .. وما من جهد واضح ، من جانب الاتحاد السوفيتي لتغيير هذا الوضع ..

فاذا انتقلنا إلى التأييد والدعم خارج ميدان القتال ، نجد أن النفوذ السوفيتي إما انه عاجز أو غير راغب في انهاء الاحتلال الاسرائيلي لأرضنا ..

الاتحاد السوفيتي يعلن انه ملتزم بوجود اسرائيل وحماية حقها في العيش

بحرية وسلام » [1] .

وقد مضى حتى الآن ١٦ شهراً على احتلال اسرائيل لأرض دولتين اشتراكيتين ، تتمتعان بصداقة وحماية الاتحاد السوفيتي ، ورغم ذلك فإنه لم يتخذ أي خطوة لاجبار الولايات المتحدة على الايعاز « لعميلتها » اسرائيل بالانسحاب من أرضنا .. ولا حتى أدى هذا الوضع ، إلى تدهور العلاقات الامريكية السوفيتية ، بل يبدو التحسن المطرد في هذه العلاقات !

وكلما مرت الشهور على الاحتلال الصهيوني ، نجد الاتحاد السوفيتي يعبر بصراحة أكثر عن رغبته في تسوية سلمية ، تدفع فيها الدول العربية ثمن هزيمتها.

وهكذا نرى أننا نواجه السؤال الحاسم هل نحن مع روسيا لأنها تؤيد أهدافنا أم ان اهدافنا يجب أن تتحدد على ضوء ما يُرضي روسيا .. وفي اطار ما يسمح به ارتباطنا معها ؟!

والاجابة على هذا السؤال تتطلب أن نحدد أولا .. ما الذي نريده ؟

هل ما زلنا نؤمن بفلسطين العربية .. بحق الشعب العربي في أن يقتلع الكيان الغاصب القائم فوق أرضه ؟ ان روسيا تعارض ذلك ؟ فهل تظل حليفتنا وصديقتنا المخلصة ؟!

يجب أن تنتهي عملية الخداع هذه . يجب أن نكشف بوضوح وصراحة ، هؤلاء الذين يسبحون بحمد الاتحاد السوفيتي ، فهم غير جادين ولا يهدفون لازالة اسرائيل ..

هل نريد سحق العدوان الاسرائيلي وانسحابه — في هذه المرحلة — بدون قيد ولا شرط .. وتطوير المقاومة المسلحة ضد اسرائيل ؟ .

الاتحاد السوفيتي لا يريد ذلك ، ويفضل حلا سلميا خلال مساومات دولية وتسويات عالمية نحن بعض أوراقها ..

---

(١) تصريح جروميكو

وهذا ينقلنا إلى الشيوعيين العرب .. فهذه الأحزاب الشيوعية تتحرك أساساً بتوجيه العناصر الصهيونية التي انشأت هذه الأحزاب والتي ما زالت توجه سياستها[1].. ومن الطبيعي ان هذهالأحزاب الصهيونية المنشأ،من الطبيعي انها ترفض الحرب ضد اسرائيل ..

ان الوطن العربي يشهد الآن الظاهرة المتكررة في جميع أنحاء العالم الثالث .. وهي عزلة وابتعاد بل ومعاداة الشيوعيين لحركة الكفاح المسلح ضد الاستعمار .. فحركة المقاومة ضد الغزو الصهيوني تتم بمعزل عنهم وضد ارادتهم .. بل ولا يبخلون بجهد في سبيل تخريبها ..

حللت نشرة « النضال » التي تصدرها سرا جبهة التحرير الوطني الفلسطيني بالضفة الغربية المحتلة :

« يلاحظ ان الموقف الشيوعي المحلي من العمل المسلح الذي يتم على أرض فلسطين هو موقف التجاهل في الأوساط المؤيدة لهذا العمل ، وموقف الانتقاد في الأوساط التي لا تؤيد هذا العمل ، وموقف المهاجم في الأوساط النادرة التي تشجب هذا العمل . »

وفسرت هذا الموقف بقولها : « وقد يبدو لأول وهلة أن هذا الموقف غير طبيعي ، اذ ترتبط الاذهان بالنضال المسلح الذي تخوضه جبهة تحرير فيتنام الجنوبية ، والطابع العنيف الذي ترتبط به المواقف الشيوعية .. والحقيقة المقنعة ان هذا الموقف ليس الا امتدادا للنظرة الشيوعية الخاطئة ، من مواقف سياسية خطرة على القضية الفلسطينية وعلى حق الشعب الفلسطيني ..

---

(١) ثبت ان الصهيونية قد وضعت في مخططها منذ زمن بعيد استغلال العناصر اليهودية داخل الأحزاب الشيوعية لا في الوطن العربي فقط بل في العالم كله .. الى حد أن يتظاهر اعضاء الحزب الشيوعي التشيكي حاملين علم اسرائيل .. هاتفين « تحيا اسرائيل المناضلة » !

فهم يرون أن المشاركة بالعمل المسلح ضد العدوان الاسرائيلي على شعب فلسطين والأمة العربية ، يعني الالتزام بالتحرير الحقيقي لفلسطين من اسرائيل الدولة ، ورد الحق الكامل لشعب فلسطين في أرضه . وهذا الموقف لا يرضون أن يصلوا اليه » [1] .

وشهد شاهد [2] :

« ولست أخفي عليك أن بعض القوى التقدمية — في الأردن على سبيل المثال — تتذرع بهذا السؤال نفسه ، لتختط لنفسها سياسة لا أغالي اذا قلت انها سياسة سلبية انعزالية . انهم يقولون أن حرب التحرير مغامرة لا نقدر عليها .. ويقولون ان الأوضاع العربية المتخلفة أعجز من أن تتيح خوض هذه الحرب . ويقولون انه لا سبيل أمامنا إلا العمل السياسي الداخلي وحده في كل بلد عربي ، لتنمية الوضع الداخلي وتطويره والعمل السياسي على النطاق الدولي للوصول إلى تسوية سلمية .

« وفي تقديري ان هذا الخط السياسي لن يصل إلى هدفيه ، الهدف الداخلي ، أو الهدف الخارجي ، بل لن يصل في النهاية الا إلى التسليم بالأمر الواقع ، والخضوع له . انك لن تستطيع أن تحقق تنمية أو تطويرا داخل أي بلد عربي دون أن تتمكن من قيادة حركة الجماهير ، ولن تستطيع قيادة حركة الجماهير وأنت تطالبها بأن تدير ظهرها للعدوان الواقع على بقعة عزيزة من أرضها العربية ، وبهذا لن تستطيع أن تحقق أي تنمية أو تطوير داخلي » [3] .

---

(١) نشرت « الأنوار » اللبنانية صورة زنكوغرافية للعدد الذي نقلت عنه ومكتوب عليه : العدد الثالث حزيران ١٩٦٨ — الضفة الغربية .

(٢) محمود أمين العالم . من قادة الفكر الماركسي في العالم العربي اعتقل في ١٩٥٩ وافرج عنه في ١٩٦٤ يرأس مجلس ادارة اخبار اليوم .

(٣) أخبار اليوم ١٩٦٨/٨/٣١

لنا تعليق بسيط على هذا « العتاب أو النصح » الذي لا شك في اخلاصه وصدقه ، ولكن الحقيقة التي لم يشر اليها ، هي أن « التقدميين » في الأردن وغير الأردن ، لا يريدون في الحقيقة تنمية داخلية .. أو أنهم يختارون بين التنمية الداخلية وتحرير الأرض المحتلة .. انهم يريدون أساسا منع حرب التحرير ومن ثم يرفعون أي شعار لمجرد حفظ ماء الوجه ، واخفاء الدور الحقيقي الذي يقومون به .. والا فأي تنمية يتطلع اليها « تقدمي أردني » شرق نهر الأردن ؟! . أين في التاريخ قبلت قوة تقدمية مسالمة محتل أرضها ، والتفرغ للتنمية ؟!

الحزب الشيوعي الأردني لا يريد الحرب ضد اسرائيل .. بل يطالب الجماهير « بادارة ظهرها للعدوان » والتفرغ للتنمية ! !

والحزب الشيوعي العراقي يختار هذا الوقت بالذات ليشن حربا مسلحة ، ولكن في مؤخرة الجيش العراقي ! .. فهو لا يطالب الجماهير فقط « بادارة ظهرها للعدوان » بل وادارة سلاحها ضد الجيش العراقي ..

وتنشر صحيفة « الحركيين » على غلاف صفحتها الأولى صورة من سمته «أول شهيد للكفاح المسلح في أرياف العراق!».. الآن ؟! .. يستشهدون في الريف العراقي ؟!

صدقنا ان البروليتاريا وحدها هي التي يجب أن تقوم بالعمل الفدائي وان هذا الحرص على ابعاد البورجوازية مبرر مقنع لتمزيق وحدة الفدائيين .. صدقنا ورضينا .. فلماذا تحارب البروليتاريا الآن في الريف العراقي .. وليس في فلسطين ؟! وهل من شهيد الآن الا في الكفاح من أجل فلسطين وعلى أرض فلسطين المحتلة ؟ ... بل نحن نذهب إلى أن الشهادة ممكنة وضرورية اذا ما كان القتال ضد حكومة تعترض الانطلاق إلى فلسطين .. شرط أن يكون مطلب « الكفاح في سبيل تحرر فلسطين » هو المطلب الأول والرئيسي للمستشهدين ..

ولكن النبذة التي قدمتها المجلة عن«خالد أحمد زكي»الذي نفق في الريف

العراقي ، لا تشير من بعيد أو قريب لاسرائيل ، أو الغزو الاسرائيلي ..

تقول مرثية مجلة الحركيين : « أنه كان عضوا في الحزب الشيوعي العراقي منذ عام ١٩٥٣ (يعني ساهم في اصدار مجلة القاعدة المدافعة عن اسرائيل أنظر ص١٦٥)وفي ٣ حزيران سقط مضرجا بدمه الزكي ، وفي معركة بطولية استغرقت أربعة أيام ، المناضل الشيوعي ، وأحد قادة فصائل جبهة الكفاح الشعبي المسلح ، خالد أحمد زكي (ظافر) عضو القيادة المركزية لحزبنا .. وقد قام الشهيد بمهمته بشرف وجرأة ورجولة . وقد اشترك الشهيد في المعارك غير المتكافئة التي خاضتها مجموعة واحدة من فصائل جبهة الكفاح الشعبي المسلح والتي فرضت فرضا بسبب بعض الثغرات في تطبيق خطة التراجع . وقد أبدى الانصار البواسل في هذه المعارك آيات البطولة الفذة وسط صعاب لا تصدق (كل هذا في ريف العراق في مؤخرة الجيش العراقي) وفي ٣ حزيران الماضي سقط ثلاثة شهداء : خالد ومنتصر مسوادي ومحسن حواس ، وسيظل الشهداء الثلاثة نورا يضيء طريق الثورة ونارا تقض مضاجع أعداء الشعب [1] »

ما دام كل هذا الود والتقدير تكنه المجلة للشيوعيين العراقيين.. ففيم كان خلافهم وتقاتلهم وتمزيقهم للعراق..وتمزيقهم للوحدة العربية منذ١٩٥٨إلى اليوم؟!.

ولا شك أننا نمتهن تفكيرنا ، اذا ما حاولنا أن نذهب بعيدا في تفسير موقف الحزب الشيوعي العراقي الذي أسسه يهودي .. والذي هاجم وانتقد حرب الرجعية ضد اسرائيل .. أنه استمرار لنفس الخط .. خط العمل لصالح اسرائيل .. وحرب « الانصار » هذه (لعنهم الله كم يشوهون الأسماء) ليست الا عملا من أعمال الطابور الخامس .. يجند فيها شباب عراقي يحمل أسماء عربية للقيام بأعمال التخريب خلف خطوط الجيوش العربية .. لا فرق بين« الشهداء»الثلاثة وأولئك الذين نزلوا في نجع حمادي ، كما تدعي الرواية الاسرائيلية ..

---

(١) الحرية ٢٨/١٠/١٩٦٨

ان الشيوعيين الصينيين ، الذين كانوا يخوضون فعلا ، ولسنوات عديدة ، ثورة مسلحةوحربا مريرة ضد الحكومةالصينية..ما أن بدأ الغزو الياباني لبلادهم حتى أوقفوا حربهم ونادوا بالوحدة مع جيش الحكومة ضد الغزو الأجنبي .. وكانت أقوى حجة لهم ضد تشانج كاي شيك ، هي رفضه نداء الوحـــدة الوطنية ..

أما الشيوعيون اليهود في العراق .. فقد اختاروا هذا الوقت بالذات .. ليبدأوا حرب تحرير العراق ..

لا تتعبوا أنفسكم في التحليل .. ايللي كوهين السوري ، كان بعثيا .. وايللي كوهين العراقي شيوعي ! والكل يعمل في خدمة نجمة اسرائيل ..

أما عن النقطة التي تثيرها نشرة النضال ، حول التناقض بين موقـــف الشيوعيين العرب ،وسمعة الشيوعيين ،باعتبارهم« يبيعون الشعب لمن يشتريه » أو موقفهم في فيتنام مثلا ..

فالحقيقة أنه من الخطأ القول بأن روسيا تريد فيتنام « ثانية » في الشرق الأوسط .. إن روسيا لا تريد فيتنام الأولى ولا الثانية ..

وهذا هو الخلاف الرئيسي بينها وبين كاسترو وغيفارا ..

فكاسترو لعزلته واحساسه بعجزه عن الاستمرار في هذا الوضع الخانق الذي تم الاتفاق عليه في تسوية كنيدي ــ خرشوف..وهو تركه يذوي دون أن يُذبح .. كاسترو يريد أن يكتسب القدرة على الاستمرار من خلال التجدد .. أي إشعال الثورات في امريكا اللاتينية .. ولكن الامبريالية الامريكية لا تريد ذلك .. وأيضاً لا تريده الزعامة الاشتراكية ..

يقول كاسترو في وصف الأحزاب الشيوعية الموالية للسوفيت ، وخدمة هذا السلوك للسياسة السوفيتية القائمة على اقتسام العالم مع الامبريالية على حساب الشعوب ..

يقول كاسترو : « ان الثوريين المزيفين والانتهازيين والدجالين من كل لون وطراز الذين يسمون أنفسهم ماركسيين وشيوعيين أو يخلعون على أنفسهم أية ألقاب أخرى. كانوا يجدون مسوغا لأولئك الذين لايريدون أن يقاتلــوا ولن يقاتلوا أبدا في سبيل الشعوب وتحريرها ، وقد شوهوا المبادىء الثورية ، وحولوها إلى أفيون دوجماتي بلا محتوى .. ودون أية رسالة للجماهير .. وكذلك حولوا تنظيمات النضال الشعبي إلى أدوات للمساومة مع المستغلين المحليين والخارجيين ومع المدافعين عن مصالحهم السياسية ، الأمر الذي لا يمت بصلة للمصالح الحقيقية للشعوب المستغلة في هذه القارة »[1] .

من هنا فإن الموقف الصهيوني ، الأصل والدوافع ، للأحزاب الشيوعية العربية في رفضها الحرب ضد اسرائيل ، انما يلتقي مع المصالح السوفيتية ، والسياسة السوفيتية .. والا لو كان هناك تعارض لاصطدم الاتجاهان ، كما حدث في تشيكوسلوفاكيا فرغم تأثير الصهيونية على الحركة الشيوعية العالمية ، الا أنه عندما يقع تعارض صريح بين مخططات الصهيونية ومصالح الدولة الروسية ، لا تتردد روسيا الدولة في الضرب ، بل والتشهير باليهود بعبارات ومقالات لا تختلف كثيراً عن عبارات ، مترجمي وناشري « بروتوكولات حكماء صهيون»

فالسياسة التي تروج لها الأحزاب الشيوعية في بلادنا ، تخدم المخطــط الصهيوني والسوفيتي .. هذا المخطط الذي يدعو إلى الصلح مع اسرائيل .. انهاء حالة الحرب وبدايةمرحلة جديدة من التعايش بين العرب واسرائيل..وتوازن النفوذ السوفيتي والأمريكي ..

لذلك سارعت الاحزاب الشيوعية بعد الهزيمة وفي مناخها ، مستظلين بحماية الاتحاد السوفيتي وموقفه ، سارعوا إلى الترويج لهذا المخطط ، فدعوا إلى

---

(١) يوميات غيفارا في بوليفيا –طبعة بيروت ص ١٠/١١

التنازل عن شعار عروبة فلسطين ، الذي يسمونه للاثارة : « ازالة اسرائيل »

وحجتهم في ذلك أنه « لا الاعداء ولا الأصدقاء » يقروننا على هذا الشعار » وبالطبع نحن لم نكن ننتظر أن يقرنا الاعداء على ازالة اسرائيل ، ولكن الجديد هو موقف الأصدقاء ، وأهم من ذلك وأكثر جدة هو موقفنا نحن من الأصدقاء فبدلا من أن نحاول تغيير موقفهم ، أو على الأقل تحديد درجة صداقتهم على أساس موقفهم من هذا الهدف القومي ، الذي تتفرع منه كل تصرفاتنا من مايو ١٩٤٨ إلى مايو ١٩٦٨ .. بل وهو المبرر الوحيد لموقفنا الحالي ، حيث نرفض الاعتراف والتفاوض والصلح مع اسرائيل .. بدلا من ذلك نتنازل عن أهدافنا مراضاة للأصدقاء !

ان تنازلنا عن شعار « عروبة فلسطين » مراضاة « للأصدقاء » يعني فتح الباب للتنازل العام .. وهذا الموقف الجديد الذي يدعونا اليه الماركسيون لا يبررونه بمجرد الرغبة في ارضاء « الأصدقاء » الشيوعيين .. بل يخلقون له المبررات النظرية الداعية لأخوة الشعبين العربي واليهودي .. وهم اليوم قد أصبحوا أكثر جرأة وأكثر وقاحة في التعبير عن أهدافهم التي عملوا لها منذ فجر الحركة الشيوعية في الوطن العربي .. الا وهو التمكين لدولة اسرائيل .. التغرير بالشباب العربي تحت ستار الأخوة البروليتارية .

قال رئيس تحرير مجلة الطليعة علناً وعلى صفحات الأهرام : « إن عداءنا ليس موجهاً في قليل أو كثير إلى المليونين ونصف المليون يهودي عامة ، والى العمال والفلاحين منهم خاصة ، المستغَلين والمستعبَدين داخل النظام الاسرائيلي ، وانما هو ضد النظام الاسرائيلي كواقع عنصري استعماري يخدم مصالح الامبريالية ويعمق بذور المعاداة للسامية في المنطقة ويستغل جماهير اليهود جنباً الى جنب مع العرب من المسلمين والمسيحيين [١] »

ومجلة روز اليوسف تقول على لسان رئيس تحريرها الشيوعي : « الذين

(١) الأهرام ٩/ ٩/ ١٩٦٧

يحملون السلاح لتحرير أرضهم ، لا بد أن يدركوا أن خطر اسرائيل يكمن في انها قاعدة امبريالية عدوانية ولا يكمن في ان سكانها من اليهود [1] » .

وهذه المعارضة المفتعلة بين كونها قاعدة امبريالية ، وكون سكانها من اليهود ، هي مناورة مفضوحة للزعم بامكانية التفاهم مع هؤلاء اليهود ..

لا .. اننا نعادي اسرائيل اساساً بسبب هؤلاء « السكان اليهود » لا لأنهم يهود ، بل لأن هؤلاء اليهود هم بالذات الذين احتلوا أرضنا ، ومزقوا وحدتها ، وطردوا شعبنا ، ولهم في بلادنا مطامع لا حد لها .. ولو كان هؤلاء انجليزاً أو المانياً أو « يأجوج ومأجوج » لكان خطر اسرائيل يكمن في ان سكانها من « يأجوج ومأجوج » وليس أبداً لمجرد موقفها من الصراع العالمي .. فالعالم يعج بالقواعد الامبريالية .. ولكن شتان بين خطر وخطر ..

ان كونهم قاعدة للأمبريالية يرجع لكونهم يهوداً ، يسكنون بلاد العرب .. ومن ثم يتحتم عليهم أن يكونوا امبرياليين ، وأن يحتموا بالامبرياليين الكبار ..

وحتى لو أصبح هؤلاء اليهود شيوعيين ، وحولوا اسرائيل الى ديموقراطية شعبية لما فتر عداؤنا لهم .. إن الصهيونيين يقولون : « ان في كيبوتز واحد ، من الاشتراكية عشرة أمثال ما في مصر كلها من الاشتراكية .. »

ليس النظام الاسرائيلي هو مـــا يثيرنا ، بل الوجود الاسرائيلي كله ، الذي يشكل النظام جزءاً منه .. ونحن نعادي المليونين ونصف مليون يهودي فرداً فرداً ما داموا يقبلون الوجود والاستمرار فوق أرض شعب آخر .. هو شعبنا ..

ان هدف الشيوعيين هو انهاء حالة الحرب ضد اسرائيل .. لذلك هم يخترعون حكاية التناقض بين « الشعب » الاسرائيلي «والعسكرية» الاسرائيلية. والزعم بأن حالة الحرب التي يفرضها « التعصب » العربي ، هي التي تساعد

---

(١) روز اليوسف ٢٣/١٠/١٩٦٧

على اخفاء هذا التناقض،وتخلق الوحدة الوطنية داخل اسرائيل..فاذا ما زال التهديد الخارجي وذلك بانهاء العرب لحالة الحرب ، فإننا نساعد بذلك على تعميق التناقض ومن ثم انطلاق ثورة « الشعب » الاسرائيلي .. ومن ثم تحرر اسرائيل من سيطرة الرجعية وفصم علاقتها بالامبريالية ، وتحولها الى مجتمع ثوري تقدمي يأخذ مكانه كواسطة العقد بين اخوته التقدميين العرب ..

« روز اليوسف » في ظل الادارة الشيوعية ، لا تنتظر حتى يتم هذا التحرير ذاتياً بكفاح « الشعب » الاسرائيلي ، بل تدعو الفدائيين الى توجيه نشاطهم لتحقيقه..فهي تطالبهم لا بتحرير فلسطين..بل تحرير«شعب»اسرائيل..بالتحالف مع العناصر التي تدين العدوان الاسرائيلي ، داخل اسرائيل وهي :« تتمثل اساساً في السكان العرب وحركة الأرض والحزب الشيوعي الذي اعلن موقفه ضد العدوان صراحة وتعرض سكرتيره العام للاغتيال منذ أيام » .

وتعلن « روز اليوسف » دون أن تأبه بقانون العقوبات الذي يعاقب من يدعو الى التعاون أو اقامة صلة مع العدو :

« لا بد من عقد صلات سياسية مع هذه العناصر التي ترفض القهر على اساس عنصري ، أو ديني أو طبقي » .

أعترف .. انني رغم نقلي — شخصياً — هذه النصوص بحروفها .. فإنني أعيد قراءتها .. شاكاً في امكانية نشرها علانية في بلد عربي محارب ..

أحقاً تنصح صحيفة عربية ، الفدائيين العرب بالتحالف مع « السكان العرب .. والحزب الشيوعي الاسرائيلي » ..

هكذا على حد سواء ! .. هل الشعب العربي في فلسطين اسمه « السكان العرب»!.. ويوصف بأنه من العناصر التي تدين العدوان؟!.. العدوانفقط؟!.. وماذا عن اسرائيل ذاتها ؟! .. وهل من عدوان أكبر من الوجود الاسرائيلي ؟!

حركة «فتح» تتحالف مع «السكان العرب»؟!.. يكونون جبهة أو حلف عناصره كالآتي : الثوار الفلسطينيون + السكان العرب + الحزب الشيوعي الاسرائيلي؟! . ما الفرق بين «السكان العرب» والثوار الفلسطينيين.. وما التميز الذي يسمح بتحالفهما كقوتين منفصلتين ؟! .. الا الحرص على التمييز بين «رعايا اسرائيل» .. «والسكان العرب» في المناطق الحديثة الاحتلال !

بل وتطالب «روز اليوسف» منظمات الفدائيين بأن تضع ميثاقاً يجتمع حوله المناضلون الذين عددتهم (الفدائيون + السكان العرب + الحزب الشيوعي الاسرائيلي) ميثاق يرسم صورة كاملة لمستقبل اسرائيل وفلسطين معاً ..

هل لاسرائيل وفلسطين مستقبل معاً ؟! كل ما يشغل بالهم هو مستقبل اسرائيل .. وهم لا يكتفون بالجلوس في سميراميس ، بل يقلقهم أن الفدائيين لا يعكفون في «السلط» و«الكرامة» وسجون النازية الاسرائيلية ، وفي ظل الارهاب التلمودي .. لا يعكفون على رسم مستقبل اسرائيل وفلسطين معاً!..

ليس المثير أن يقول شيوعي هذا الكلام .. فهذا هو موقف الشيوعيين المصريين من أيام التقسيم منذ أن أنبتت البذرة الصهيونية ، الحركات الشيوعية العربية ..

ولكن المثير هو أن ينشر هذا الكلام .. والخيانة كل الخيانة أن نسكت عليه ..

إن الشيوعيين يطالبون بحل «للنزاع» العربي الاسرائيلي ، يطلبونه علانية وبأصرح عبارات قيلت منذ ١٩٤٨ ..

«من أجل ذلك نطالب بأن نلتقي بكل الشرفاء الذين يخالفوننا في الرأي لنتفق على حل إنساني لهذا الوضع الذي يجب أن يثير إحساس العصر بالخجل ، وأكاد أقول بالعار .. والرأي عندي أن المتعصبين هنا أو هناك ، لن يجدوا

حلا أبداً .. وهم لا يريدون ان يجدوا حلا أبداً .. [1] »

بالله يا عرب ! .. لو ان هذه الفقرة صادفها قارىء في غير هذا الموضع ، أكان يخطر بباله .. انها تتحدث عن حرب الحياة أو الموت ضد اسرائيل ! ..

أهو خلاف في الرأي .. « يثير احساساً بالخجل وأكاد أقول بالعار » .. للبحث عن حل بعيداً عن آراء المتعصبين هنا وهناك ؟! ..

الا يظن أن جريدة «الجمهورية» تتحدث عن خلاف حول اختلاط الصبيان والبنات في المدارس ؟! أو ادخال الرقص التوقيعي في الجامعة .. أو حتى على أسوأ الفروض خلاف حول الزواج المدني .. واباحة تعدد الأزواج !! لا .. ان « المتسامح » يتحدث عن احتلال اسرائيل لوطنه.. عن تشريد ثلاثة ملايين لاجىء فلسطيني ومصري وسوري .. عن احتلال فلسطين كل فلسطين ومرتفعات سوريا .. ومحافظة مصرية كاملة ! ..

انه يدعو الى لقاء مباشر ، يدبره « المعتدلون » « هنا » وهناك .. لا المتعصبون .. فالمتعصبون الذين هم هنا .. لا يريدون أن يجدوا حلا ، بل يستمدون وجودهم من حالة التوتر مع اسرائيل ..

« لعلهم يستمدون وجودهم من احتدام التوتر ، ويجدون مددهم في سياسة حافة الهاوية » .

وحتى لو نحينا أي اعتبار وطني ، فليس من مصلحة الدعاية مجرد الدعاية ان نقول إن هنا متعصبين ومعتدلين .. وإن هنا يوجد متعصبون يعملون على زيادة التوتر وينتفعون بسياسة حافة الحرب مع اسرائيل ..

يقول :

« وكأن اتفاق مشؤوم بين الذين يصنعون التوتر والذين يستغلونه لضرب

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي .. شيوعي سابق ومن دعاة السلام العالمي في جريدة الجمهورية مقال : « لا بد من لقاء مع الذين لا يعرفون» ١٠/٤/١٩٦٨

الحريات وإهدار كرامة الانسان واستغلال النفوذ .. »

ان مثل هذا القول أخطر من كل تصريحات أو أمنيات عن إبادة اسرائيل لانه يوزع مسؤولية العدوان والحرب والتوتر في الشرق الاوسط على اطراف عربية واخرى صهيونية .. في الوقت الذي نحاول فيه أن ندين اسرائيل بتهمة العدوان وخرق السلام يأتي ذلك الصوت معترفاً بالفاظ عربية ، ان قوى عربية متعصبة لا تريد حلا .. بل تسعى الى التوتر وتستفيد من حالة الحرب مع اسرائيل في فرض التخلف والاستبداد على الشعوب العربية .. هل نصدقهم بعد ذلك عندما يزعمون انهم يريدون كسب الرأي العام العالمي ؟! ان نصف دعاية اسرائيل تحاول ان تثبت ان حالة التوتر في الشرق الأوسط هي من خلق الرجعية العربية كما تسميها اسرائيل ..

هذه الرجعية التي تستغل التوتر في زعم اسرائيل بهدف استمرار حكمها فيأتي هذا الصوت فيقدم اعترافاً كاملا بذلك .. وينشره في صحيفة مصرية كبرى .. !

ولنسأل : ما هو الحل الذي يمكن أن يصل اليه غير المتعصبين ؟ .

يقول : « ما من مشكلة أجدر بأن نتناولها بواقعية وبفهم وبشجاعة مثل مشكلة فلسطين ومشاكلنا مع اسرائيل » .

وأبعاد الحل يمكن أن تستشف من خطوط المقال فهو يقول :

« ان الرأي العام العربي يعادي الدوائر الرجعية في الولايات المتحدة الامريكية مثلا . ولكنه لا يعادي الشعب الامريكي نفسه » .

وبتطبيق المثال على اسرائيل موضوع الحديث يعني بمنطق كاتبه ان الرأي العام العربي يعادي « الدوائر الرجعية في اسرائيل ولكنه لا يعادي الشعب الاسرائيلي نفسه » ..

والحل المطروح هو غير الحل الذي تجمع عليه الامة العربية ، والذي التزم

به مؤتمر القمة العربي ، والا ما احتاج الداعي له أن يكتب في حروف سوداء :

« ان كلمات واضحة وصريحة يجب أن تقال : فقضية فلسطين لا يجب أن تكون محل مزايدات وطنية للاستهلاك المحلي ، ولا يجب أن تكون مثار دعايات مضادة تدين الضمير العربي كله » ..

والحديث – كما قلت – قد أصبح صريحاً جريئاً .. فالتشبيه بالولايات المتحدة ينتقل الى التصريح ..

« ينبغي أن نعرف أن اسرائيل ليست وحدة واحدة متكاملة ، فهناك الدوائر الحاكمة وهناك الشعب نفسه ! هناك في اسرائيل أحرار داخل السجون من اليهود والمسيحيين والمسلمين » ..

« ان ما تحمله الينا وكالات الانباء لما يحدث داخل اسرائيل يدل على انها ليست مجتمعاً واحداً متكاملا تمثله طبقة واحدة من الارهابيين والعنصريين والعدوانيين » .

ثم يعلـــن :

« اننا نخطىء حين نتناول اسرائيل بوصفها كلا لا يتجزأ يمثله بن جوريون وأشكول وموشى ديان وأمثالهم ! ..

« هناك أيضاً الذين يشعرون أن مستقبلهم ومستقبل أولادهم يكمن في الحل العادل » .

فالمطلوب أن نفرق بين العسكرية ، بين موشى ديان وبن جوريون ، وبين الشعب الاسرائيلي ..

ونحن مخطئون لاننا نتجاهل الاصوات التي ترتفع دفاعاً عن الحق من داخل اسرائيل ! ! (هو الذي يتعجب .. وواجب علينا) .

« وهذه الأصوات قوة لنا ، فلماذا نتجاهلها ؟ » (هو يتساءل) ..

وقبل أن نناقش ابعاد هذه الدعوات الخبيثة والمواقف الانهزامية .. يجب

ان نوضح الفرق بين موقفنا من الاستعمار الامريكي او البريطاني او الفرنسي او الايطالي مثلا ، وموقفنا من الفرد الاسرائيلي ..

فالشعب المصري او الشعب الليبي كان يعادي الاستعمار البريطاني او الايطالي وكان هدف الحركة الوطنية سحق قوات الاحتلال العسكرية وتحرير بلادنا من سيطرة هذا الاستعمار وقطع كل ارتباط بين سياستنا القومية ، والمصالح الاستعمارية في بريطانيا او ايطاليا..ولم يكن من برنامج الحركة الوطنية في مصر او ليبيا احتلال بريطانيا او ايطاليا أو ابادة الشعب البريطاني او الايطالي .. فان العداوة تنتهي بمجرد جلاء قوات الاحتلال وتصفية المصالح الاستعمارية في بلادنا .. من هنا كان يمكن القول بالتفرقة بين الحكومة الاستعمارية في بريطانيا وايطاليا والشعب البريطاني او الايطالي .. ولم نكن نعدم احراراً — قدر الامكان — في بريطانيا وايطاليا او حتّى تناقضات داخل النظام الامبريالي نفسه ترى تصفية الاستعمار البريطاني او الايطالي او الفرنسي .

وتعتبر ان ذلك يحقق مصلحة الشعب البريطاني او الايطالي بل حتّى مصلحة الدولة البريطانية او الفرنسية ..

أما في حالة اسرائيل فالوضع مختلف جذرياً .. كمّاً وكيفاً كما يقولون ، فليس هناك دولة اسمها اسرائيل تبعث لبلادنا بجيش احتلال ، حتّى نطالب بحصر أهداف الحركة الوطنية في مقاومة « السياسة العدوانية الاسرائيلية » .. كما كنا نعادي«السياسة الاستعمارية لفرنسا» مثلا.. لا لأن اسرائيل — ابتداء — عمل عدواني ، نادر في عدوانيته ، بشع في وحشيته لا وجود له ولا قيام الا فوق أرضي أنا العربي ..

ان التفرقة بين الشعب الاسرائيلي والحكومة الاسرائيلية تفرقة مستحيلة لا وجود لها إلاّ في اوهام المضللين (بالفتح والكسر) لان العدوان الاسرائيلي يقوم على انتزاع الارض وإبادة الشعب لإحلال آخرين محلهم ، فإجلاء

المعتدين هنا يعني ازالة اسرائيل ، يعني وقف عملية التزييف التي تريد اصطناع شعب من خليط من المعتدين الغزاة ..

فاسرائيل كيان عدواني : شعباً وجيشاً ، عمالا وفلاحين وجنوداً .. فالعامل الذي يدير مناجمنا وآبار بترولنا المصرية في سيناء ، ويقيم مستعمرة فوق أرضنا .. غاصب ومعتد لا بد من ابادته ، فالارض لا تتسع لنا معاً .. وهو يعرف ذلك جيداً ولا يبخل بأي جهد في سبيل ابادتي وطردي من أرضي ليحتلها هو .. فأي حديث عن أخوة بيننا لا يفيد الا صاحب النية المعتدية ، ولا يفضي الا الى التفريط في أرضي التي رواها أجدادي بالدم والعرق ، فأسلمها للغاصب باسم الأخوة .. !

والفلاح الاسرائيلي لا يقل خطورة وعدواناً عن الجندي الاسرائيلي ! بل ان عدوان الفلاح هو الهدف والجندي هو الوسيلة .. وقد بدأ انتزاع الارض بحماية الجندي الانجليزي ، وقبل أن يطلق الجندي الاسرائيلي البندقية .. ولو عرفت اسرائيل انه يمكنها نزع الارض بغير النار والدم لرحبت بتسريح جيشها ، ولكنها تعلم أن أوهام المضللين لا تأثير لها على الشعب المرتبط بأرضه ، وان ابادة هذا الشعب هي الطريق الوحيد لنزع الارض منه ..

ان هجرة الاسرائيلي من وطنه الاصلي الى فلسطين قد أفقدته حقه في الانتماء الى معسكر الشعوب ، وحولته الى معتد يغتصب حق الآخرين ، سواء أكان ذلك بزراعة ارضهم او ادارة مصانعهم ومناجمهم أم بحمل السلاح لقتالهم ، ولو أن اسرائيل لا تفرق بين الفلاح والعامل والجندي في حمل السلاح ، بل ترى أنها عملية واحدة مترابطة متكاملة ، وتغتبط بالبلهاء الذين يغررون بأنفسهم ويلوون ألسنتهم بالتفرقة ..

وموقفنا عادل كل العدل حتى لو أنكرته الدنيا كلها .. نحن أصحاب

هذه الأرض ، وليس من حق أي كائن مهما تكن دعواه، ومهما أيده الكتاب الاشتراكيون الكبار في فرنسا ، ان ينتزعنا من فوقها ليسكنها هو .. ومن حقنا تماماً ان نطالب بخروج هذا المغتصب .. بعودته الى وطنه الاول ، فان أصر على أن يبقى فوق جثتي ، فما من شريف يلوم العربي في الدفاع عن حقه وحياته .

بل ان هؤلاء الانهزاميين يقدمون لانصار اسرائيل اقوى حجة تدعم وجودها ، فان عدداً من المفكرين الاحرار في العالم ، ما زال يرفض فكرة اقامة دولة على أساس الانتماء الديني وحده،ويرى في اسرائيل مجرد«جيتو»حارة يهود كبيرة ، تؤدي الى تفاقم انعزال اليهودي عن العالم ، لا حل مشكلته ... ولكن هؤلاء « الاحرار » العرب يأتون فيعترفون بوجود أمة اسرائيلية تنقسم الى شعب وحكومة .. !

ولماذا يؤيدنا الأحرار في العالم ، اذا كان«احرارنا» يعلنون عن وجود امكانية « تآخ » بين الشعبين العربي والاسرائيلي ، لولا تخريب المتعصبين هنا وهناك ولولا التوتر الذي تخلقه العسكرية الاسرائيلية والرجعية العربية ! ألا يعطي ذلك اسرائيل حجة في دعواها أنها قادرة على أن تعيش بين العرب ، اذا ما تخلص العرب من أوهام ازالة اسرائيل .. !

لذا فان التفرقة بين الشعب والحكومة والعمال والفلاحين والجيش الاسرائيلي تفرقة وهمية وخاطئة .. فالكل كيان عدواني استعماري عنصري غاصب ..

اليهودي «الحر» يغادر اسرائيل فوراً ، ويعود الى وطنه الاصلي الذي ولد فوق ترابه .. وصنع اجداده ، ولو في ظل الاضطهاد ، تاريخه .. وما من بلد في العالم يضطهد اليهود الآن .. فلماذا الهجرة الا للاستعمار والعدوان ؟ .

وهذا هو الوضع النظري للقضية .. أما الوضع العملي ، فهو مطابق له كل المطابقة ... ورغم كل تأكيداتهم فإننا لم نسمع بعد صوتاً يهودياً من اسرائيل يطالب بازالة اسرائيل .. أبداً .. انه الخلاف الشكلي الذي يضمن لاسرائيل

اجنحة في كل المعسكرات ، ومن العجب أن نسمع عن حزب شيوعي اسرائيلي،حزب شيوعي يؤمن بامكانية أن تقوم دولة على أساس رابطة الدين وحده ! حزب ماركسي يؤمن بامكانية أن يكون الانتماء الديني وحده كافياً لقيام أمة وطبقة عاملة يمثلها حزب ماركسي ... !

ان مجرد قيام حزب شيوعي في اسرائيل ، لا يعني فقط أن هذا الحزب يعترف باستمرار الدولة ، وقبوله خرافة الامة الاسرائيلية،بل يعني أنالماركسيين الاسرائيليين — ومن يعترفون بهم — قد سقطوا في وحل الصهيونية وملأوا أوعيتهم الماركسية بأوزارها وأكاذيبها .

ان سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي اجرت صحيفة «دويتش دوتشلاند»الشيوعية معه حديثاً اغتبطت به مجلة«روز اليوسف»ونشرته في مكان بارز تحت عنوان « حزب اسرائيل الشيوعي يعلن : اسرائيل هي التي تهدد نفسهـــا » ..

ما الذي قاله سكرتير حزب اسرائيل الشيوعي :

استنكر العدوان لانه أضر بمصالح اسرائيل .. « فقد فقدت عطف القوى التقدمية في البلدان الرأسمالية . لقد أصبحت اليوم سياسياً أكثر عزلة من أي وقت مضى » .

أليست عزلة اسرائيل هذه التي يأسف عليها الرفيق ويعمل على تفاديها ، هي عين ما يجب أن نعمل له نحن العرب ... كيف يمكن أن يتم لقاء بيننا ؟!

يقول سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي « نحن نعارض سياسة الحكومة لا لانها تعادي العرب والشيوعية والاتحاد السوفيتي وتقف الى جانب الاستعمار فحسب بل لأنها تعمل أيضاً ضد مصلحة اسرائيل الوطنية »[١] ..

فمتى يفكر الرفاق هنا في مصلحة العرب الوطنية ؟

(١) عن مجلة روز اليوسف .

ان صوت الاستسلام ، لا يكتفي بالاستمتاع بحالة الانهيار التي أتاحت له أن يروج علناً للمفاوضة .. والصلح .. والاعتراف باسرائيل .. بل تأخذه النشوةفيعيرنا بشماتة برفضنا النصيحة الشيوعية في عام ١٩٤٧ .. فيقول بغير حياء:

« منذ عشرين عاماً ارتفعت بعض الاصوات تطالب العرب بأن يقبلوا التقسيم ، فتصدت لهم أصوات أخرى تتهمهم بخيانة القضية الفلسطينية ! وبعد عشرين عاماً أصبح قرار الأمم المتحدة بالتقسيم أحد مئات القرارات التي ترفضها اسرائيل ، والتي قد نجد فيها حلاً للمأساة ! » .

الاصوات العاقلة الحرة المؤمنة بالانسان .. نصحتنا بمنعرج اللوى في ١٩٤٧ بقبول تقسيم بلادنا مع الغزاة ! .. فضاع صوتها وسط ضجيج الوطنية .. ولقينا جزاء معارضتهم بأن أصبحنا نتمنى تنفيذ التقسيم .. وواجبنا ان نتعظ الآن برأس الذئب الطائر فنستمع مرة أخرى لهذه الأصوات التي أيدت التقسيم في ١٩٤٧ ونكف عن ضجيج المزايدات ، واتهامها بالخيانة وهي تدعونا لقبول ما هو أمرّ من التقسيم الذي رفضناه من قبل ، ومن لا يرضى بالتوت يرضى بشرابه ..

نعم ! ..

رفضنا النصح الشيوعي في ١٩٤٧ .. وسنرفض الضغط الشيوعي في ١٩٦٨ .. وسننتصر لأن البديل هو الفناء والعار ..

سنرفض .. وسنقاتل وسننتصر وسنغني يوماً ، ولو بعد ألف عام [١] ..

مبروك يا محمد عليك

فلسطين رجعت اليك

رمضان ١٣٨٨

ديسمبر ١٩٦٨

---

(١) يوم استقلال الجزائر انطلق الشعب الجزائري يغني : مبروك يا محمد عليك .. الجزائر رجعت اليك .

الفهرست

صدر للمؤلف

مصريون لا طوائف	١٩٥٠	نفد
الجبهة الشعبية	١٩٥١	نفد
قانون الاحزاب	١٩٥٢	نفد
روسي وامريكي في اليمن	١٩٥٧	نفد
شرف المهنة	١٩٦٢	
دراسة في فكر منحل	١٩٦٦	
القومية والغزو الفكري	١٩٦٧	
اخطر من النكسة	١٩٦٨	
الغزو الفكري الطبعة الثالثة	١٩٦٨	
ايلي كوهين من جديد	١٩٦٨	
ماذا يريد الطلبة المصريون	١٩٦٨	
حكايات عن عمر	١٩٦٨	
من احوال المصطفى	١٩٦٨	
الحق المر	١٩٦٩	
النكسة والغزو الفكري	١٩٦٩	

تطلب جميع المؤلفات من :

مكتبة عمار ـ القاهرة ـ ١٣ شارع الجمهورية .

مكتبة الامل ـ السالمية ـ الكويت

دار الارشاد ـ الخرطوم ـ ص٠ب ١٧٤٧

دار الارشاد ـ بيروت ـ ص٠ب ٦٣٤٧

دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ص٠ب٣١٥٧

المكتبة الوطنية ـ الزاوية ـ طرابلس الغرب ـ ليبيا